

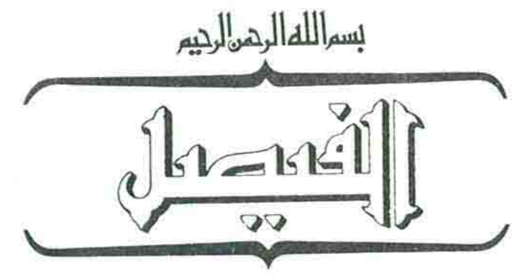
مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 59 MARCH 1982.

العدد (٥٩) ـ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ السنة الخامسة ـ آذار (مارس) ١٩٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

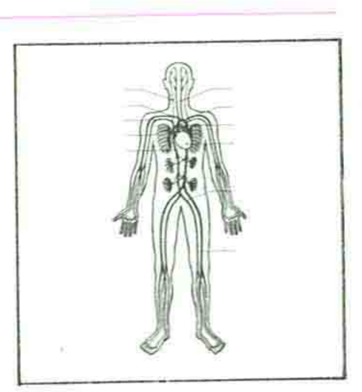
رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٥٩) جمادى الأولى [illegible] السنة الخامسة آذار (مارس) ١٩٨٢م

في هذا العدد



★ متاحف «أضنة» في تركيا تمتاز بتعدد معروضاتها: أوان فخارية، نقود وميداليات من حضارات قديمة، أحجار المباني التي تحمل كتابات بلغات قديمة، ثياب وخيام يدوية. ومن الآثار النفيسة سوار صنع من الذهب والفضة يحمل كل طرف منه رأس أفعوان. طالع ص (٤٣) ★



★ كمية الدم في الإنسان من (٥,٥ ـ ٦) ليترات مليئة بحياة غير مرئية لعيوننا.. تقوم بدورات كاملة مستمرة بلا توقف.

يدخل الدم إلى القلب ويخرج منه إلى جميع أجزاء الجسم، ثم يعود إلى القلب ثانية ليخرج منه... وهكذا. طالع ص (٩١) ★





★ في اليابان يزرعون الأسماك لكي ينقذوا مصايدهم الساحلية من الانقراض. أول مزرعة ناجحة أقيمت لتربية أسماك المياه المالحة كانت عام ١٩٢٧م. طالع ص (١١٩) ★

د . صلاح الدين حسنين

★ من مواليد القاهرة عام ١٩٤١ م .

★ دكتوراه في علم اللغة العربية .

★ يجيد اللغات الإنجليزية والألمانية والعبرية .

★ عمل أستاذاً مشاركاً بكلية اللغات والترجمة ــ جامعة الأزهر .

★ يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً في كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ــ الرياض .



★ **مؤلفاته :**

ــ الظواهر التركيبية في النحو العربي .
ــ القياس والنحو العربي .
ــ أبو عمرو بن العلاء .
ــ علم الأصوات الاكوستيكي .
ــ مقدمة للقارئ الغربي .
ــ الأصوات العربية .
ــ إعلال الواو والياء .
ــ المدخل لدراسة الأصوات العربية .
ــ هل اللغة السريانية أصل العربية ؟ .
ــ العبرية .. دراسة في التركيب والأسلوب .



ماجدة رحيباني

★ من مواليد دمشق ــ سورية عام ١٩٤٠م .

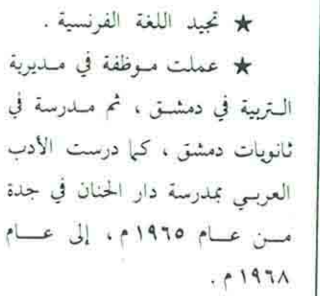
★ ليسانس لغة عربية .

★ تجيد اللغة الفرنسية .

★ عملت موظفة في مديرية التربية في دمشق ، ثم مدرسة في ثانويات دمشق ، كما درست الأدب العربي بمدرسة دار الحنان في جدة من عام ١٩٦٥ م ، إلى عام ١٩٦٨ م .

★ تعمل حالياً مدرسة في ثانوية الشهبندر في دمشق .

★ نشرت لها بعض البحوث والدراسات ، والقصائد الشعرية ، والقصص المترجمة عن الفرنسية في الصحف والمجلات السورية والعربية .





فاطمة حداد

★ من مواليد اللاذقية ــ سورية عام ١٩٢٣ م .

★ شهادة تأهيل عربية ، وأخرى فرنسية .

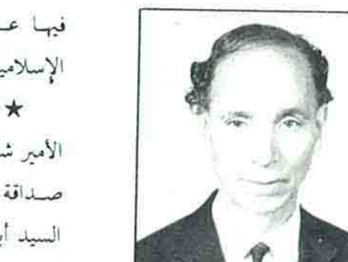
★ تجيد اللغة الفرنسية .

★ لها نشاطات في بعض الجمعيات النسائية .

★ عضو اتحاد الكتاب العرب .

★ طبع لها ديوان شعر ، وتقوم حالياً بطبع ديوان ثان لها .

★ لها بعض الدراسات والقصائد في الصحف والمجلات العربية .

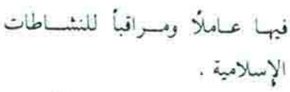


د . زكي علي

★ من مواليد الزقازيق ــ مصر عام ١٩٠٥ م .

★ دكتوراه في الطب .

★ هاجر إلى جنيف ، وأقام فيها عاملاً ومراقباً للنشاطات الإسلامية .



★ عاصر الكاتب الأستاذ الأمير شكيب أرسلان ، وتربطه به صداقة متينة ، وكذلك بالشيخ السيد أبو الحسن الندوي ، وبعض المستشرقين .

★ بذل ــ ويبذل ــ جهوداً طيبة في تعريف الأوروبيين بأهمية الإسلام ، واللغة العربية .

★ له مؤلفات صدرت باللغات العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية .

★ نشرت له مجموعة من البحوث الطبية في مجلات أوروبية .

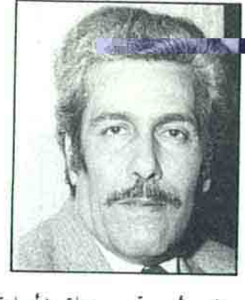
عادل أبو شنب

★ من مواليد دمشق .

★ تلقى دراسته في دمشق .

★ عمل في الصحافة والإذاعة والتليفزيون .

★ صدر له ١٦ كتاباً في القصة ، والرواية ، والنقد ، والتاريخ .



★ رأس تحرير مجلة (أسامة) للأطفال .

★ عضو في المكتب التنفيذي لاتحاد الكتّاب العرب .

★ كتب مجموعة من التمثيليات والمسلسلات للإذاعة والتليفزيون .

★ أصدر خمس مجموعات قصصية للأطفال .

★ له بعض المقالات المنشورة في الصحف والمجلات .

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا، والله الموفق **



- وفاة الأديب السعودي عبد العزيز الربيع والتونسي محمد المرزوقي.
- صدور عدة موسوعات علمية وأدبية.
- الدكتور عز الدين رئيساً للهيئة المصرية العامة للكتاب.
- إقامة متحف للحضارة المصرية.
- «الترجمة والإبداع عند العرب» في مؤتمر سيعقد بحلب، في سورية.
- إقامة أسابيع ثقافية ومعارض للكتب في قطر والبحرين والإمارات.



- موسوعة عن «تاريخ الفكر الإنساني» ستصدر في باريس.
- رسائل «جورج صاند» تجمع في مجلدات.
- موسم جوائز ألمانيا الاتحادية.
- الاحتفال بمرور سبعمائة عام على وفاة الأديب التركي «جلال الرومي».
- وفاة مؤلفة الأربعين كتاباً والأربعمائة قصة قصيرة ـ الأميريكية «بابينج».







★ عبد العزيز الربيع ★ حسن بن عبد الله آل الشيخ ★ د. عباس طاشكندي ★ د. أحمد رمضان شقلية ★

السعودية :

وفاة عبد العزيز الربيع

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ والأديب المعروف «**عبد العزيز الربيع**» عن عمر يناهز الثالثة والخمسين، حيث ولد رحمه الله **بالمدينة المنورة** عام ١٩٢٩ م، وفيها تلقى تعليمه الابتدائي ثم الثانوي بمكة المكرمة، ثم حصل على الليسانس في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية من **جامعة القاهرة**، وعلى الدبلوم العالي في التربية وعلم النفس من **جامعة الإسكندرية**، ودرس في المعهد العالي لفن التمثيل العربي، أما أعماله فقد عمل قبل ابتعاثه لدراسته العالية معلماً، وبعد عودته من مصر سنة ١٣٧١ هـ، عمل مفتشاً لمنطقة المدينة المنورة والشمال، وفي سنة ١٣٧٣ هـ، أصبح أول مدير للتعليم في المدينة بعد أن ضمت مدارس المدينة والشمال في منطقة واحدة عندما تحولت مديرية المعارف إلى وزارة، وقد رأس **نادي النهضة الرياضي بالمدينة**، ورأس نادي المدينة المنورة الذي أنشأه مع بعض الزملاء من رجال التعليم، ورأس نادي الأنصار سنة ١٣٨٥ هـ، واستمر فيه إلى قبل وفاته.

وأدبياً شارك في تأسيس الأسرة الأدبية المعروفة بـ(**أسرة الوادي المبارك**) التي استمرت قرابة ربع قرن، ورأس **نادي المدينة المنورة الأدبي** منذ إنشائه حتى تاريخ وفاته وهو أحد مؤسسيه، **وكانت له نشاطات واسعة في مجالات مختلفة**؛ فقد رأس **لجنة الجمعية التعاونية لموظفي الحكومة** بالمدينة المنورة، ورأس **اللجنة الرياضية** التي كانت مسؤولة عن الرياضة بالمدينة قبل إنشاء الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ورأس **المكتب الكشفي الإقليمي** بالمدينة المنورة وهو **المشرف العام على معسكرات الكشافة لخدمة الحجيج بالمدينة**، كما كان عضواً في **اللجنة التمهيدية لبعث سوق عكاظ**، وعضو مؤتمر المعلمين العرب بالإسكندرية، ورأس لجنة المملكة لمؤتمر الدراسات الاجتماعية الخامس **بالأردن**، وشارك في مؤتمر وزراء التربية العرب **في ليبيا**، وشارك في مؤتمر اليونسكو المنعقد **بباريس** سنة ١٩٧٤ م، وشارك في المؤتمر الثاني عشر للكشافة العرب **بتونس**، وشارك في المؤتمر التحضيري لسوق عكاظ **بالرياض**، كما شارك في **المؤتمر الأول للأدباء السعوديين** الذي نظمته جامعة الملك عبد العزيز بجدة **وحاز فيه من الجامعة على** (**الميدالية الذهبية**) **وعلى براءة الريادة في النقد الأدبي** باعتباره رائداً من روّاد الأدب في المملكة. كان رحمه الله عضواً في لجنة تأسيس كلية التربية بالمدينة المنورة، وأسهم في إعداد بعض البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وله نشاط بارز في مجال النقد الأدبي.

من مؤلفاته الصادرة:

★ «ذكريات طفل وديع».

★ «دراسة مطولة عن ديوان قدر ورجل».

★ «دراسة عن ديوان همسات قلب».

وله من المؤلفات التي لم تصدر إلى الآن:

★ «رعاية الشباب في الإسلام».

★ «بناء الفرد من وجهة التربية الإسلامية».

★ «التربية عند العرب قبل الإسلام».

★ «أبو لهب ـ شخصية قلقة في المجتمع القرشي».

★ «دراسة عن شعر أمجد الطرابلسي».

★ «شوقيات وشوكيات».

★ «مناوشات ومناقشات».

★ «مع الجن والملائكة والشياطين».

★ «صور وملامح».

★ «كتب ومؤلفون».

★ «المدينة المنورة: دراسة وصفية تاريخية».

★ «موسوعة المدينة المنورة المختصرة».

وقد توفي المرحوم فجر يوم الأحد الموافق ١٤٠٢/٣/٢٩ هـ، إثر نوبة قلبية، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وألهم ذويه ومحبيه والأسرة الأدبية الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

موسوعة خليجية

ستصدر **دارة الملك عبد العزيز** التي تتخذ من (الرياض) مقراً لها، **موسوعة خليجية** تتضمن الشخصيات العلمية والأدبية المعاصرة في دول الخليج العربي والجزيرة العربية. وفي إطار العمل لإصدارها أعدت الدارة استمارات لتعبئتها من قبل الهيئات العلمية والأدبية والأكاديمية في المملكة ودول الخليج والجزيرة، وهي تتضمن المعلومات التي تتعلق بتلك الموسوعة.

مجلة الفيصل للعمارة

أصدرت كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك فيصل بالمنطقة

كلمة

١٩٨٢ م ، عام الكبار

ماذا يعني عام الكبار ؟

لقد احتفل العالم بعام الطفل .. ثم بعام المعوقين .. وأخيراً اعتبر عام ١٩٨٢ م ، الحالي عاماً دولياً للكبار .

وهذا التوجه الذي توليه **الأمم المتحدة** عنايتها مؤشر هام للأوضاع السيئة التي يعيشها الإنسان في طفولته .. وشبابه .. ورجولته .. وشيخوخته ، في عصر أخذت فيه الدول تبدد ثروات الإنسان في **إشعال الحروب .. وغزو الفضاء .. وتكديس الأسلحة** الفتاكة ، وما يتبع ذلك من **تلوث البيئة** .. وتضييق الخناق على الإنسان ليعيش حياة تغتالها **المجاعات** .. وتفتك بها **الأمراض** .. حياة يسكنها **الرعب** .. ويفترسها **الخوف** .

والأمم المتحدة بتوجهها من خلال تخصيص هذه الأعوام ، تهدف إلى توجيه الرأي العام بجماهيره الكبيرة لإدراك الواقع المزري الذي يعيشه الإنسان في مختلف البلدان ، وعلى الأخص **بلدان العالم النامي** الذي أصبح بقرة حلوباً تستمد من منتجاتها الدول الكبرى ، أو الدول الصناعية عافيتها وقوتها لممارسة قهرها وظلمها ضد الإنسانية .

ولا يستبعد أن تكون الأعوام القادمة أعواماً للشيخوخة .. والسلام .. والعدل .. والحرية ، لأن هذه القضايا لا تقل أهمية عن قضايا الطفل والمعوقين والكبار ، مثلها مثل الغذاء .. والصحة .. والتعليم .

وفي رأينا أن هذه الأعوام إذا لم تحقق نتائج إيجابية لمصلحة الإنسانية المعذبة في الأرض ، فهي على الأقل صكوك إدانة معلنة في مواجهة طغيان الدول الكبرى .

إن ما يحدث اليوم من قيام الدول الكبرى باكتساح بلدان الدول الصغيرة أو الضعيفة احتلالا سافراً تدعمه قوة السلاح ، وحب التسلط على مرأى ومسمع العالم كله ، وما يتبع هذا الاحتلال من قتل للأطفال والنساء والشيوخ والعجزة ، وتحطيم وسائل الحياة داخل هذه البلدان المستضعفة لهو الدليل السافر على النوايا العدوانية التي تنهش عقول وضمائر حكام الدول الكبرى ، ومطامعها في الاستيلاء على مقدرات الشعوب الصغيرة ، وتوظيفها في دمار العالم ، وعذاب الإنسان .

إذن .. ماذا يعني أن يكون عام ١٩٨٢ م ، عاماً للكبار ؟

سؤال .. يأتي الرد عليه من خلال الدراسات .. والإحصاءات .. والوثائق التي تتطلع مجلة « الفيصل » إلى نشرها على صفحاتها مساهمة منها في تسليط الأضواء على أوضاع الكبار خلال العام الدولي للكبار بأقلام الكتّاب والمختصين الذين أثبتوا تعاونهم الجاد الصادق مع المجلة .. والله الموفق .

« المجلة »

الشرقية مجلّة جديدة تحمل اسم « **مجلة الفيصل للعمارة والتخطيط** » .. وقد صدر العدد الأول منها حافلاً بموضوعات شتى تتعلق بهذا المجال . نأمل لهذه الزميلة المتخصصة في مجال حيوي هام التوفيق والنجاح .. وصدور مثل هذه المجلة المتخصصة يعكس أبعاد الوعي الحضاري الذي بلغته المملكة .

إحصاءات التعليم

أصدرت وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية عددها الثالث عشر عن **إحصاءات التعليم لعام ١٣٩٩ / ١٤٠٠ هـ** ، لمختلف المراحل التعليمية ، وذلك ضمن السلسلة التي تصدرها الوزارة في مجلدات مزودة بالبيانات والرسوم والأعداد التي توضح التطور في عدد الطلبة والمدرسين والإداريين ، بل وفي المدارس والجامعات ، ويعتبر هذا المجلد المصدر الأساسي للمعلومات الإحصائية لما تحقق خلال سنوات خطة التنمية الثانية .

* كتب جديدة *

● « **دراسات في الجغرافية الاقتصادية ـ المملكة العربية السعودية والبحرين** » ، تأليف **الدكتور أحمد رمضان شقلية** ، صدر عن **دارة الملك عبد العزيز بالرياض** .

● « **خواطر جريئة** » ، تأليف **الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ** ، صدر عن **تهامة للنشر** .

● « **الكشاف التحليلي السنوي لصحيفة أم القرى ١٣٩٩ هـ** » ، إعداد **حسين بدران وعباس طاشكندي** ، صدر عن **عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة** .



عز الدين والهيئة المصرية للكتاب

عيّن الدكتور عز الدين إسماعيل الناقد المعروف ورئيس تحرير مجلة « فصول » الدورية رئيساً للهيئة المصرية العامة للكتاب ، وذلك خلفاً للشاعر المرحوم صلاح عبد الصبور . المعروف أن لهذا المنصب أهميته في الحياة الثقافية بمصر ، ذلك لأن الهيئة تهتم بحركة النشر إلى جانب الجهود المتنوعة الأخرى .

المعروف أن الدكتور عز الدين ولد في القاهرة عام ١٩٢٩ م ، وكان آخر منصب شغله عميداً لكلية آداب عين شمس ، **وله من المؤلفات (١٧) كتاباً** منشورة وكلها في النقد الأدبي باستثناء مسرحية شعرية واحدة هي



★ د . عز الدين إسماعيل ★

« محاكمة رجل مجهول » ، وأول كتاب له هو « الأدب وفنونه » وصدر له عام ١٩٧٥ م ، آخر كتاب بعنوان « نصوص قرآنية . . » .

معرض لفنون الحرف

أقيم في القاهرة معرض للفنون التشكيلية والحرف البيئية وذلك تحت رعاية بيوت الثقافة التابعة للثقافة الجماهيرية ، ضم المعرض أكثر من (٥٠) عملاً من التصوير الزيتي والمائي والنحت والباتيك الذي يعكس فن البيئة ، كما ضم عدداً من أعمال الحلي الفضية والحفر على النحاس .

متحف للحضارة المصرية

سينشأ على أرض المعارض بالجزيرة **متحف للحضارة المصرية** حيث سيضم بانورامات ونقوشاً مجسدة تنحت من حول قطع أثرية معبِّرة عن الفترة ما قبل التاريخ ماراً بالفترات الحضارية المصرية (**الفرعونية ، واليونانية ، والقبطية ، والإسلامية**) حتى مصر اليوم ، إذ سيشتمل المتحف على اثني عشر جناحاً لتكون شاملة بمعروضاتها هذه الفترات .

٭ كتب جديدة ٭

- « **خمس قصص** » ، تأليف **سكينة فؤاد** ، صدر في **القاهرة** .
- « **قصائد لا تموت** » ، دراسة للشاعر **محمد إبراهيم أبو سنة** ، صدر في **القاهرة** .
- « **موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين** » ، صدرت عن **المستقبل بالفجالة والإسكندرية** .
- « **الغدد الصم** » ، تأليف **الدكتور بول غليونجي** ، صدر عن **المستقبل بالفجالة والإسكندرية** .



من رواد جائزة الملك فيصل العالمية

●● **الكتاب** : اختاروا إحدى السبيلين . . إلخ

●● **المؤلف** : د . محمد ناصر .

إطلالات الفكر السياسي ــ في الأمة ــ تنظر نحو آفاق رحبة في بناء الدولة انطلاقاً من الفكر الإسلامي الذي جرّب حقيقة التنفيذ العملي ــ في كل مجالات الحياة ــ وبنى بها الحضارة الكبرى في تاريخ البشرية .

ذلك لأن للإسلام مفاهيمه الواسعة النيّرة في الحياة . . والكون . . والإنسان ، بجعلها منقادة تحت لواء الله وشرعته ومنهاجه . وبذلك تتحقق « **الإسلامية** » في كل الوجود !

وبالدعوة إلى إقامة فكرة « **الدولة في الإسلام** » يوضح **الدكتور محمد ناصر ــ رئيس وزراء أندونيسيا الأسبق ــ** نظريته في إمكان تحقيق الفكرة على نطاق دولة أندونيسيا ــ مشاركاً بذلك في وضع دستور للحكم ــ بعد استقلالها عام ١٩٤٥ م .

وهذه الإطلالة صوّرتها من كتابه : (**اختار إحدى السبيلين : الدينية أو اللادينية**) نشر الدار السعودية بجدة ، ط١ ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، ويشرح ذلك ــ بادئ ذي بدء ــ بالقول :

« الإسلام عقيدة . . .

والإسلام فكرة ، فهو ليس مجرد دين كالمفهوم في المقابل الإنجليزي بكلمة Religion والذي لا وظيفة له سوى تنظيم العلاقات بين الإنسان وربه ، فالإسلام يشمل عنصرين ، عنصر العلاقة بين الإنسان وربه ، وعنصر العلاقة بين الإنسان وبني نوعه ، وبالتالي عنصر العبادات وعنصر المعاملات » (ص ٦٨) .

وعنصر العبادات في رأيه : حرام إلا ما أمر به الله . .

وعنصر المعاملات : حلال إلا ما نهى عنه الله . .

وبذلك يخلص إلى أن هذا « في اصطلاح القانون الإسلامي ما يطلق عليه **البراءة الأصلية** .

وهذه الرؤية تنطلق عند الدكتور محمد ناصر من مفهومه لأساس كل « **فكرة** » التي يعرّفها بقوله :

« إن كل فكرة Ideology ليست مجرد تشكيلة من الآراء والنزعات ، ولكنها شيء أكبر من ذلك ، أكبر بكثير ، إنها تستمد كيانها ووجودها من مقدرتها الأساسية على التوفيق بين نتاج العقل ونزعات النفس ، إنها مزيج من الرأي والعاطفة ، من الفكر والروح ، وعلى قدر مقدرتها ، وعلى قدر استواء مزيجها ، يكون امتداد جذورها وعمق آثارها ! » (ص ٢٩ ، ٣٠) .

ومنها كذلك . . من هذه الفكرة يواجه المعارضين لإسلامية الدولة في أندونيسيا القائلين بوجوب الديمقراطية أساساً للحكم في حين يلقى



تاريخ العلوم عند العرب

سيعقد خلال الفترة من ١٤ ـ ١٥ نيسان (أبريل) من عام ١٩٨٢ م، **المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب** وذلك تحت إشراف وتنظيم «**معهد التراث العلمي العربي ـ بجامعة حلب**»، وسيكون المؤتمر حول (**الترجمة والإبداع عند العرب**)، إذ ستناقش موضوعات عدة أهمها :

★ بواكير الترجمة وتوسعها في العصر العباسي .
★ دور اللغة الفارسية في مجال الترجمة .
★ دور الناطقين بالسريانية في الترجمة .
★ الأسباب التي دعت لقيام حركة الترجمة .
★ المراكز الثقافية المهتمة بالترجمة والتي أثرت في الحضارة العربية .
★ أبرز المترجمين العلميين العرب .
★ أهم المؤلفات العلمية المترجمة وتأثيرها في الغرب .
★ أهمية الترجمة حضارياً، ودورها في نشر الوعي العلمي الذي يعد الخطوة الأولى نحو الإبداع والابتكار .
★ الرد على الادعاء بأن «العرب نقلة للعلوم فقط» إلى غير ذلك من المواضيع الهامة .



أسبوع للكتاب التونسي

أقيم في (المنامة) معرض للكتاب التونسي وذلك تحت إشراف وزارة الشؤون الثقافية . احتوى المعرض على مجموعة من الكتب والمطبوعات التونسية المختلفة الدينية والثقافية والأدبية والاجتماعية والتراثية وكتب الأطفال .



أسبوع ثقافي يمني

أقيم في (**الدوحة**) ضمن نطاق التعاون الإعلامي بين دولة قطر والجمهورية العربية اليمنية، **أسبوع ثقافي يمني** وذلك خلال الفترة من ٢ ـ ٨

حججهم مخالفة لمبادئ الديمقراطية قائلاً :

«إن من مبادئ الديمقراطية أن تنال الطائفة الحاكمة موافقة الأكثرية، وأن تنال الأقلية المخالفة لآراء الأكثرية حقوقها من الحياة في المجتمع .. ولكن الغريب أننا حين ندعو إلى الإسلام كنظام للدولة سرعان ما يقول بعض الناس «لا تجعلوا الإسلام أساساً للدولة، لأن الإسلام منهاج للحياة تدين به طائفة خاصة في حين أن هناك طوائف أخرى غير إسلامية» .

ثم يتساءل : ما موقف هؤلاء لو رفضت الطائفة المسلمة التي أبى الآخرون أن يُقبل نظامها لمجرد أنه نظام طائفة خاصة وقالت : أي مبرر يحتم علينا قبول ـ النظام غير الإسلامي ـ فهو الآخر ملك لطائفة خاصة لا تمثل كل الطوائف؟! (ص ٢٦، ٢٧) .

وهذا هو مفهوم واسع للديمقراطية التي يركز فكرة الدولة عليها ـ كما يدعو إلى ذلك الإسلام ـ فهي دولة ديمقراطية .. ولكنها ليست علمانية أو لا دينية .. إنها دولة ديمقراطية إسلامية (كما يفهمها الإسلام لا كما يفهمها دعاة الديمقراطية اليوم) .

ويستطرد قائلاً : «فإذا كان لنا أن نضع لهذه الدولة اسماً فلن نجد لها اسماً أوفق من «**الدولة الديمقراطية الإلهية**» Theistic Democracy» (ص ٧١) .

وعلى ذلك يوضح الهدف من وضع دستور الدولة حيث يقول :

«إن الإسلام منذ ظهوره أعلن وظيفته المتمثلة في قول **الرسول صلى الله عليه وسلم** : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وتلك القيم الروحية التي أتمها الرسول ليست إلا امتداداً للقيم التي وضعها الله على يد أنبيائه السابقين، ونحن اليوم حين نحاول وضع دستور لدولتنا نريد بذلك أن نحافظ على القيم الموجودة» (ص ٧٢) .

وإذا كان التعاون ـ إيجابيًّا ـ هو روح الأمة فالإسلام ـ في إطار بناء الدولة ـ ينادي بوجوب المحافظة على تلك الروح حين قال القرآن الكريم ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾، ومتى بدت ظواهر سلبية نجد الإسلام ينادي مرة أخرى ﴿ **ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾، وذلك بالإضافة إلى روح الديمقراطية التي تتضمن تعاليم الإسلام أن يؤخذ كل أمر بالشورى بقول القرآن الكريم : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾، كما يقول في نطاق نفس الروح : ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** ﴾، وعلى ذلك يرى الدكتور محمد ناصر (ص ٧٤) :

«إن وجود الناحية السلبية في التعاون والتعارف ـ ألا وهي الوطنية أو القومية المتطرفة التي من شأنها أن تزرع في النفوس بذور الكبرياء وتخلق العصبية للجنسية الممقوتة، فيشعر الناس أنهم أرفع وأسمى من الشعوب الأخرى، هو حاجز منيع لأصالة هذه الدولة . ومن أجل التأليف بين كافة الطوائف في أندونيسيا من أجل إقامة فكرة الدولة الإسلامية يرى أن روح التسامح التي تتجلى في قوله تعالى ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾ .. هي المنطلق والركيزة وهو يُسائل ـ هنا ـ المعارضين بقوله :

«أي سبيل تختاره للمحافظة على روح التسامح الديني في دولة كأندونيسيا تجتمع فيها عدة أديان؟ وللجواب عليه يقول : إنه لا سبيل إلا بالمحافظة على ما ذكره القرآن الكريم» (ص ٨١) .

بل إنه بهذا التساؤل يضع منهج كتابه الموسوم بـ «اختاروا إحدى السبيلين : الدينية أو اللادينية»؟ مطبقاً به نظرية الإسلام في بناء الدولة والأمة !

فاروق صالح باسلامة
مكة المكرمة



★ فريد أبو شهلا ★

من شهر يناير (كانون الثاني) لعام ١٩٨٢ م ، شارك فيه حوالي (١٠٥) من الأدباء والفنانين وأعضاء فرق الفنون الشعبية والمسرحية ، وقد تضمن ذلك الأسبوع إقامة أربعة معارض في متحف قطر شملت الفنون التشكيلية والكتاب والصناعات الحرفية التقليدية والصور الفوتوغرافية والطوابع ، كما تضمن أيضاً عرض مسرحيات وأمسية شعرية وندوة فكرية أقيمت بقاعة الجامعة بقطر .

الأحداث العربية

معرضان للكتاب والفنون

أقيم بمركز (اكسبو) بالشارقة **معرضان للكتاب العربي المعاصر والفنون الجميلة** . اشترك في معرض الكتاب **أكثر من خمسين من دور النشر في الدول العربية** بكتب يصل مجموعها إلى **نصف مليون نسخة** تضم حوالي **خمسة آلاف عنوان** من أحدث ما أنتجته هذه الدور من مؤلفات عربية في مجالات الأدب والصحافة والدين والتاريخ والفلسفة والسياسة والاجتماع والفن وكتب الأطفال وغيرها . أما معرض الفنون فقد اشتمل على العديد من اللوحات الفنية لعدد من الفنانين العرب والأجانب . استمرت مدة العرض عشرين يوماً ، وقد تخللها عدد من الندوات الأدبية والأمسيات الشعرية ، اشترك فيها بعض الأدباء العرب . أشرف على تنظيم المعرضين الدائرة الثقافية بالشارقة بالتعاون مع النادي الثقافي الاجتماعي وجمعية الإمارات للفنون التشكيلية .

وفاة فريد أبو شهلا

توفي نقيب الصحافة اللبنانية ورئيس تحرير مجلة «الجمهور» فريد أبو شهلا عن عمر يناهز الواحد والستين عاماً ، حيث ولد عام ١٩٢١ م ، في بيروت ودرس في مدرسة الحكمة وفي كلية الحقوق بجامعة القديس يوسف . عمل في الصحافة منذ حداثته إلى أن تولى رئاسة تحرير مجلة «الجمهور الجديد» التي ورثها عن والده (ميشال أبو شهلا) ، وقد انتخب عضواً في نقابة الصحافة اللبنانية أكثر من دورة ، ثم **رأس النقابة** على أثر اغتيال النقيب رياض طه في صيف عام ١٩٨٠ م ، كما كان **عضواً في اللجنة القائمة بأعمال بلدية بيروت** ، و**عضواً في المجلس الملي للروم الأرثوذكس ببيروت** ، هذا وقد توفي إثر مرض ألمَّ به .

نافذة

الحرية ومأساة شباب اليوم

أشكل الأمر على شبابنا في مفهوم الحرية والتحرر ، وهكذا باسم الحرية والعصرية قذفوا التراث بالجمود ، وهم ولا شك عن حقيقتهم غافلون ، وباسم التطور ركبوا كل بدعة وانتحلوا كل مذهب ، وفاتهم أن التطور لا يتناول كل شيء .. ولا يعبث بكل قيمة .. ولم يدركوا أنهم أمام وهج الثقافة الفجائية التي تهاطلت عليهم من شرق وغرب في مذاهب شتى اختلف ظاهرها بين رأسمالية وشيوعية ... واتحد باطنها في وحدة النبع الذي منه تستقي وإليه تعود : المادية ، وهكذا أصبح شبابنا ينساقون وراء المغرضين الذين زعموا بلغة العصر تحقيق كل شيء في كل شيء ، فكانوا كل شيء في لا شيء . ما كان هدفهم إلا زيف الحقيقة ومآرب شخصية ، ولجهل شبابنا ظلوا يعيشون تحت ضباب الرؤية ويعشعشون في الظلمات تحت ستار الإبهام بقلب مزدوج وظاهر يخالف الباطن ، فتشبث بالمعاش ولم يتشبث بالحياة .

اعتقد أن الحرية هي أن نجد ما نأكله كما يعرفها بذلك الماديون أصحاب فلسفة المضمون الاجتماعي ، ورحم الله رائدنا الكبير الفيلسوف **محمد إقبال** ، حيث يقول الإنسان يحيا ولا يعيش ، حيث إن الذي يعيش هو الحيوان أما الإنسان بحياته يقول لا للظلم ، لا للباطل ، لا للاحتكار والاستبداد ، ذلك هو الفرق بين العيش والحياة . فباسم الحرية والتقدم تهاطل الغزو الفكري وذلك هو هدف المستعمرين بعد أن يئسوا بغزو السلاح ، فوقع التفاوت في فهم الأشياء عن غير حقيقتها بين مدلول الحرية والتحرر ، فماتت الضمائر قبل موت الأجساد ، فتلوثت القيم ، ووقع التنكر للصدق والإحسان ، وأصبحت علاقة الشباب علاقة الذئاب ، حيث صار السلوك حيوانياً بعد أن كان إنسانياً ، وأصبح السافل عالياً والعلم شعوذة وادعاء ، حين نود مناقشة الشباب لماذا التنكر للأصالة ، فهذا ليس بمفهوم الحرية وإنما الجهل بالأشياء ، ولقد صدق الشاعر إذ يقول :

لا يبلغ الأعداء من جاهل
ما يبلغ الجاهل من نفسه

وإنه لمن العجز الوبيل أن نجعل من مثالب الماديين مقياساً لفضائلنا ، فنحن لدينا مفهوم خاص لحريتنا حسب قيمنا ولماذا الشباب لا يعرف هذا؟

★ كتب جديدة ★

● «**الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي**» ، تأليف **واضح الصمد** ، صدر عن **المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر** ببيروت .

● «**موسوعة المورد ـ المجلد السادس**» ، تأليف وإصدار **منير البعلبكي** ، صدر في **بيروت** .

وأذكر هنا ما حدث ذات يوم حين كانت الولايات المتحدة تقاتل بريطانيا ، وذهب واحد من دعاة الثورة ومحرضيها إلى أهالي فرجينيا ، وما شرع يتحدث في خطابه عن الحرية حتى صوبوا بنادقهم باتجاهه وقالوا له : ليس عليك أن تحدث عن الحرية فهي عندنا ونحن مصممون على الاحتفاظ بها . وهذا التعبير يعني أن المجتمع يعيش حسب حريته ، لا حرية غيره ، ولكن الخطأ الذي وقع فيه شبابنا هو أنهم قلدوا أشياء كثيرة دون أن يكلفوا أنفسهم مؤونة البحث ومشقة التروي حتى يأخذوا أحسنه على الأقل ، لذلك يحق لنا أن نسميهم بعشاق اللهو .

نعم باسم الحرية والعصرية فرطوا في أصول شخصيتهم المميزة وجذور وجودهم العريق عن جهل بقيمتها وعطائها . إنهم ضحايا الصراع المذهبي الذي استدرجهم من حيث لا يدرون إلى الانتماء إلى غير أصولهم ، لأنهم لا يفقهون روابط عقيدتهم التي قرعت أجراس الحرية فعرفتنا بأن الحرية الحقيقية هي العزة والسمو والاعتزاز بالنفس التي تستجيب لمقتضيات العقل والمنطق ، وكم كان الإسلام حريصاً كل الحرص على تأكيد معنى الحرية ، وقيمتها في الفكر العملي . إننا لا ننكر أن يكون هناك اجتهاد في الآراء ولكن يجب الأخذ بأحسنه ، ولقد صدق قوله تعالى في هذا المعنى **﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾** .

على الشباب أن يعلموا أن للحرية مفهوماً فلسفياً يختلف باختلاف آراء الفلاسفة ، لكن هناك مفهوماً قانونياً الذي يعني الجانب التنظيمي داخل كل نظام اجتماعي ، وهذا لم يختلف فيه أحد أي لا يمكن أن تمارس الحرية حسب رغبات الأشخاص ، وإنما تخضع لمقالب المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، لذلك (فالعصرية) **فالحرية التي لا تعزز قيمك الأصلية والتي لا تدعوك إلى احترام ذاتك وتنظيم مقومات المجتمع التي هي عنصر فعال ليست بحرية وإنما غش وخداع وتضليل** . حيث إن إرادة الله تريد دائماً أن تسير البشرية إلى الأمام ، لا . . إلى عصر الغاب ، **لأن الحرية ليست كائناً فرضياً ، ولا تعبيراً نظرياً . . إنها سلوك وخلق** ، يعززها القانون الذي هو مظهر إرادة الأمة ، والحرية لا يمكن أن يفهمها الشباب فهماً دقيقاً قبل أن يكون ثرياً في المعرفة ، وثرياً في الأخلاق ، وثرياً في الإنتاج ، فنحن نرى اليوم الغرب ، مثلاً ، ثري في الإنتاج ، فكلف نفسك أيها الشاب الكريم لتعرف ماذا حدث لهم من تقويض في الأسرة بسبب انعدام ثراء الأخلاق حيث تخلى عن قيمه وعن العقل والعلم ، هذه هي الفلسفة التي تسمى بالعلمانية ، فنحن لا نريد أن نكون كالجسم المتورم يملأ العين مهابة عن بعد ، وهو مليء بالأمراض والآلام .

وعلى الشباب أن لا ينساقوا وراء هذه المذاهب التي تنخر من قيم المجتمع وتدعوه إلى الانحلال والتفسخ الصهيونية العالمية ، ونحن أمامنا ووراءنا التاريخ الذي لا ينسى شيئاً ، لذلك أريد أن أسأل : من هو ماركس ، ومن هو هبرتا ، ومن هو فرويد ، ومن هو ماركيوز صاحب فلسفة الطريق المسدود الذي جاء يدعو في هذه الأواخر المرأة لتعود إلى عصر الغاب ، أي يعتبرها سلعة للغريزة الجنسية ، وأشيركم على كتاب تقرؤونه في الموضوع تحت عنوان «ماركيوز والجنس والحرية» وأذكركم في الموضوع كذلك ما وراء هذه الفتنة الكبرى التي تزعمها كما قلت الصهيونية العالمية برسالة كتبها أستاذ جامعي عبري إلى جريدة (المعارف) يقول فيها : ينبغي بسط نفوذنا والاستمرار فيه ، وبذلك ينبغي شن الغارات الإلحادية باسم العلم والحرية ، وسيساعدنا على ذلك سائر الأحزاب الشيوعية ، لأننا في خط واحد في هذا الهدف أي من ناحية نشر الإلحاد في المجتمع العالمي ، وخاصة في المجتمع الإسلامي والمسيحي معاً .

إذن ألم يأن لنا أن نفقه مكايد الاستعمار الغربي اتجاهنا بوسائله المختلفة حتى لا نتفاوت في فهم الأمور على غير حقيقتها وندفن إنسانيتنا بأنفسنا ، وحتى لا نلهث خلف الغرائز الحيوانية والاستهلاكية ورفاهية مزعومة ، وحتى لا نبيع مثلنا وقيمنا بأبخس الأسعار في أحط الأسواق إنها أسواق الضلال والخداع وإذ ذاك ينطبق علينا قوله تعالى **﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾** .

طبعاً لأنه حينما يتعطل العقل بالغفلة والمصادرة تمسخ إنسانية البشر وتهبط إلى دونية الدواب العجماء .

بقي لي أن أسأل سؤال ، أعني أسأل الشباب أين تتجه هذه الحرية بعد أن أصبحت المصانع الفخمة وساحات الرقص والفجور هي معابد شباب اليوم . . إنها تتجه نحو مزيد من الجنون واليأس والانتحار تتفنن في ارهاق البنيان المادي للإنسان وتطفىء فيه شعلة النور بالتمرغ في أوحال الشهوة والرذيلة .

وأود أن أختم حديثي أنه يجب أن لا ننسى أن الأخلاق رهين بالديمقراطية ، حيث إذا عرفنا الديمقراطية عرفنا الأخلاق كما يقول العلامة جود في هذا المضمار .

القاندي التهامي
المغرب

● **«موسوعة المحامي العربي»** ، تأليف **عمران محمد بورديس** ، صدرت عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** .

وفاة الأديب المرزوقي

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأديب والصحفي التونسي «محمد المرزوقي» عن عمر يناهز الخامسة والستين ، وذلك في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٨١م . كان رحمه الله **علماً من أعلام الفكر والأدب والثقافة البارزين** حيث أثرى المكتبة الأدبية بمجموعة أعماله في مجال البحث والدراسة والتأليف ، **فقد ألف حوالي (٤٠) كتاباً** في مختلف الفنون ما بين شعر وقصة ومسرحية وبحث وتحقيق في الأدب الفصيح والشعبي أيضاً . نال المرحوم **جائزة الحبيب بورقيبة الأدبية** لسنة ١٩٧٨م ، وحصل على العديد من **الجوائز التونسية والعربية** . رحمه الله وأسكنه فسيح جناته . .







★ جورج صاند ★ ★ بيتهوفن ★ ★ سيمون دي بوفوار ★

رسائل جورج صاند

قضى (**جورج لوبان**) **اثنين وأربعين عاماً** من عمره البالغ (٨٢) عاماً، **في العمل على جمع رسائل الأديبة الفرنسية الراحلة** «جورج صاند» التي تعتبر بحق مرآة صادقة تعكس كل القضايا الاجتماعية والفكرية التي شهدها القرن التاسع عشر، ومع مشقة البحث والعناء فيه نظراً لغزارة عمل تلك الأديبة وخاصة من الرسائل المتفرقة التي كتبتها في حياتها والتي لم يكشف عنها إلى الآن، وبالرغم من دخول (لوبان) في مرحلة الكهولة إلا أنه يمتلك في نفسه إحساساً قوياً للمجازفة في هذا العمل **بالرغم من كل ذلك فقد تمكن من جمع معظم تلك الرسائل** وأصدر منها إلى الآن (**خمسة عشر مجلداً**) ويقول إنه **يأمل في إصدار** (**خمسة مجلدات**) في **العشر سنوات القادمة** إذا طال به العمر.

تاريخ الفكر الإنساني

ذلك **هو اسم الموسوعة الجديدة** التي شرع في تأليفها **مؤلف الموسوعي** «**روجيه مورفان**» الفرنسي المعاصر الذي يعد **وريث الموسوعي الفرنسي الشهير** «**ديدرو**»، هذه الموسوعة تحتاج إلى (١٥) عاماً للانتهاء منها، ويأمل (**مورفان**) في نشر الجزء الأول منها عام (١٩٨٥) م، الذي يوافق ذكرى وفاة الكاتب الفرنسي (هوجراد). وكان (مورفان) قد أصدر من قبل «**موسوعته الدولية للعلوم والتكنيك**» والتي تقع في عشرة أجزاء ونشرها في سنة ١٩٧٩ م، وبيع منها أكثر من (١٨) ألف نسخة.

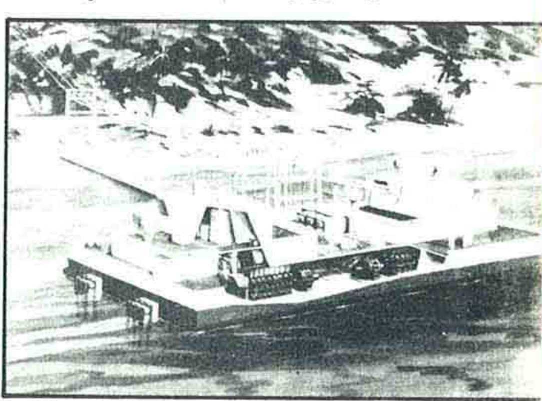
متحف الفن في القرن العشرين

ذلك هو **متحف أورساي** الذي أوشكت الأوساط الفنية الفرنسية على الانتهاء من بنائه والذي سيفتتح خلال عام ١٩٨٥ م، سوف **يضم الأعمال الفنية التي رسمها كبار الفنانين الفرنسيين** وذلك **خلال الفترة من ١٩١٤ ـ ١٩٥٠ م**، كما سيضم **أعمال الفنانين المعاصرين**، من بين اللوحات التي سيقتنيها المتحف تلك التي تمثل المدارس الفنية المختلفة من **تعبيرية وتكعيبية وحوشية**.



محطات التوليد العائمة

من المفروض أن يتم تدشين محطتي توليد



عائمتين على شواطئ جزر فيساياس في **الفلبين** في أواسط عام ١٩٨١ م، تبلغ استطاعة كل **محطة ٣٢** مليون واط/ ساعة، والوقود المستعمل فيها هو الفيول أويل الثقيل. تقوم بعلمية البناء والتركيب شركة هيتاشي اليابانية. تحتوي المحطتان على ٨ محركات استطاعة كل منها ٨٥٣٠ كيلوواط/ ساعة تدور بسرعة ٥١٤ دورة في الدقيقة، وهي من صنع شركة سيمنز الألمانية. والصورة تبين نموذجاً للمحطتين العائمتين.

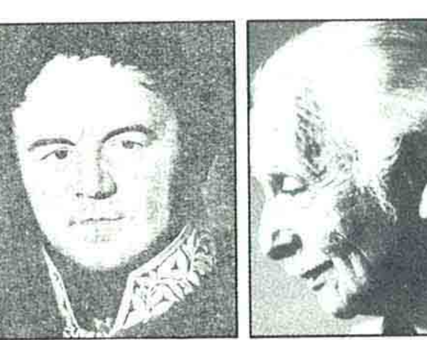
تصوير المفاعل النووي من الداخل

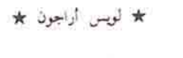
أثارت حادثة ثري مايل آيلند في ربيع عام **١٩٧٩** م، ضجة عالمية حول أمان المفاعلات النووية. وقد دل تقييم الحوادث السابقة أن مثل هذه الحوادث يغير مواقع «**أنابيب الوقود**» النووي. تتكون نواة مفاعل متوسط الحجم من حوالي ٤٠٠٠٠ من ألياف الوقود، وهي عبارة عن أنابيب معدنية طول كل منها ١٢ قدماً وقطره ١/٢ بوصة. إن نوعية حركة أنابيب الوقود ومقدارها تعطي فكرة عن مدى جدية الحادث، لذا قام مهندسو مختبر ساندبانا القومي الأميركي بتصميم جهاز يسمح بمشاهدة حركة القضبان في نواة المفاعل.

يوصل هذا الجهاز مع نواة المفاعل ويكشف إشعاعات غاما فيمتصها ويحولها إلى ضوء مرئي يتم تسجيله على صفيحة فوتوغرافية. عند انزياح القضبان فإنها تولد صورة فيها الكثير من التداخل الفراغي تفضح مدى جدية الحادث فور وقوعه.

في الصورة: رقم ١ ـ نواة المفاعل. رقم ٢ ـ حجرة الاختبار. رقم ٣ ـ نظام المشاهدة والتصوير.







★ بيكاسو ★ ★ لويس أراجون ★ ★ ستاندال ★

معرض للإعلانات الإنكليزية

أقيم في (باريس) معرض يعكس الحياة الفنية البريطانية من خلال الإعلانات وذلك في الفترة من ١٨٨٠ ـ ١٨٩٩ م، من الإعلانات التي جذبت انتباه الجمهور الفرنسي إعلان حول قصة «سندريلا» التي غلبت عليه الألوان الصارخة وخاصة الأحمر والأصفر، وكذلك إعلان حول مسرحية «براند ـ لإبسن» وعدد من الإعلانات الأخرى حول السيرك والأوبرا.

معرض للفنان لورجو

أقيم في (باريس) معرض للرسام الفرنسي المعاصر «لورجو» والذي تخصص في **رسم الإعلانات السياسية**. ضم المعرض مجموعة من **اللوحات الفنية** التي توضح كيف أصبح لورجو الشاهد الحقيقي على عصره، فأعماله تعكس أبعاد نفسية الإنسان وما تنطوي عليه من العنف، فهو يريد من خلالها تجسيد معالم العنف البشري، والمعروف أن (لورجو) ولد عام ١٩٠٨ م، وتخرج من كلية الفنون عام ١٩٣٠ م، ثم بدأ بتقليد لوحات كبار الفنانين وقدم لوحاته، أو بعضها للفنان العالمي **(بيكاسو)** ولاقت تشجيعاً منه.

وفاة برنارد جافوتي

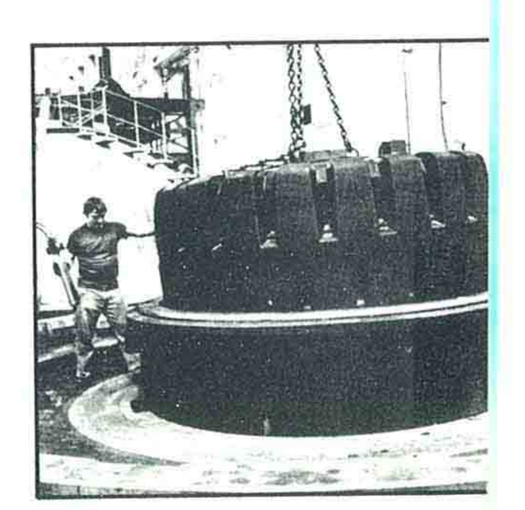
توفي في باريس «برنارد جافوتي» عن (٧٣) عاماً، وبرنارد **ناقد موسيقي لصحيفة الفيجارو الفرنسية** المعروفة والذي كان يكتب تحت اسم مستعار هو «كلارنيدون». ولد برنارد عام ١٩٠٨ م، وشغل في حياته مناصب كان آخرها عمله في الصحيفة. أعد العديد من الأفلام التسجيلية للتلفزيون الفرنسي حول حياة كبار الموسيقيين العالميين وله مؤلفات كثيرة في هذا المجال.

* أحدث الكتب *

- **«الفن الحديث من خلال أراجون»**، تأليف **الشاعر لويس أراجون**، صدر في **باريس**.
- **«رسالة اعتذار»، قصة قصيرة** تأليف **رفائيل بيللوتر**،

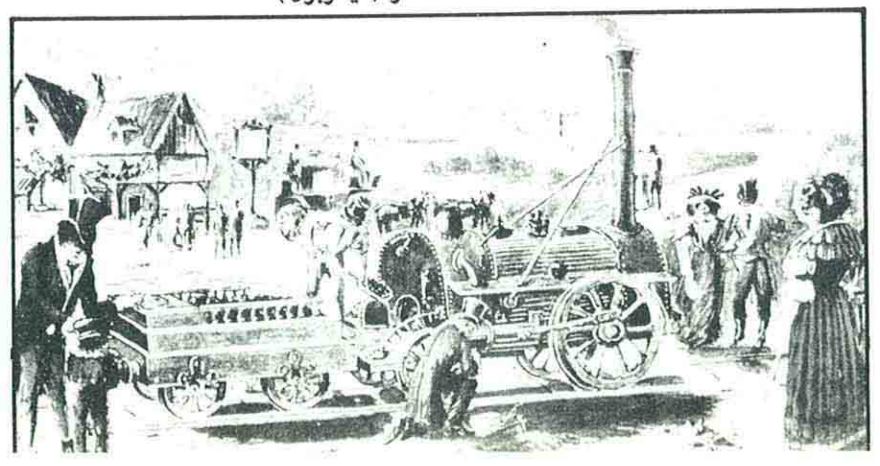
أكبر عجلة في التاريخ

تسير السيارات الشاحنة ذات **حمولة (١٠٠) طن** على عجلات عملاقة يصل قطرها إلى ٦,٥ م، فهي أكبر العجلات في العالم. يتم إنتاج هذه العجلات في **مصانع غوديير الأميريكية** حيث تعالج بالكبريت تحت ضغط قدره ١٣ مليون كغ، وهذا يعادل ثلاثة أضعاف قوة دفع **الصاروخ ساتورن ـ ٥**، الذي حمل مركبة أبولو إلى القمر. العجلة الواحدة تكلف حوالي ٥٠ ألف دولار.



القاطرة رقم (١)

قبل حوالي ١٥٠ سنة، وبالتحديد في ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٨٣٠ م، انطلقت **أول قاطرة لنقل الركاب** في العالم، وقد وضعت هذه القاطرة لتعمل على خط طوله ٤٨ كم، يصل بين المدينتين الإنكليزيتين **(مانشستر)** و **(ليفربول)**.



صدرت في باريس .

● « **مراسم الوداع** » ، تأليف **سيمون دي بوفوار** ، صدر عن **دار غاليمار الفرنسية** .

● « **ستاندال مؤرخاً** » ، تأليف **بيير جورج كاستكس** ، صدر في **باريس** .

● « **رسائل ديغول** » ، **الجزء الثالث** ، صدر عن **دار النشر الفرنسية** « **بلون** » .

● « **الجغرافية البشرية للعالم الإسلامي** » ، ج ٣ ، تأليف **أندريه مايكل** ، صدر في **باريس** .

تركيا

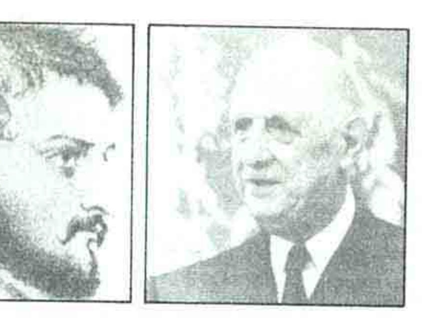
ذكرى جلال الدين الرومي

احتفلت الأوساط الثقافية التركية بذكرى مرور سبعمائة عام على مولد **الشاعر الفيلسوف** « **جلال الدين الرومي** » الذي **كان له أكبر الأثر على الثقافة التركية** فضلاً عن **أثره على الأدب والثقافة الإيرانية والهندية** ، تضمنت الاحتفالات به عرض لقصائده ومناقشة آرائه في المجالات المختلفة ، والمعروف أن معظم أعمال جلال الدين ترجمت لمختلف اللغات ومن أشهرها ديوان « **شمس تبريزي** » .

ألمانيا

جوائز ألمانيا

خصصت في ألمانيا الاتحادية **جوائز عديدة** تمنح **للشبان النابغين** في شتى فروع العلم والأدب ، وتحمل أغلب الجوائز الأدبية عادة اسم أحد كلاسيكيي الأدب الألماني . فهناك مثلاً **جائزة (شيللر) وجائزة (لسينج)** أو جائزة **(هيل)** ، **وقد جرت عادة معهد (جوته)** أن يقوم في يوم ذكرى وفاة الشاعر (جوته) أي في ٢٢ مارس (آذار) من كل عام بمنح جائزته للعلماء والمربين الأجانب الذين برزوا في تنشيط دراسة اللغة الألمانية في الخارج ، وقد خصصت منشأة « **انترناسيونس** » جائزة **(للمؤلفات الأدبية والفن التشكيلي)** ويجرى منحها أيضاً للأجانب ، وقد تم منحها





★ ديجول ★ ★ لبسنج ★

في عام ١٩٨١ م ، للناشرة الأمريكية « هيلين وولف » بنيويورك ، ومن الجوائز الدولية المعروفة التي تمنح بألمانيا الاتحادية **(جائزة السلام)** لهيئة تجارة الكتب الألمانية ، وقد شرع في منحها لأول مرة في عام ١٩٥٠ م ، وذلك للشخصيات أو الجهات التي برزت بجهودها في سبيل نشر السلام والتفاهم في جميع أنحاء العالم ، ثم تأتي جائزة **(لودفيج فان بيتهوفن)** في طليعة الجوائز التي تمنح في الموسيقى ويتم منحها في (بون) **مسقط رأس بيتهوفن** ، ثم تأتي جائزة مدينة « **نورنبرج** » وهي جائزة **(البرشت)** وتخصص للمبرزين في ميدان الفنون التشكيلية ، كما تمنح جائزة **(الفن البرلينية)** للغرض ذاته .

ومن **أشهر الجوائز العلمية في ألمانيا** الاتحادية جائزة **(باول ايرليش ولودفيج دارمشتيتر)** ، **وتمنح جائزة (إدوار راين)** لبحوث **التلفزيون** ، أما الأفلام السينمائية فلها جائزة تسمى باسم جائزة (الفيلم الألماني) ، وهناك جوائز مخصصة للأحداث والشباب وتحمل اسم **(الشبيبة تبحث)** كما وتمنح أيضاً لمؤلفي كتب الأطفال أو المخرجين للأفلام السينمائية الخاصة بالأطفال وذلك من أجل زيادة النشاط في الميدان الثقافي .



أمريكا

وفاة بابينج

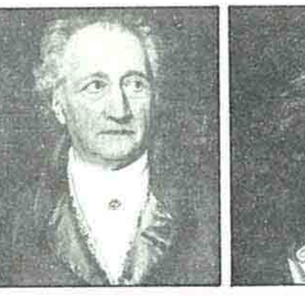
توفيت في نيويورك **الروائية الأمريكية** « **مارجريت بابينج** » عن (٩٠) عاماً وذلك إثر هبوط مفاجئ في القلب أثناء كتابتها لرواية جديدة تتناول فيها قضايا المرأة المعاصرة ، وقد تناولت هذه الروائية في جميع أعمالها مشاكل المرأة ، محاولة وضع حلول لها **وذلك من خلال (٤٠) كتاباً** و (٤٠٠) قصة قصيرة . من أشهر رواياتها « **السقوط** » التي نشرت عام ١٩٥١ م ، والتي عالجت فيها قضية الزواج من الجنسيات والأديان المختلفة ، هذا وقد قامت بعمل أبحاث ميدانية حول أوضاع المرأة في دول مختلفة منها إنجلترا وألمانيا وسجلت نتائجها في مقالات نشرت وقتذاك .

★ أحدث الكتب ★

● « **الشاطئ الأيسر** » ، وهو **تاريخ للحركة الأدبية الفرنسية خلال الفترة من ١٩٣٠ ـ ١٩٥٠ م** ، تأليف **هربرت لوتمان** ، صدر في **واشنطن وفي باريس** .

● « **الإسلام والنظام الاقتصادي الدولي** » ، صدر عن **المعهد الدولي لدراسات العمل في نيويورك** .






★ شيللر ★ ★ جوته ★ ★ لودفيج ★

إسبانيا :

كشف أثري

في **وادي عبد القيس** في منطقة (**مالقة**) **الأندلسية** على بعد ستين كيلومتراً من المدينة ، **عثر على بيت قروي** يعود إلى **العصر الروماني** ، تبلغ مساحته حوالي تسعمائة متر مربع ، وقد عثر على أدوات عديدة ترجع إلى تلك الحقبة منها أدوات خزفية ودراهم تعود للقرن الثالث الميلادي ، ويعتقد بأن هذا البيت كان مقراً لعائلات رومانية ميسورة الحال ، تعيش بالقرب من مدينة «**نسكانيا**» الواقعة من الناحية الجغرافية بالقرب من المكان المعروف حالياً بوادي عبد القيس .

مؤلفات لوركا في مجلد

بمناسبة مرور (٤٥) عاماً على **وفاة الشاعر الإسباني لوركا** الذي قتل على يد الفئات الفاشية في إسبانيا إبان الحرب الأهلية عام ١٩٣٦ م ، واهتماماً بمؤلفات هذا الشاعر فقد **صدر أخيراً في الأسواق الفرنسية مجلد يحتوي على مؤلفات الشاعر الشعرية والنثرية .**



النمسا :

الاحتفال بمولد زفايج

احتفلت الأوساط الأدبية في النمسا بمرور مائة عام على مولد الكاتب النمساوي (**ستيفان زفايج**) الذي عاش يدافع عن قضايا الحرية والعدالة ، وقد انتشرت مؤلفاته حول هذه القيم في أوروبا خلال القرن التاسع عشر . من أشهر كتب زفايج «**منزل على الشاطئ**» و «**الحضارة الأوروبية**» وهي سلسلة مقالات أدبية .



إيرلندا :

معرض لأعمال ماتشام

أقيم في «**مجلس الفنون الأيرلندي**» معرض يعكس الحياة الفنية وأشهر أعمال المهندس المعماري «**فرانك ماتشام**» الذي يعد من **أشهر مهندسي العصر الفيكتوري** ، ويرجع إلى (ماتشام) الفضل في تصميم **دار أوبرا بلفاست** ، **ومسرح هامر سميث** ، **ومسرح هيبودروم** فضلاً عن **تشييد وتحديث (١٥٠) مسرحاً** ، هذا وقد عكس المعرض التطور المعماري الذي طرأ على أعمال (ماتشام) طوال فترة حياته الفنية .

اليابان :

معرض لأعمال هيروشيخ

أقيم في **متحف** «**سرموسن**» بالعاصمة اليابانية **معرض لأعمال الفنان الياباني (هيروشيخ)** الذي ذاع صيته خلال القرن التاسع عشر بعد قيامه برحلات فنية في أنحاء اليابان استوحى منها معظم لوحاته ، والمعروف أن هيروشيخ الذي ولد عام ١٧٩٧ م ، وتوفي عام ١٨٥٨ م ، قد أثر بدوره تأثيراً كبيراً على الاتجاه التأثيري في الفن في أوروبا الغربية .

* أحدث الكتب *

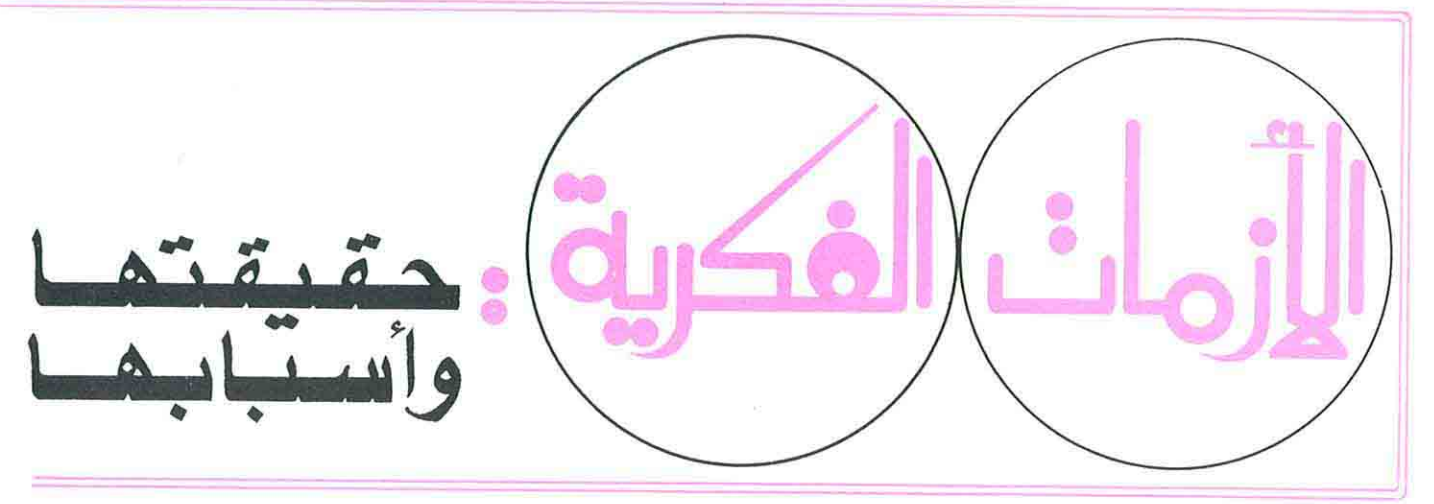
● «**المحادثة اليومية باللغة المقدونية**» ، صدر في **طوكيو ويضم أساسيات اللغة المقدونية** ، قام **بإعداده خبير ياباني** قضى عدة سنوات في **جمهورية مقدونيا اليوغسلافية .**

بريطانيا :

* أحدث الكتب *

● «**الموسيقى والدواء**» ، تأليف **الدكتور باتريك ليشيفيه** ، صدر في **لندن** .

● «**ليس العقل هو بيت الداء**» ، بقلم **الدكتور ريتشارد ماكارس** ، صدر في **لندن** ، **ويعالج فيه موضوع الحساسية .**



الأزمات الفكرية: حقيقتها وأسبابها

بقلم: عبد العزيز بن عبد الله

إن العالم يتطور ـ ضمن علاقات موصولة بين شعوبه ـ في مسار متحرك تتفاعل فيه مؤثرات تمس أشد النبرات حساسية في المجتمع المعاصر.

إن الإنسانية عرضة لتقلبات تنبثق عن مشاكل جديدة، وبالأخص عن نظريات متجددة حول مناهج الحياة وبعض مجالي الحضارة.

وهكذا يخضع رجل القرن العشرين لمؤشرات تكيفها وتعللها مجموعة من العوامل أبرزها شعور بالشخصية، أو حس بالذات أدى إلى تفجير طاقات تولد عنها ما يسمى بالعالم الثالث.

إنها هوية لم تتمخض فقط عن رغبة ملحة في التحرر من نير كتلتين تحركهما باستمرار قوتان عظمتان، بل إن تفتق هذه الهوية استمد مفهومه من شعور عارم بالغبن والابتزاز تولد هو الآخر عن تصرفات استعمار جديد مقنع لا يزال يحن إلى ما تميز به وامتاز ضمن قرون مضت، فالمجاذبات التي نعيشها اليوم بين **الشمال والجنوب** ليست سوى مظاهر تبلور انفصام العالم إلى معسكرين يُوصَم أحدهما بالتخلف والعجز الذاتي وعدم الكفاية الفكرية بحيث تظل المأثرات والفوارق المادية في العمق المعيار الوحيد للتقدير والتقويم.

إن فكرة تبعية الشعوب بعضها لبعض فكرة رائعة لأنها تنبثق من أعماق الفكر الإنساني الفطري، غير أنها استعملت في مسار وحيد الاتجاه يخضع فيه الأضعف للأقوى، ويسخر فيه الأشد فقراً للأكثر ثراء وغنى بحيث نرى موارد الطاقة والمواد الأولية من جهة، كما نشهد من جهة أخرى فكرة استثمار واستغلال هذه الطاقات والثروات من طرف ثلة من المنتجين لا تزال ـ على ما يظهر ـ تحت تأثير حقب ولت وعهود أدبرت كانت لها خلالها سيطرة عسكرية يذكيها مركب سمو واستشعار بالسؤدد والكمال الذاتيين، وهكذا يتجلى القانون الدولي نفسه وكأنه معلول لبواعث صارمة، تغذيها وجهات عَقَدية أوجدت لنفسها مبررات طوال أجيال في لَبوس حضارة معاصرة طريفة.

وقد تولَّد عن هذا الشعور الاحتكاري ما أدى إلى خلل في الكيان البشري، أسفر عن أزمات مزمنة، تحركت لها كوامن العالم الحديث في اضطرابات متوالية.

وما دامت مظاهر عدم التساوق هذه متحكمة، فإن أي حل للأزمات التي تواجهها الإنسانية، سيظل مجرد دواء موقوت يهدئ الألم ولا يستأصله.

إننا لم نحاول في عرضنا هذا إضفاء طابع شرقي باسم الإسلام على عالم مغاير للعالم العربي، مع أن أوروبا حاولت بالعكس (تغريب) الشعوب المستضعفة التي جعلها القدر تحت سيطرتها وذلك باسم فكر ديني وتقاليد هلينية يهودية مسيحية، وقد عبَّر زميلنا **(مارسيل بوازار)** عن هذه الحقيقة[1]، مؤكداً «أن واضعي قانون الشعوب، حاولوا باسم المسيحية، فرض قواعد لتسيير الحروب في أواخر العصور الوسطى، وتعللوا بمثل هذه المراسيم بعد ذلك إلى القرن التاسع عشر».

إن العالم المعاصر يسعى لحل مشاكله الدولية في نطاق معلمة متحجرة جامدة يبقى فيها كل تجديد أو تعديل مشروطاً بتغذية مصالح توصف بأنها مكتسبة دون أية رعاية للخلق الدولي.

وهكذا يتعارض المسار الغربي المطبوع بخاتم عقدي مع انطلاقة عارمة لدى شعوب استرقها الاستعمار، نحو التحرر والتطور ضمن تعادلية حق مجردة من كل عوامل العنصرية والمؤثرات الدينية.

فإذا كنا نحن المسلمين الذين نمثل ربع الإنسانية ننطلق حتماً من عقديات، فإننا متمسكون بقيم معنوية وبحضارة متغلغلة في أعماق التاريخ، تطبعها روح إنسانية عالمية لا مجال فيها للتنطعات أو التزمتات من أي صنف وأي طراز. إن التخلف والعنف كوسيلة قمعية وما يستتبعان من قصاص وثأر، كل ذلك يشكل عوامل اضطراب تقابلها

قرارات وضعتها **هيئة الأمم المتحدة** لمواجهة اللجوء إلى القوة والعدوان ، غير أن تطبيقها يتعثر في « روتين » أو ربما في تقنينات شاذة تعرقل السير الطبيعي لما صدقت عليه الأمم والشعوب من مراسيم وإجراءات .

الأزمة .. وماهيتها

إن مفهوم الأزمة ومدلولها ما زالا لم يتحررا من تعقيدات كانت وليدة روح استعمارية جعلت من العنصر الخلقي والروحي جزءً متضائلاً يذوب في خضم بنيوي كلاسيكي ، يشكل التعليل الوحيد الذي فرض نفسه ولا يزال ، ذلك أن المحتوى الاقتصادي يشكل القوام الجوهري ، لا الأقوى فقط ولكن الفريد في هيكل مادي ، تبرز فيه دواعي الخلل المالي والفلاحي أو الصناعي أو الاستهلاكي بما تثيره من هزات وأزمات واضطرابات وانفصامات في التوازن بين الإنتاج والاستهلاك وانهيارات في مصافق المعاملات وإفلاسات وبطالات ، وتخفيضات في العملات ، وفيوضات إنتاجية ، مما لا يترك مجالا للعامل الخلقي الذي يكمن فيه أحياناً الحل الأمثل لكثير من المشاكل والأزمات .

فإلى منتصف القرن التاسع عشر لم تكن الأزمات ـ التي لم يراع فيها سوى جانبها الاقتصادي ـ سوى أزمات **نقص في الإنتاج الفلاحي** ، نتج عنه خلل في **الاستهلاك الصناعي** بسبب انخفاض القوة الشرائية لدى الفلاح ، وكثيراً ما تنتج المجاعات ـ التي هي أبرز مظهر في الأزمات ـ عن خصاص في المحاصيل الزراعية وفي هذا الدور والتسلسل يتدخل ارتفاع الأسعار لخلق اضطرابات زراعية وتوقف للإنتاج الصناعي بل إن الفائض الصناعي النسبي تنطلق منه أحياناً الآلية المحتومة التي يتحرك منها دولاب الأزمات .

وفي كل هذا المسار يظل العنصر المادي هو المحرك الوحيد في نظر معظم رجالات التخطيط في العالم المعاصر وقد أصبح التسلح والتسارع إلى اختراع أشد الأسلحة فتكاً عاملا دعم المعاملات المادية وضاعفها **فالقنبلة النترونية** تعكس سياسة جديدة من الصمود ، تصبح الإنسانية فيها رهاناً تتجاذبه كتلتان تتفاعل فيهما عوامل الخراب والدمار .

أين المفاعل الروحي والمعنوي في كل ذلك ؟ إن عامل الكبت الخلقي انهار إلى غير قرار .

والعالم الثالث الذي تتضخم في هذه الحال أعداده ، ينتظر في قلق وحيرة ، ورعب أحياناً ، تفجرات ستكون البشرية بكاملها ضحيتها الأولى ، وكأني بالإنسان تحركه وتذكيه غريزية وحشية ينفعل فيها الحس الخلقي ضمن سلم براكماتيكي متحرك تتجرد فيه القيم من جوهرها الإنساني .

وهذا الانهيار للمقومات الخلقية في مواجهة تسلسل الأزمات يؤدي حتماً إلى خلل في التوازن الإنساني ، وفراغ في مجرى التاريخ ومثالياته المتصاعدة ، ومع ذلك فقد يكفي أحياناً عامل معنوي أو خلقي ضئيل لسد فراغ أو تقويم أود أو معالجة مشكل .

والواقع أن بعض أصناف الإنسانية في عالمنا الحديث لم تعد تستعمل لغة واحدة في التخاطب والتفاهم بل إن البعض بدأ يتبادل الاتهامات والمنابزات في سوء نية متبادلة ليس من شأنها أن تساعد على تحقيق التقارب لحل المشاكل ، إننا لا نود أن نوصَم بالعمل على إقحام عنصر ديني في بلورة مبادئ أو مسلمات لا يعنينا منها إلا مظهرها المعنوي والخلقي الذي هو تراث الإنسانية بكاملها غير أننا نتجه قسراً عنا في محاولة تعريف وجهة نظر العالم الثالث المتبلور في **المجموعة الإفريقية الآسيوية** التي يسودها على ما يلوح الطابع الإسلامي .

لقد أوضح صديقنا بوازار[٢] : « **إن الموضوعية التاريخية بل مجرد العدالة تحذو إلى التذكير بأن الحضارة التي تبنت ثقافة البحر المتوسط طوال سبعة قرون من العصور الوسطى ـ كانت إسلامية ، ولا يوجد ضمن هذه النظرية الإسلامية ميز بين ما هو محتوم قانونياً وبين الواجب الخلقي** » .

ثم أضاف زميلنا بوازار[٣] : « **إن الإسلام يمتلك عناصر جواب عن التساؤلات الأساسية في العصور الحديثة ..... وبذلك أقامت الشعوب الإسلامية إثر تخلصها من الاستعمار مرآة قد تنعكس عليها صورة متخيلة للمجتمع الإسلامي في المستقبل** » .

وقد لاحظ (بوازار) في مكان آخر « إن الفلسفة الغربية ، وكذلك تاريخ أوروبا منذ القرن التاسع عشر خاصة ، قد ساهما في وسم النظام القانوني الدولي بسمة إيجابية بارزة ترفض كل اعتبار خلقي أو روحي ، وبالرغم عن حربين عالميتين لم يعرف ذلك النظام كيف يتلافاهما ، وبالرغم كذلك عن محاولة حديثة أكثر نسقاً لتنظيم مجتمع الدول عن طريق هيئة الأمم المتحدة وفروعها المتخصصة ـ فإن القانون الدولي ما زال على ما كان عليه ـ لم يطرأ عليه أي تغيير في روحه » .

وهكذا يمكن القول بأن الإنسانية أمست موضع تجاذب بين معطيات متناقضة ، تنبثق إما عن التزامية متحجرة أو عن منطلق مخلص نزيه ينتجع بروز الحقيقة ، ومن حسن الحظ أن طائفة من النخبة الفكرية المعاصرة ـ وهي متجهة نحو التحرر والانعتاق ـ لم تستطع مؤشرات المادية ومغرياتها امتصاصها ولا صرفها عما هي بصدد البحث عنه ، فهي تجهد النفس منتقية بين ثنايا كتلة غير متساوقة الوجهة الروحية التي ترى أنها المنطقية أو الحركة السياسية الاجتماعية الأوفق والأكثر انطباقاً على مبتغاها ، فلا الموروثات المجردة تعمي بصرها ، ولا العقلانيات أو النفسانيات أو التقليديات الواهية تستخفها ، ففكرها الخلاق المبدع فكر حر قد اكتمل توازنه بتعهدات رصينة تفجَّرت عن معطيات العلم الحديث الذي بدأ ينطلق في يسر وفعالية بفضل جوهره المادي والروحي المزدوج !

الأزمات الفكرية: حقيقتها وأسبابها

نعم إن العلم نفسه، في تجاربه الإنسانية الواعية، بدأ يحدونا إلى البحث عن النسق المساوق بين عناصر كياننا في تلك الازدواجية.

ماذا عن الحلول؟

إن مستوى الحياة ومسارها في القرن العشرين يضعان مشكلاً إنسانياً يهم عالمنا الإفريقي الآسيوي بالدرجة الأولى، فهذه الالتزامية التي كاد تسلسل الأحداث في مخبرها الاستعماري يفرضها علينا يجب أن نخضعها لاختيارات منطقية أي إنسانية، تقدر فيها قيمة كل مبدأ تبعاً لمدى ما ينطوي عليه من مرونة وصلاحية لمسايرة روح العصر في هيكلها المزاوج بين العقل والعلم والمادة والروح.

إن تكامل العنصرين والتوازن بين معطياتها التي كان البعض يرى تناقضها هو سر الحل الفاصل والدواء الناجع لكثير من المشاكل التي تتعقد بسبب انحيازها عن البساطة الفطرية الكامنة في توازن مقومات الإنسان، فلا مادة بدون روح، ولا روح بدون مادة، ولا حل منطقياً إنسانياً بدونهما معاً.

وفكرة التكامل هذه قد أدرجها في مسلمات الفيزياء الحديثة العالمان **(هيزنبيرغ)** (W. Heisenberg) و **(نييلز بوهر)** (Niels Bohr.) جاعلين منها أحد المفاتيح الرئيسة التي تساعد الإنسان على إدراك مغزى ما كان يراه متناقضاً، بل مستحيل الإدراك! **فالرياضيات الماورائية** Métamathématique يتجه إلى بلورتها علم الغد الذي سيكشف حقلاً مغايراً للحقل المعهود للعمليات الذهنية، كما سيرفع النقاب عن الأبعاد الجديدة المرتكزة على فكرة تبناها المؤتمر العالمي للفيزياء الذي انعقد في بيكين عام ١٩٦٦ م، لدراسة مختلف أشكال الطاقة ما جل منها أو دق، مبرهناً عن وجود بنية سيكولوجية عليا.

في ظل هذه المعطيات العلمية، أمسى الإنسان يؤمن بأن **الإنكارية الاستئصالية** (nihilisme) لم تعد خاصية الفكر الحر، وأن التقليدية اللامنطقية يجب تنحيتها كأسلوب غير إنساني من شأنه أن يشوه اختيارات الفكر!.

إن قوة الإنسان كامنة في قدرته على الاختيار، وفي الشعور بحريته في هذا الاختيار، ولكن في نطاق توازنه الروحي المادي كإنسان!.

ذلك أن الحكمة المثلى تكمن في هذا الاختيار الذي يتجلى في بساطته من قبيل السهل الممتنع!.

إن الخلق العالمي ليس لقيمه المثلى حدود مصطنعة، ولا يمكن لأي كان أن يحد من مداه الإنساني الذي هو سر مثاليته.

وهذه الوحدة الأصيلة بين الحضارات والتزاوج العريق بين الاختيارات الحضارية هو الذي ألهم بعض زعماء الإنسانية أمثال **محمد إقبال!**.

إن أي تطور مهما يكن سيظل مشروطاً بادئ ذي بدء بالتفتح التلقائي للكائن البشري في وسط ملائم ومحيط لم تعكره ديماغوجية ولا تزمت مذهبي!.. فالأمة التي يتكافل مواطنوها تشكل الحقل الأصلح لأي إشعاع!.. والأمم التي تتفاعل أخوياً في ظل (خلقية إنسانية عليا) هي التي سيقدر لها أن تعيش وأن تسود وأن تفرض على العالم ذلك الإخاء الإنساني الحق الذي يفتقده والذي سيشكل العامل الأقوى والأوحد لتمهيد الطريق من أجل استئصال جذور الأزمات، **والإسلام الذي يطبع اتجاهنا قد عرف - كما يقول (لوي كاردي)** Louis Gardet **كيف ينفلت من مغريات الكبرياء التي انقادت لها الثقافة الغربية المعاصرة، كما عرف كيف يتطور ضمن شعور عارم بالحقيقة، بعيداً عن كل (سوبرمانية)** (-Supra humanité) **يحفظ للإنسان توازنه في إطار أبعاده الحقيقية دون تحمس مخل ولا انحطاط مسف!**.. إذا كان عالمنا بأجزائه المتنافرة لم يتعرف بعد على طريقة تفسح له مجال التفاهم، فما ذلك إلا لأن كل جانب يجهل كل شيء عن الجانب الآخر، فهذا الفراغ الخطير هو الذي سماه **(لوشاطوليي)** (Le châtelier) **بقلق الفراغات** (malaise des Lacunes) الذي يقض مضاجع بعض أولئك الذين يسهرون على العلاقات الدولية مع العالم الثالث أو العالم العربي أو العالم الإسلامي، وهم لا يعرفون عهد **هارون الرشيد** إلا من خلال (ألف ليلة وليلة).

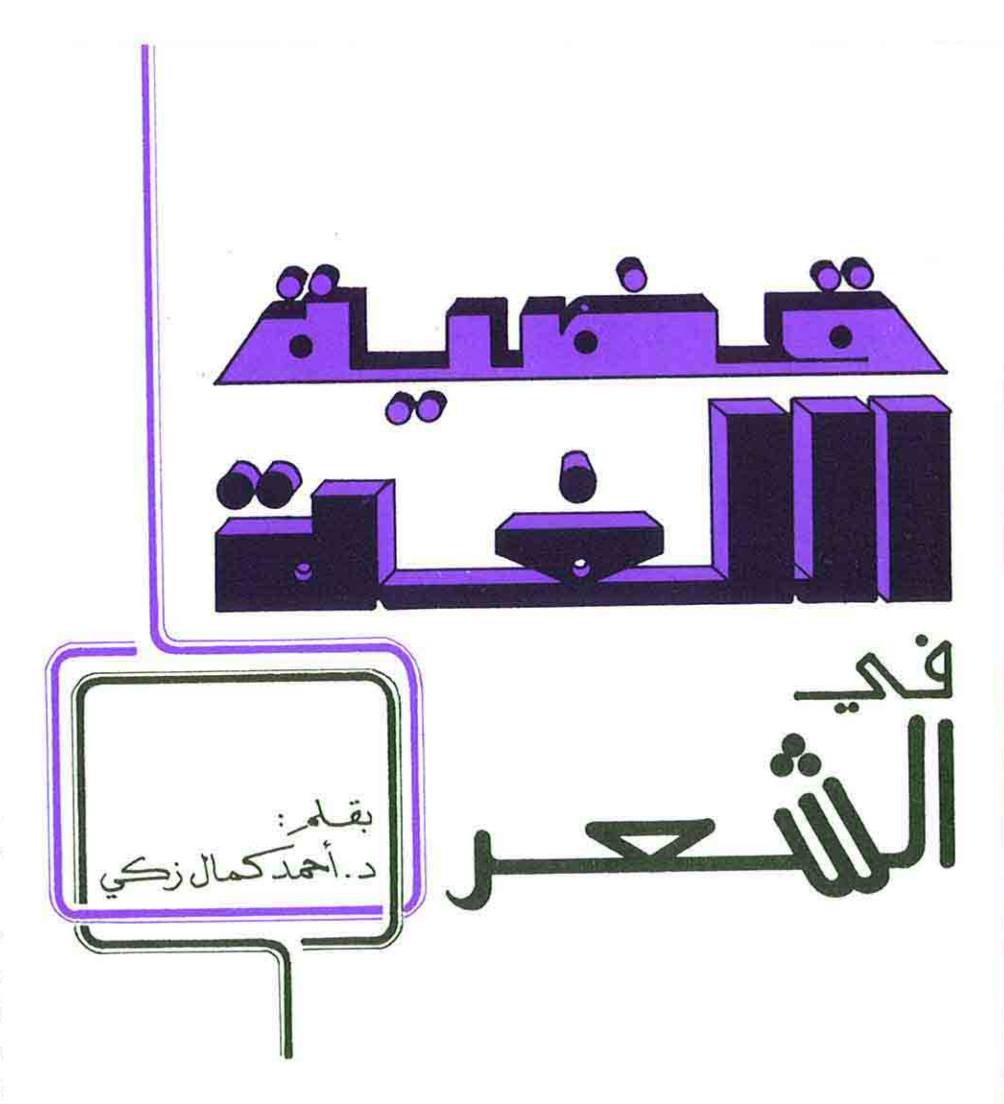
تلك الظاهرة المرة هي سر كثير من المجاذبات التي تعانيها (الانسية المتوسطية) L'humanisme méditérranée التي سبق أن وحدت بين الإسلام والمسيحية، ودعمتها العقلانية الهيلينية، كما فهمها سلفنا من قادة الفكر في البحر الأبيض المتوسط أمثال **ابن رشد** الذين كيفوا عقلية الإنسان في العالم المتحضر إنطلاقاً من توازنه ووحدة جوهره وازدواجية قواميه: العقل والروح.

الهوامش

(١) في كتابه (أنسنة الإسلام – المقدمة).

(٢) نقلاً عن وولف (J. Wolf) في بحث له بعنوان (تراث حضارة سيادة الإنسانية)، جريدة لوموند، عدد ثمن وتسع يونيو (حزيران) ١٩٦٩م.

(٣) في كتابه «الإسلام والخلق الدولي» (ج. ١، ص ٢٢)، وهو الكتاب الذي طبع باسم (الأنسية الإسلامية) وكان قد أحاله علينا وهو من ملازمه الأولى لإبداء النظر قبل الطبع فشكراً له.



(١)

يبدو أن المسلمين الأوائل لم يكونوا في حاجة إلى وضع تعريف جامع مانع للشعر، فإن ممارسته على النحو الذي ورثوه به، كان يجمعهم على عناصر ربما لم تدر كلها في خلد ابن طباطبا العلوي، أو قدامة بن جعفر، أو أي خلف لهما وهو يحاول التعريف ويضع التحديد. وقد بدا في كل الأحوال أن الشعر – حتى وهو مجرد قصيدة مدح – يشبه أن يكون ضرباً من التأمل الذاتي في الحياة. وربما تفقد القصيدة أحياناً كل أبعادها الفكرية الممنطقة، إلا أن صاحبها كان يحرص دائماً على أن يجعلها بنية جميلة يتوقف قبولها على الذوق وحده.

والذين اعتمدوا الطبع في إفراز أفكارهم الشعرية أو الشاعرية، لم يكونوا بعيدين كثيراً عن هؤلاء الذين سُمُّوا – منذ قديم – بعبيد الشعر. أي من رأوا أن الحدْس أو العبقرية إن شئنا، أو الموهبة ركن مهم في صياغة القصيدة، ومن ناحية أخرى لا ضَيْرَ في أن يكون **البعد الجمالي** في قصائدهم مستقلاً تماماً عن الحقيقة. الأمر الذي يتفق ومقولة دراجة تقرر أن أعذب الشعر أكذبه، وأن شاعراً كبيراً **كأبي تمام** مثلاً – وهو ينتمي إلى طائفة عبيد الشعر – لا يخالف أي شاعر من شعراء الطبع **كدعبل الخزاعي** في أن الشعر وجودٌ متعيّن كيفما كانت غايته، وبهذا الوجود المتعيّن يصدر عن عواطفه ونزعاته النفسية.

ومن هنا لا بد أن نعترف بقيمة العالم الشعري الخاص بكل شاعر. ولعل مجاهدات الشعراء كلها في هذا المجال حُصِرَتْ في الوسيلة اللغوية التي تبرز هذا العالم، أو تحقق جزءً منه على الأقل. ومن هنا لم تكن عملية البحث عن عمود الشعر إلا الجانب التنظيري لكل مجاهدات الشعراء اللغوية. ويمكن القول إنها حاولت رَصْدَ الجدل الناشب بين الذات وتعبير الذات لديهم، سواء صدق منهم الشاعر – أخلاقياً – أو كذب، لأن الأساس هو درجة إقناع المتلقي بأسلوب تعبيره.

والأمر الخفي في هذا كله أن النظرة الإسلامية في جملتها كانت تغضُّ النظر عن أن يكون الشعر صورة لذات منشئه، مع أنها كانت تجعل الصدق خيراً في كل أعمال الإنسان الأخرى. فكأن الفن الشعري عندها – في جوهره – يعطي صاحبه الحق في أن ينسلخ عن الحقيقة العلمية أو الواقع المعيش، طالما أعطتنا لغته المخيلة بكل تركيباتها رؤية مقنعة بقدر ما هي جميلة.

وما أشبه هذا بالمعادل الموضوعي الذي صَدَرَ عنه في القرن العشرين **توماس ستيرن إليوت**[١] وهزّ به رأي الرومانسيين والانطباعيين القائل «الشعر فيضان تلقائي لإحساس قوي» أو هو هروب من شخصية قائله إلى مواقف يبتكرها وأشياء يضعها إزاء ما هو موجود حقيقة، وكأنها تناظره في كونها تخبرنا – مثله – بشيء يتوافق مع الحياة.

وهذا لعمري – كما يقول الشعراء الأولون – الصدق الفني الذي ينبع من منطق القصيدة، أو من موضوعيتها بكل تفصيلاتها وأبعادها.

وبذلك الصدق نقبل ما قد يكون في الشعر من مبالغات أو مفارقات، طالما بَعُدَتْ هذه كلها عن أن تكون حماقة، أو طالما حرصت على أن تظل في إطار الأعراف الذوقية والفكرية السائدة. وإن كنا – مع ذلك – نقبل أن تصدمنا، إلا حين تجعل «المادة» سيئة أو نقيصة أو مشينة بالقَدْرِ الذي يُسْفر عنه **أوفيد** في غزلياته Amores **وشكسبير** في أرانينه Sonnets، **وفدوى طوقان** في معاتبتها الخالق الذي لا يتغير بهذا العنف الصادم لعقيدتها في ديوانها الأخير.

وقد سبقها **صلاح عبد الصبور** حين أغلقت أمامه كل الأبواب، ورأى نفسه صريعة الإخفاق واللوعة. إلا إذا كان يقصد حبَّه أو حبيبته نفسها، ويظل مع ذلك مأخوذاً بصرف اللفظ المقدس إلى مَنْ لا يجوز صَرْفُه إليه.

على أن هذا ونحوه مما لا نناقشه هنا، ومن جانب آخر لا نستطيع أن نجعله سبباً من أسباب القضية اللغوية، وإن كنا نسلم بأن اللغة أساساً فكر، والفكر منوط به القصد في التصوير، أو – على الأقل – الاعتدال في ترجمة المشاعر إلى مواقف وآراء.

وأما القضية اللغوية نفسها فهي عند أي شاعر – بدءً **بامرئ القيس والنابغة** وانتهاء بجيل الروّاد من أصحاب الشعر المرسل أم المطلق Blank Verse – فهي مستودع العناصر الشعرية كافة، عواطف كانت أو معاني أو أخيلة. وهي – في رأيي – ما جعلت نفراً يخاصم أبا تمام، ثم يقال له في مجلس الخليفة: لم لا تقول ما يُفْهم؟ واتُّهم من بعده **أبو الطيب المتنبي** اتهامات لغوية نجم عنها معظم المناقشات الافتراضية التي قابلت بين اللفظ والمعنى، ورأى هو أن







★ ت . س . اليوت ★ ★ فدوى طوقان ★

من الخير الاتجاه إلى شانئيه بقوله :

أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جرّاها ويختصم

وفي أعصر الانحدارات الأدبية قيس كل انحدار بانحدار اللغة نفسها ، لا من حيث صحة التركيب النحوي — فقد كان يُحسَبُ حساب هذه دائماً — وإنما من حيث تركيباتها أو نظمها كما قال **عبد القاهر الجرجاني** قاصداً إلى المعاني الثواني ، ومن ثم رُفِعَ من قدر علم الدين أيدمر المحيوي صاحب القافية المدحية :

الروض مقتبل الشبيبة مونق
خَضِلٌ يكاد غضاره يتدفق
والغصن ميّاس القوام كأنه
نشوان يُصْبِحُ بالنعيم ويغبق

وفي عصرنا وقع على هذه القافية **أحمد شوقي** — وقد أحس قيمتها الأدائية وهو الشاعر صاحب الفتنة اللغوية — فعارضها بقصيدة مطلعها :

من أيّ عَهْدٍ في القُرى تتدفق
وبأيّ كفٍّ في المدائن تغدق

هاهنا نحس أن اللغة الشعرية بناء تركيبي خاص ، وخصوصيته ترجع إلى أنه تصوير لتجربة إنسانية تصويراً مؤثراً ، ربما يرتبط إثنولوجياً بذلك التصوير الممعن في القدم ، وقد وقف عنده **أبو عمرو ابن العلاء** ليقرن الشعر بالنبوة عند الجاهليين إلى أن خالط الشعراء أهل الحضر يتكسبون به « فنزلوا عن رتبتهم » [٢]

واعترافاً بأن تلك مرحلة أسطورية ، تختلط فيها معايير القيمة اختلاطاً يبعدها عن الحد الاستاطيقي — وأوله الفن وليس غيبيات المعتقد — غدا الشعراء كلهم مقتنصي لغة شاردة في أفياء الجهال ، أو فلنقل صانعي قواف ترى ما لا يراه الناس فتبهرهم وتهزهم انتشاء . وقد اقتضى هذا أن تعامل اللغة الشعرية معاملة أخرى غير هذه المعاملة التي دأب قدماؤنا على الإقبال عليها ، ناسين أو متناسين أن أخذ القصيدة أو المقطعة الشعرية بالمقاييس النحوية — مثلاً — على أساس مدى مُشاكَلَة وحدانه للظاهر ، يخرج اللغة الشعرية من طور فطرتها المناسبة للحالات الشعرية إلى طوْر العلمية التي يناسبها المنطق الجامد . وكان أول ما أُهدِرتْ قيمته في إطار العلمية أو المنطق قول بعض قائلينا القدماء إن البكائيات الطللية كانت ضرباً من التوهم أو الإيهام ، وَوُصِفَتْ لديهم بأنها من المذاهب المتقدمة التي لا ترى بأساً في التغني بوحش وَجْرَةَ على عادة الجاهليين [٣] .

وعلى الرغم من أن هؤلاء النحويين شكلوا هم وجميع اللغويين تقريباً حركة رجعية أعاقت نمو الشعر أو تطوّره — باستثناء **ثورة الوشّاحين في الأندلس** — أزعم أنهم حفظوا لنا سلامة النسيج اللغوي على نحو مذهل ، ولولاهم لتغير واقع اللغة كلُّه منذ أول حملة ضارية شنَّها **المولدون** أوائل العصر العباسي على الشعر العربي كله .

كان اللحن قد فشا آنذاك ، فتصدى للمتحدثين كل المشتغلين باللغة ونحوها ، — يعاضدهم المفسرون والفقهاء أيضاً — ينخلون حديثهم نخلاً دقيقاً ويقوّمون ما أعوجّ منه ، ولعلهم حرّموا على الشعراء إقحام الألفاظ الأعجمية على شعرهم ضمن تملّحهم بألفاظ الحضارة الجديدة .

وكان أن قُيِّضَ لهؤلاء المتحمسين مجموعة من الشعراء العرب صليبية خلفوا المولدين على مطالع القرن الثالث الهجري ، فكبحوا جماح اللغة ، وأعادوا إلى الشعر العربي ديباجته ومتانة نَسْجه . ومن هؤلاء **أبو تمام والبحتري والمتنبي وأبو العلاء المعري** ، وكلهم — كما نرى — من اليمن ، ولم يقف واحد منهم في سبيل التقدم الحضاري ، بل لعلهم جميعاً طوروا فنّ الشعر — بالإضافة والحذف واصطناع الجديد من أساليب التعبير — التطور الذي حفظه إلى آخر عهدنا بالقديم العظيم .

وإلى ما قبل النهضة الأخيرة في حياتنا ، وبالرغم من تَسَوُّد القيم الشكلية التي صدر عنها هذا الجيل الكبير من شعرائنا القدامى ، بلي النسيج اللغوي إلى حدٍّ سُمِح فيه بطرائق مملوكية وتركية عثمانية ، تقتحم الأسلوب الشعري فيما اقتحمته من ميادين الأساليب الأخرى .

وكانت الهجمة في هذه المرة تختلف عن هجمة المولدين في أنها كانت صادرة من مركز قوة سياسية مسيطرة على الرقعة العربية ، بل اختلفت عن هجمة ثانية مثّلتها حركة **البديع** واقتناص الغريب من اللغة — مثلتها **المقامات** بنوع خاص — وكانت ردَّ فعل للإمحال الفكري الذي أصاب الأدباء ، بمعنى **أن الكتّاب والشعراء لجأوا إلى ظاهرتي البديع وغريب اللغة من أجل تغطية ضعفهم الفني بوجه عام** .

تلك الهجمة لم تكن في شراسة الهجمة المملوكية التركمانية ، لأن الأخيرة — وهي في الترتيب ثالث هجمة على اللغة — لم تستطع حصون العربية التصدي لها وخاصة في نصف القرن السابق على النهضة . وأصبح طريق الشعر الغثّ ممهداً أمام الجميع ، علماء أزهر كانوا أو مجاوري حَرَم أو دعاة إصلاح وتقويم . وربما أصبحنا اليوم في أشد الحاجة إلى جهود المشتغلين **بالأسلوبيات** Stylestics من أجل تقويم هذه المرحلة لغوياً ، وبخاصة أنها كانت سليلة **عهد الموسوعات الضخمة** ، ومن قبيلها ما كتبه **السيوطي والقلقشندي** ، ولا نذكر آثار **الجبرتي** لأنها لمؤرخ موصوم بالعامية اللغوية .

على أن النهضة — في العالم العربي وقد بزغ فجرها في مصر وسورية — عملت بما اشتملت عليه من دعاوى إصلاح وإرادة فيه على إرجاع الوجه العربي للغة . وقد كان ذلك بحق خطوة كبيرة في سبيل تنقية الأساليب الشعرية ومساعدتها على الازدهار ، لا من حيث المحافظة على لغة القبيلة — كما يقول **ت . س . إليوت** في مجال العناية بالتراث — وإنما من حيث مواكبتها للتقدم الاجتماعي القائم والمستمر .

وبحكم شامل يمكن القول إن لغة الشعر في هذه الأيام — بل لغة الأدب والفكر بوجه عام — وصلت بفضل مثقفيها المخلصين إلى درجة عالية من الامتياز ، ولعلها ترجح إذا وضعت في إحدى كفتي ميزان ، مقابلاً للغة التي ألف بها عبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ وأبو حيان التوحيدي وأبو العلاء المعري . على الأقل في أنها لم تعد تعطي للعقل المقلد سلطانه المطلق — وقد طالما وُصِفَ أدبنا القديم بأنه أدب عقليّ — بل وسعت ما شاءت أسباب العواطف الشخصية ، واعتدَّت بالفرديات قَدْرَ اعتدادها بالأفكار المشتركة أو المشاعر العامة التي تبدو دائماً أجمل ما يقدمه الكاتب للناس .

ولا بد أن يمتد هذا التحول إلى الشعر لأن أصحابه هم ألسنة الناس وقلوبهم ، ولقد سجّل **علي محمود طه** للشاعر — في مثالية تشي برومانسيته العربية — منزلة توشك أن تكون كالمنزلة التي جعلها

أبو عمرو ابن العلاء للشاعر الجاهلي ، فقال إنه :

هَبَطَ الأرض كالشعاع السني
بعصا ساحر وقلب نبي

يريد نتاجه الفني اللافت على أساس أن صوره أو تصوراته — غَرْسُ خياله الخصب — إنما هي تكوينات تعيد رؤيتنا إلى طفولتها الباهرة ، ومع ذلك تُفْضي بشيء أو أشياء مما يدخل في فلسفته الكونية كلها .

وقد حاول **كوليردج** أحد سادة الرومانسية أن يحفظ للشعراء هذه المكانة — وإن أفرط شيئاً — فقال وهو يقلب بصره في صياغاتهم التي تشكلها لغة المشاعر والأحاسيس : « لا يصل منهم إلى الحقيقة إلا صاحب العاطفة العميقة ، وأية حقيقة هي ضرب من الإيهام »[٤] .

(٢)

أتُرى قَدَّرَ هؤلاء الشعراء عندنا — وهم إخوة لعلي محمود طه ، **والأخطل الصغير ، وعمر أبو ريشة ، ومحمود حسن إسماعيل** — هذه الدرجة الرفيعة فحافظوا عليها ؟ أما خَلَفُ **البارودي وشوقي** فقد وقفوا على الجادة لا يحيدون عنها ، ولْنُسَمِّ هؤلاء **جيل المحافظين** — ومنهم من وقف الشعر على عرض استجاباتهم لنوازعهم الخاصة — حيث نرى عندهم النصاعة اللغوية والعبارات التي تعدل بين الواقع والخيال في حدود القصد والاستواء . وأي واحد من هؤلاء يقف فنه كله دليلاً على ذلك ، وكل الذين اندفعوا — من حيث إنهم رومانسيون — في تحديهم للقيم الفنية الموروثة لم ينظروا إلى صياغاتهم اللغوية إلا على أساس أنها الأداة المصطلح عليها من أجل التوصيل الصادق . و « المصطلح عليها » تعني السلامة والتطهر اللفظي والعمق الجماليّ في حدود ما يقبله الذوق العربي المثقف ، ولا تعني قط اختلاط الحابل بالنابل أو فوضى التعبير المُهَجَّن السقيم .

ولقد قرأت منذ سنوات كتاباً **للدكتور عمر فروخ** ينعى فيه على « هذا الشعر الحديث » **تهجينه أو تزييفه باللغة** التي لا يفهمها أحد مهما يؤت من بلاغة وذكاء ، فاتفق معي أو اتفقت معه في نقطة مهمة ، هي فساد أسلوب هذا الشعر الحديث .

وعلى الرغم من أنه ضيع كثيراً من أسباب الموضوعية في حملته على التجديد أو التحديث أو الحداثة حتى ليرفض كل ما لم يَجْرِ مع أمواج البحور الستة عشر — وبيَّن معالمها **الخليل بن أحمد** عالم البصرة المشهور — قدَّم كثيراً من النماذج على فوضى اللغة الشعرية عند المحدثين ، كما بيَّن أن القصيدة المنثورة لها علاقة بالكارثة[٥] .

وبعرضنا نحن لواقع الشعر خلال الأعوام الثلاثين الأخيرة ، نرى آثار المعركة التي شُنَّتْ على تراثنا الشعري ، وقادة المعركة لم يكونوا غزاة من الخارج ، كمعظم المولدين في العصر العباسي ، ولا ضعفاء فنياً كأصحاب البديع ، ولا أصحاب لسان أعجمي كالمماليك والأتراك العثمانيين — مع تقديرنا لبطولاتهم الإسلامية — وإنما كانوا من أبناء العرب أنفسهم ، شنُّوا من داخل حصوننا حملتهم . وبعضهم كسعيد عقل جاهر بعدائه للغته العربية فآثر عاميته برغم أنه متقن تماماً للعربية ، بل لقد هجر حروفها إلى الحرف اللاتيني . وبعضهم الآخر كأدونيس لم يتورع عن أن ينادي بضرورة اغتصاب اللغة الشعرية من أجل تفجير طاقاتها ، في حين أعلن يوسف الخال — من قلب أحد معاقل اللغة ، من لبنان — أنه يعمل على نسف لغة الشعر العربية من أجل إحلال اللهجات المحلية .

وشهدت **مجلتا** « **شعر** » و « **مواقف** » أكثر من مخطط لهدم اللغة الشعرية في إطار أساليبها الموروثة ، وأصبحت القضية — من ثَمَّ — قضية حضارية من وجهة نظر ، وقضية شعوبية من وجهة نظر أخرى .

هي حضارية من حيث إن اللغة يجب أن تتطور لتكون استجابة للحظة الراهنة أو الحاضر . والحجة معقولة في الظاهر ، بل تدعمها سلسلة من البحوث الأكاديمية في اللغويات والأسلوبيات وما يجري هذا المجرى .

لكنها شعوبية أيضاً ، لأنها دعوة إلى التحلل من لغة القبيلة . بل هي دعوى تُخفي غضباً على قيم طالما وقَّرْناها ، وبعضها متصل بكتابنا الذي نزل بعربية مبينة ، أفَئِن قالوا — في التبرير الكاذب — ما قالوه نُصدِّق ؟ .

وأنَّى لنا أن نعتقد جميعاً بصواب سلوك لا يحكمه العقل ؟

إن الزعم بأن التجديد إبادة تاريخ لا يستند إلى شبهة حق أو منطق ، وفي رأيي أنه إعلان إخفاق قبل كل شيء . بل أخشى أن يكون شهادة على اضطراب أسباب الثقافة عند كل أصحاب الزعم ، أو فلنقل — بلا تردد — اعترافاً بوقوعهم أسرى مواقف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية معينة .

لقد استقبلنا نتاج **المهجريين** — مع كل ذلك البريق الذي حَفَّهُ — بتوجُّس خشية أن يكونوا من أصحاب الشعوبية الجديدة ، إلا أن اجتهاداتهم اللغوية نظرياً وتطبيقياً نَمَّتْ على غير ذلك ، بل أكدت أنها كانت عجزاً من نَفَرٍ عاش بيننا وكتب في مجالات الثقافة المختلفة ، وإذن كان قصورهم الثقافي وراء ادعاءاتهم ودعواتهم ، فلا تثريب عليهم ولا ملام .

أما نتاج **الخوارج من أصحاب الشعر المرسل** فتدعمه ثقافات مردودة في معظمها — على أحسن الفروض — إلا إذا كان الخلل الفكري وراء عملية الاغتصاب اللغوي أو النسف البياني أو التبشير بأسلوب القرن العشرين . وفي هذه الحال تُهدَمُ اللغة كلُّها — وليس اللغة الشعرية فقط — بعد أن ظلت تُحَرَّف وتشوَّه على نحو مؤسٍ ربع قرن تقريباً .

وربما هيأ لهذا التشويه « صنيع » **سعيد عقل** وهو بعد لم يزل من المنتمين إلى الثقافة اللغوية الأصيلة ؛ فقد ألقى بالشعر في متاهات سوف يعمقها **أدونيس** لرسم عالمه الباطني . ويبدو أنه في حبه للرمزية وقع في التجريد المطلق ، وأفلت منه الزمام أكثر من مرة وهو يتعمق جوهر المادة — وقد تفنى فيها الحدود — متخطياً واقعها ربما من أجل التوحد في الوجود ، ولا بأس بعد ذلك أن يقول في « أنا الشرق » عاجزاً عن تطويقنا بأي إيحاء :

أنا جُبْتُ ذاتي وأفرغت أغنيَّة المطلب
أنا ثروة كالكآبة عُمْقاً وكالغيْهب
قل الفتحُ غمسُكَ في الذات كفا من الصلّب
ورشْفُكَ نفسك رشف العتيق من المشرب

وفي رأيي أنه لو كان هذا الشعر صورة لصاحبه — من وجهة النظر الرومانسية — أو كان معادلا موضوعياً لعواطفه ، لكان علينا أن نيأس من اللغة العربية على أساس أنها لا تحيط الإحاطة الكاملة بما تضطرم به نفس الشاعر . ومن يدري فقد يكون هذا القصور من أسباب دعوة سعيد عقل إلى العاميات الإقليمية — ومنها عامية لبنان — كي تحل محل العربية برغم طول باعه في التمرس الشعري من خلال اللغة السليمة .

فلم يكن عجيباً بعد ذلك أن يركب تلامذته الصعب محتجين بأنه لا يجوز استخدام التعبيرات النمطية — وأهونها ليت شعري ولا وأبيك — وبالقدر نفسه تُرفض الأوزان التقليدية أو يتخفف منها على الأقل لتتهيأ فرص الإبداع الذي يسبر أغوار النفس الإنسانية . يقول أدونيس موظفاً **أسطورة أورفيوس اليونانية** محاولا — دون جدوى — أن يسبر أغوار نفسه :

عاشق أتدحرج في عتمات الجحيم
حجراً غير أنني أضيء
إنَّ لي موعداً مع الكاهنات
. . . . . .
كلماتي رياح تهز الحياة
وغنائي شرار







تلك الأسطورة الأورفية – فهو من القلة التي تعمقت الميثولوجيا العالمية – إلا أنه في هذا الموضع حطم لغتها الساذجة كما حطم الوزن العروضي، فانتهى به الأمر إلى الإخفاق المؤكد، بل لعله أحس ذلك الإخفاق فقال مختتماً عمله:

إنـي ساحر الغبار!

ومن ساحر الغبار الذي يتحدث عنه؟ لا نعرف، لكنه قد يكون كائناً مثله ضائعاً ضياع مهيار الذي يتقمصه أحياناً، والذي يرهقه إلى حد أنه يطلب من مدينة الأنصار أن تعلق يديه...

قوسا يمر القبر
من تحتها وتُوجي صدغيّه
بالوشم أو بالجمر
وليحترق مهيار

والملاحظ أن الاقتصاد في الألفاظ – وهو إيجاز في عرف البلاغيين – قد يأتي على حساب المعنى فيطمسه أو يعمقه، فيعني هذا أنه يجهل حقيقة لغوية أساسية، وهي أن الألفاظ – دون ما شك – يشد بعضها بعضاً في أعماق الشاعر إذا اتضحت رؤيته، وإلا فهي منفلتة منه دائماً كما انفلتت من الشاعر المصري **محمد إبراهيم أبو سنة** في قوله الذي ظاهر به أسطورة بروميثيوس:

لا أحد يفك بروميثيوس الموثوق
لا أحد يشير إلى....

ثم لم يستطع أن يكمل، أو فلنقل غام لديه البعد الرمزي في الأسطورة فوقع في آفة التعميم.

وإذا عدنا مرة أخرى إلى أدونيس، من حيث هو متمرد على الأساليب والأشكال الشعرية المألوفة، نراه في صعوده نحو القمة – بأطره ونماذجه التي دخلت في ليل السيريالية – نراه يحلم ولا يستطيع أن يترجم حلمه باللغة الشعرية المناسبة. وفي الأسطر التالية التي يبشر فيها بظهور المخلص – الذي هو نفسه ربما – تقف عبارته الغامضة دون الإفضاء، حتى في حدود التهويم أو التجنيح الرمزي في رفّاته الرومانسية.

نيراننا جامحة الأوار كي يولد فينا بطل
مدينة جديده
نيراننا الخفية الحدود في شروشنا
تمجد الهنيهة التي بها
يحترق العالم...

ولا سبيل إلى أن نكمل، فالحذف الذي تعمدناه – وليس هو من قبيل الترفع عن ذكر ما لا ينبغي ذكره – لا يغير شيئاً أساسياً في النص، لأنه يريد أن يقول بلغة نثرية واضحة إن الحياة أو المحبة التي يضمنها البطل تحرق من أجل تحقيق الغاية وهي «لنهتدي». يقصد نحن البشر، أو هو والناس، حتى يصبح الموت تعالياً أو صعوداً من الأرض إلى الأعلى والأرفع.

وأرجو ألا أكون أخطأت في استكناه لغة الشاعر، فهي أساس المشكلة حقاً، وإن كنت أزعم أنها في تعلقها بأهداب الغيبيات وشرودها مع الأسطورة أخرجها عن الجادة في أكثر الأحيان.

وأما زميله **يوسف الخال** – وقد اتجه **كالبياتي** بشعره إلى بعض أعلام الفكر والسياسة العالميين – فإنه حين بحث عن مشكلاتنا قدَّم الاقتصادي منها في عبارة موجزة تقول:

المجد للرغيف يستدير
قمرا
يقدم النعاس للجفون..
للجياع كذبة عريضه
سلوى من السماء

كان الرجز لا يزال حمار الشعر عند خوارج العصر، فتلاشت موسيقية الشعر عندهم – بدعوى التخلص من صَخَب الشعر التقليدي – تلاشيها في الشعر الذي صدروا عنه بلا اعتماد أية تفعيلة. ويبدو أنه في دأبه على تأكيد مسيحيته على نحو شاعري كأيديولوجية إنسانية واعية، فَقَدَ الحدود التي تفصل بين أسلوبي التقرير والتصوير، وكان من جراء ذلك أن اندفع إلى حالات نظم لا يقرها الفن الخالص، وتطلبت هذه الحالات جميعاً، قدراً من المباشرة الممجوجة، وبالتالي ماتت فكرة العودة إلى مبادئ المسيحية. ولعله صور ذلك – على نحو مبتور – في «الآية الأخيرة» بقوله:

الآن أمسح الهموم والجفون...
في موانئ الزحام، أصمتي
أصيح بي:
عليك ثأر من يغالب القدر
يسلبه الزمان عشية...
غاص إليها في قرارة العمر

وهذه المجاوزات العروضية لعلها – فيما أظن – دافعه إلى تحطيم شكل الشعر الموروث، لأنه قيد، ويريد هو أن يستعصي على القيد. وفي «البئر المهجورة» يلجأ إلى الرمز كما لجأ إليه أدونيس ويقول عن صديقه إبراهيم الذي هو البئر نفسها وقد تجنبها الناس:

وحين صَوَّب العدو مدفع الردى
واندفع الجنود...
تحت وابل من الرصاص والردى
صيح بهم: تقهقروا
في الملجأ الوراء مأمن من الرصاص والردى
لكن إبراهيم ظل سائرا

أما اصطناعه قافية هنا، فلم يُغنه شيئاً قط، بل ربما عُدّت تكراراً كان من الممكن أن يتخلص منه الشعر المرسل. إلا أن الأدهى هو الاجتراء على اللغة، وهو أمر ملحوظ لا يحتاج إلى الشرح الطويل لإبراز فساده. وكأن ذلك ونحوه كان تمهيداً لدعوته إلى نسف حصون العربية لإحلال العاميات المحلية محلها، ومن ناحية أخرى، شجعت النثريين على تمكين أساسياتهم في التعبير بالشعر المنثور عن مواقفهم في الكون!

(٣)

لا ندري ماذا نقول بعد ذلك؟

لقد طال بنا السرى ولما يطلع بعد علينا الضحى، ويبدو أن أحداً من تلامذة أدونيس والخال لن يرى في هذا التحليل اللغوي الذي نصدر عنه إلا ضرباً من الانطباعية الأسلوبية التي روج لها أخيراً **ليو سبايتزر** Leo Spitzer، على أساس غلبة التحليل الذاتي – وهو ضرب من المثالية – على علمانية البحث الأسلوبي بوجه عام. وإذا صَحَّ هذا – ولماذا لا يصح – فإننا لا نرانا أخللنا بمهمة النقد على كل حال، وقد قرر **رومان ياكوبسون** Jakobson من قبل أنَّ كل اتجاه من اتجاهات الأسلوبية له علاقة قربى بالأدب.

ثم إنّ أية نظرة إلى النصوص التي قدمناها تكشف بسهولة عن الترخص اللغوي المفضي إلى التغميض، وعبثاً نقبل هنا ادّعاء أدونيس أن لغة الشعر المرسل ينبغي أن تجاوز الموروث بعد أن تخطى نهائياً الماضي

بكل أسبابه[٦] ؛ لأن **مجاوزة الموروث ـ في الحقيقة ـ لا تعني رفضه بقدر ما تعني إحياءه والحوار معه ، وذلك من أجل استلهامه أو تأكيد وجوده على أساس أنه «بعض» مكونات التعاصر الإيجابي الصحيح .**

وليس ما يمنع في تحقيق التعاصر أن يظل الشعر ـ مقيداً كان أو مرسلاً ـ أميناً على اللغة التي وجد بها لأول مرة ، ولكن دون أن يتحجّر بها أو يحجّرها بتعبيراته وصوره النمطية . وفي المقابل لا نقحم عليها ما يفرنجها أو يلفع تركيباتها بضباب الفن القادم من بعيد . وحتى إذا استظل شاعر ما بظلال اللاوعي أو ركب تيارات الحداثة الأخرى ـ من أجل استشراف ما بعد الواقع ـ يظل على الجادة اللغوية . ومن البديهي أن يكون ذلك هو الأسهل والأكثر ملاءمة لإقامة البناء المتين ، ولا سيما إذا استطاع الشاعر أن يودعه «حالات» النفس المتألقة بنور «المعرفة» وبهاء الرؤى البازغة علينا من خلف اللاوعي الساحر والمسحور .

ولقد استطاع **صلاح عبد الصبور** أن يحقق ذلك ـ باستثناءات محددة للغاية ـ واعتدّ الشعر في لغته السهلة الموحية استجابة للاوعي صوفيٍّ يحقق أرق درجات الوعي . وربما عابه تهاون عروضي أدى إلى خروجه بقافية السطر ـ وثمة قافية شئنا أو لم نشأ ـ من بحرها الذي سبحت فيه إلى بحر آخر قريب منها أو بعيد . وذلك قصور لا شك فيه وإن يكن له مبرر في بعض الأحيان ـ وبخاصة في شعره الدرامي ـ وأما أن يقول في إحدى غنائياته المبكرة :

الناس في بلادي طيبون

بزيادة ساكن في حشو السطر فلا مبرر له ، إلا أن تكون العجلة زلق بها فلم يشعر ، غير أنه لما نُبِّه إلى ذلك واقتُرح عليه أن يقول «في بلادي الناس طيبون . . .» رفض بعنف وقال : لم أفكر إلا كما فكرت وليغفر لي الخليل !

على أن أهم ما يذكر له هو أنه لم يندفع إلى بدعة شعرية دلت على فساد ذوق قبل كل شيء . وأقصد بذلك تضمين العربية في أرفع حالات شاعريتها قطعاً أجنبية بعلم الله كم شوهت صورة الشاعر ونددت به . ولإليوت أو لصديقه **إزرا باوند** ترجع البدعة ، وبالرجوع لهما نعلم أنهما علّما أصحاب الشعر المرسل عندنا كيف يضمنوا أشعارهم العربية جملاً أو مقاطع من لغات أجنبية منها العبرية . وكان **إليوت** يقتبس من اليونانية ويثبتها بحروفها الأصلية ، وقد أثبت **إزرا باوند** ـ على سبيل التظرف فيما يبدو ـ الرسم الصيني مع اليوناني وغيره[٧] وأقدمت **فدوى طوقان** على إثبات الحرف الروماني ـ إنجليزياً كان أو فرنسياً ـ وعرّبت العبري فقالت :

وبنو عبس طعنوا ظهري
في ليلة غدر ظلماء
open the door
ouvre la porte
افتح إتْ هادْ يليت
افتح باب
وبكل لغات الأرض على بابي يتلاطم
صوت الجند

وهذا مهما تكن قيمته الحقيقية ـ حتى مع الزعم بأنه المعالجة السليمة للواقع الحقيقي Realistic ـ يبدو عبثاً فظيعاً لا يمكن احتماله ولا الغضُّ منه ، ولا سيما إذا كان من مبادرات الشاعر الكبير يُصرُّ عليه[٨] فيأتي المتشاعرون ويقول أحدهم :

ماذا عندي أخفيه
لا شيء
ولا حتى الحرف الطاعن قلبي . . .
بالموت
No my deer
So long as eyes can see

ويأتي آخر وقد بدا أنه يرى أن الموشح الأندلسي ـ قديماً ـ سبق بخرجة لاتينية قبلها نقاد العصر ، فقال يختم آخر مقطع في قصيدته :

وكلما أطل نجم أو هفا
بطائري الليلي وهم
أحمل قلبي قبلة أو فكرة . . .
ترشف ثغرك ابتهال وردة وبعض حلم
لما عليّ
Cogito ergo sum
Je Pence donc je suis

أي «أفكر فأنا موجود» كما يقول **ديكارت** مستنداً إلى عبارة لاتينية قالها **توما الأكويني** ، وكما ينبغي ألا يقول ، لأنه لا حاجة إليه ولا تستدعيه المناسبة ، اللهم إلا مناسبة التيه بقولة ابتذلتها كل الألسنة ودارت في خاطر أصحاب القول الهازل آلاف المرات .

وماذا كانت النتيجة في نهاية الأمر ؟

كانت مزدوجة السوء ؛ فمن ناحية فَشَت ظاهرة التضمينات حتى أصبحت مظهراً من مظاهر **التبجح بمعرفة الغرب** وثقافته وأعلامه . ومن ناحية أخرى هُجِّنت القصيدة المرسلة إلى حد القول إنها عُمِّمَتْ على الكثيرين ، ولا سيما على هؤلاء الذين نَعَوْا عليها التحرر من النظام البيتي اكتفاء بالتفعيلة .

ولم يكن غريباً بعد ذلك أن تعزل قصيدة الشعر المرسل عن التراث العربي مصابة بمرض «التغريب» ، ويعجز المتحمسون لها والمخلصون عن وصف العلاج لها . أهو في رجوع أصحابها إلى حظيرة العربية الخالصة ـ حتى ولو فرض عليهم الحجر الدائم والتحجر ـ أم في تنقية عباراتهم أو تطهيرها مع الاستمرار في قبول التفعيلة منهم كأساس لصياغتهم اللغوية ؟

وبمعنى آخر نوقشت قضية الشعر المرسل على أساس شرعية بقائه ، ولو من أجل الشعر الدرامي فقط . وأما الشعر الغنائي فهو «لا يصح» إلا بالرقم الموسيقية كما قيّدها الخليل بن أحمد ، لأنها فيما صدر عنه غالبية المجددين ـ **كنزار قباني** مثلاً في شعره العمودي ـ قادرة على مجاوزة العالم الوضعي في مادته الظاهرة إلى المجهول الواضح عنده . بل هي قادرة على استيعاب حركة الوجود كله ، فيما هو محدود وفيما هو عبر الحدود ، بتعيين وبإيحاء إلا إذا تعمّد الشاعر الإبهام ـ كسعيد عقل وهو يقف عند الغامض في الذات ـ فيقع كما يقع أصحاب الشعر المرسل في الغموض أو التعقيد !

ويصبح من ثَمَّ لا ضرورة على الإطلاق لمحاسبة شاعر يرى أن الوضوح خطر ـ لعله خطر النثرية ـ فيقول بعد أن جرب طويلاً وكثيراً تقليد القدماء وزهد ـ فيما يبدو ـ فآثر مطاولة من استكبرهم من الرواد :

بين الرؤى والبرتقاله
ألف جسر
واتكاءه
بين القوامل وانتظار الزيزفون
ألف ممنوع وحائط
ألف معتقل ومنفى
ألف شط وارتحال
ووعود لا تؤجل
. . . .
يكبو فيقتلع الحجارة بالجفون
قدماه حافيتان
إلا من قتادة

ونحسب أن في هذا «الفيض» من السريالية ما لا يمكن إلا أن يكون ضرباً من التهويم اللغوي أو المحاورة الفكرية المبتسرة ، إذا أصررنا على أن نفهم تنافر العلاقات التي نراها تقوم في تلك السطور بين مختلف المؤثرات الحسية حتى ولو «اعتلى عفة نخلة» وبُعثرت «عناقيد قنابل» في وجه الموت كما يقول الشاعر الحائر **راشد عيسى** .

ومن قبيل هذه المعالجة اللغوية الغريبة ـ وهي كما نرى تفسد الشعر المرسل وتشوهه ـ قول الشاعر المصري إبراهيم أبو سنة في أغنية إلى فيدل كاسترو :







★ أحمد صالح الصالح ★ ★ غارسيا لوركا ★

جاء إلى كوبا كاليوم الممطر
أعطى بسمته للحقل المجدب فاخضر
فك عن الصخرة كوبا
كانْ حبيباً فكّ حبيبا
حررها كوبا بين البحر
وزجاجة عطر
وأنا جئت أغني لحنَ الحريه

هو يشير على نحو ما إلى بروميثيوس ــ وربما إلى سيزيف ــ الأسطورة اليونانية ، فأغرق في التجريد . مع أن الأسطورة في الأصل ــ فيما يجب أن يعلم ــ تفسير مادي لموقف حضاري في مرحلة مبكرة من مراحل الحياة ، وقد سلط العقاب من لدن الآلهة على البطل الفادي الذي قد يكون بروميثيوس أو قد يكون سيزيف الموثق أبداً بالحجر !

فماذا فعل أبو سنة ليعلو بفيدل إلى عليين مناضلاً ومبشراً بحرية الإنسان ؟

لنعد إلى قراءة أسطره ــ مع غضِّ النظر عن احتضانه البراغيث لغة ضعيفة مرفوضة ــ ولنسأل أكان أكثر توفيقاً من الشاعر راشد عيسى ؟ وأنَّى التوفيق لمن أسرع يغني الحرية وهو لا يملك أداتها ولا يستطيع أن يزعم أنه يملكها ، وكأنه لم يقرأ قول القائل وهو الشاعر الذي ينبغي أن يقرأ :

لا تَعْرِضَنَّ على الرواة قصيدة
إن لم تكن بالغتَ في تهذيبها
فإذا عرضتَ الشعر غير مهذب
عدوه منك وساوساً تهذي بها

ويأتي بعد ذلك أو قبل ذلك البياتي ــ وهو الذي طالما وصف قصائده بأنها أغلى من القمر ــ ويدافع عن مثل تكلف إبراهيم أبو سنة ، لمجرد أنه يغني لفيدل الكوبي أو **لوركا** الإسباني أو **جوركي** الروسي . فيقول :

الشعر أعذبه الكذوب
قالوا . . .
وما صدقوا لأنهم تنابلةٌ وعُور
كانوا حذاءً للسلاطين الغزاة . . .
بلا قلوب !
يا شعرُ حطّم هذه الأوثانَ . . .
واقتحم الخطوب
أنا ذاهب كي أقرع الأجراسَ . . .
كي أطأ اللهيب !

وقد شدد النكير على من لم يصرخ صراخه ، وطرد من جمهورية الشعر كل برجوازي لا يطأ اللهيب ــ لمجرد وطء ولا داعي لأكثر من هذا ــ أو على الأقل لا يتخلى عن زمرة الشعراء التنابلة العور الذين يرضون أن يكونوا أحذية ينتعلها الحكام المتسلطون . هو ــ بكل تأكيد ــ يقصد الشعراء الذين يبيعون أنفسهم أو قريضهم ، لأنهم بلا أيديولوجية . ولو قبلنا هذا البيع الرخيص الغالي ، فإننا نقبله إذا كان واضح الرؤية وضوحاً مشروطاً بسلامة التعبير . وأما التغميض الذي لا تنم عليه إلا هتافات « **الالتزام** » بمعنى « **الإلزام** » فمرض عندنا وعند غيرنا فيما نعلم .

(٤)

وعلى هذا النحو تتفاقم مشكلة اللغة في الشعر المرسل ، حتى لكأنما رغبة كل من أدونيس والخال كانت لعنة أصابت هذا التعبير الجديد دونها لعنة الفراعنة . ويصبح الأمر بذلك خطراً يطمس رؤية الشاعر من ناحية ، ويدمر من ناحية أخرى التشكيل الذي هو ــ في جوهره ــ عملية بناء لغوي لا يتماسك أو لا يسمق إلا بالصحة والأناقة .

ومن ثم نرفض « عاميات » **الشاعر السعودي مسافر ــ أحمد الصالح** ــ لأنها لا توفر قط شرط الصحة ، مع أن أناقته التعبيرية يمكن أن تُرى بوضوح في ديوانه « **قصائد في زمن السفر** » . وأحياناً يقع في أخطاء نحوية تتعارض مع الإرادة على جعل أي نص أدبي بنية لها دلالاتها بشرط تأسيسها الأساس النحوي السليم ، وهل نقبل منه ــ مثلاً ــ أن يقول :

قصائدي
قبل أن تأتين موغلةً . . .
في التيه ، تذوي على أوتارها
لغني

لماذا لم ينصب الفعل بعد أن الناصبة ؟ أقصد لماذا يصر على أن يعيد الجملة الخطأ في قصيدة أخرى ، فيقول :

من قبل أن تأتين
كان قلبي مرهقاً

وفي أكثر من قصيدة كرر « مدري » يريد ما أدري . فخرج بنا من إطار الانطباع الذاتي الكامل إلى بنية متداعية لا تقدر على التأثير ، لأنها تصدم الفكر نحو تنفك معه الإشارة العاطفية ، يقول :

مدري !
تأخذني في درب
ــ في خطوات الأحباب ــ
يتناغم فيه الشوق

وبمقاييس الأسلوبيين الذين يعنون بوصف اللغة وصفاً قد يقف طويلاً عند صوتيات البنية اللغوية ، لا نقبل منه في مجال الشعر الرفيع أن يقول :

أواه من شفتين
وشوشتا
في مسمعي عن الهوى
مدري !

وبالقدر نفسه نرفض هذه الهلهلة اللغوية التي ظهرت في قصيدته « **الإبحار في عينيك** » حيث قال :

الحبُّ في عينيك يا صغيرتي
يهمس لي
أنت ــ التي ــ ملاكي

وكأنه نسي أن جوهر الشعر لا يمكن الوصول إليه إلا عَبْرَ قدرته على التوصيل الجيّد ، ولا يتحقق هذا إلا بالصياغة الصحية أولا ، ثم الدالة بنفسها على روح الشاعر وتجربته .

وهنا يعنّ لنا أن نذكر **الشاعر نزار قباني** ــ شاعراً محدثاً ــ يمكن أن يكون بديلاً ممتازاً للشاعر مسافر . وعلى الرغم من أن نزاراً كثيراً ما يعتمد على المستوى الصوتي لجملته الشعرية ، فإنه يحرص كل الحرص على صحة بنيتها المركبة ، لأنه ينشد تحديد الدلالة . حقاً قد نراه يلتقي مع سعيد عقل بقاموس شعري واحد تقريباً ، بل حقاً نراه يلجأ إلى ما يمكن إدخاله في عاميات التعبير ــ كالفستان التافتا مثلاً ــ إلا أنه يظل في آخر الأمر صاحب اللغة الرقيقة المتألقة .

والأمر نفسه قائم عند **خليل حاوي** ، وأكبر الظن أن هذا الشاعر هو الوحيد ــ ضِمْنَ رواد الشعر المرسل ــ الذي طهّر لغته تماماً على قاعدة من فَهْم واضح لطبيعة الأسلوب الشعري . ولقد يغلب عليه أحياناً النظم الكلاسيكي ، ومع ذلك يتوخى أن يكون

هذا النظم مناسباً لفكره الشاعري ، ولأزمته التي تحتاج إلى الإيحاء والإبهام بقدر ما تحتاج إلى الرصانة والوضوح .

وفي عملية إحصائية يظهر بقوة أنه يبتعد عن بدعة اختيار التركيبات الشاذة أو الخطأ ــ عند المتطهرين ــ فلا يقول كما قال بعضهم «يالبأكل من صدر التينة» يعني «يا من يأكل» بتقليد سعيد عقل ومن تبعوه يقصدون تحريف اللغة أو تدمير نظمها .

وكذلك لم يمل ــ في كل ما قرأناه لــه ــ إلى إدخال كاف التشبيه على الحرف . وهذا تقليد مستحدث ، وإن كان له أصل عند سعيد عقل أيضاً ، وكان قاسه على نصٍّ قديم **لعمرو بن براقة** لم يتكرر فيما أعلم ، وهو[9] :

إذا جَرَّ مولانا علينا جريرةً
صبَرنا لها ، إنا كرامٌ دعائم
وننصرُ مولانا ونعلم أنه
كما الناس مجروم عليه وجارم

وسعيد عقل يقول أيضاً «كما النجوم» يقصد «كالنجوم» فيحذو حذوه الآخرين قائلين «كما الحب» و«كما الموت» و«كما السماء» إلى غير ذلك مما يضفي على اللغة الشعرية غرابة ، أو يدفع بها إلى غربة تؤكدها عبارات توصف بالرمزية «رنة الشفق» و«على صدور ثريات الدجى» و«جنون الورد» و«سلطنة الزمن بحار وعود» و«أنا أخْضرُ كالموت وأحمر» وكان قد سبقهم سعيد عقل ــ ودائماً سعيد عقل ــ فقال في ديوانه الفاخر «**أجمل من عينيك**» :

كنت ببالي فاشتممت الشذى
فيه تُرى كنتُ ببال الورود
كوني يكن للعمر معنى الطلى
وللشواني فوح مسك وعود

وأين هذا التواصل الرمزي في نطاق الحسّ المتوقد ــ حتى لنقبل العلاقات الجديدة التي يبتكرها ــ من قول **الشاعر نسيم الصهادي** في ديوانه «**فواصل بين الغناء والموت**» :

للمثلث ضلعان يلتقيان
وضلع يحاصره الآخران
وهذا التوجس منحرف باتجاه المواقف
ليبتكر اللغة الثالثه
لغة العائدين إلى المرحله
تزم الشفاه فتبتسم الأرمله
شفاهك نابتة بين حدَّين . . .
بين التردد والقنبله
سيفصلني عن هواك دمي
ومنه ستنبثق السنبله

ولن نتعرض لاضطراب المعاني ، ولا لإشارات التركيب بوجه عام . فمثل هذه وذاك مما يفتقده الإفضاء الرياضي للصهادي ، أو فلنقل التحديد الهندسي بكل ألفاظه ذوات المعاني الإقليدسية . وإذا كان ذلك هو تصور هذا الشاعر للإبداع الفني ــ وهو فيما يطلع به علينا ناقد أو دارس لأنواع التعبير الأدبي ــ فهل غاب عنه أن بداهة الممارسات الفنية لا تحتاج إلى ركوب موجات الدوجما المتحجرة بكل مضاداتها الفكرية ؟

وفي **الأسلوبية الحديثة** دوجما من نوع آخر ، لأنها لا تصادر فكراً ولا تشكك في دلالات أي أديب ، ثم لأنها تلتصق بطبيعة اللغة من حيث هي نظام له علاقاته أو رموزه ، ويعني ضرورة أن يكون للنص الأدبي حضور انفعالي يرفض أي وساطة تقحم بين صاحبه ومتلقيه . والمقحم هنا يعني بدوره أنْ لا شك ، أو أن المعرفة استقرت بحدٍّ لا يمكن إزالته أو الإخلال به .

ومن جانب آخر لا يكون مناسباً للأديب أن يقيس قياساً رياضياً بحيث لا يدع للمتلقي خياراً في الشك ، ويغلق في وجهه باب الاختيار . وإذن يقع التوجس الذي أشار إليه الصهادي في السطر الثالث ــ وهو أساس الانفعال عنده ــ خارج إطار الأدب ، في حين كان يمكن أن ينبع من داخله . وبناء على ذلك يصبح ادعاؤه ابتكار اللغة الثالثة شططاً غامضاً أو نتيجة لوغاريتمية لا يكشف ظاهرها عما يعني هو بلغة «العائدين إلى المرحلة» .

والمرحلة نفسها فضاء رياضي أو فراغ هندسي يرضى عنه العلماء لأنه شيء يتحدد بغيره ، وأما عندنا فيحتاج إلى قرائن نفسية تربط الذات الشاعرة بغائية تأثيرية محددة .

ونعتقد أن الشفاه «النابتة بين التردد والقنبلة» مجرد صياغة تقريرية ، ويمكن إدخالها فلسفياً في دائرة الموجود بالقوة ، لأنها فنياً لا يمكن أن توجد في أي مجال للاختيار . فضلاً عن أنها تَعْني تصرفاً لغوياً خرج به الشاعر عن المألوف أو المتعارف عليه حتى في حدود الغاية الإبداعية ، ولا نقول الإبداعية من حيث هي بديل وارد !

والحصلة «فوضى» لغوية وقع الصهادي في شركها ، وأكبر الظن أنها هي التي جرأت أي متعامل مع القلم على أن يمارس الشعر المرسل . فإذا قعدت به همته ــ لضعف عروضي فيه أو جهل به ــ هجم على القصيدة النثرية هجوم الطائش وقد ارتدى رداء جبرا إبراهيم أو أنسي الحاج ، وأنشأ يفرز ذلك الشيء الغامض الذي لا يمكن مضاهاته بأي عمل أدبي يتميز نوعه ، ولا يمكن أيضاً وضعه علامة على طريق مرحلة ما بعد الواقعية كما يدعي المتطفلون .

تلك إذن محنة ، ولا سبيل إلى الخروج منها إلا بإعادة النظر في التراث أولا ، ثم التأمل في هياكل الحداثة وقيمها بعد ذلك . ذلك أن أي أديب يبدو فاعلاً حقيقياً أو مؤثراً في الحياة ، إلا أنه كثيراً ما يكون متأثراً . وفي هذه الدائرة من التأثر والتأثير يحرص على ألا يخلط صوته أو يمزجه بأصوات الآخرين .

نعني أن يكون الأصل ، والأصل يقتضي البداية التراثية حيث بديم النظر ــ من منطلق أنه شاعر ــ إلى نتاج الفحول القدماء ليحس أنهم طوّعوا معانيهم للغتهم في حدود نظامها وأنماطها وعلاماتها . ويقتضيه التاريخ أن يجاوزهم إلى روّاد العصر ، حتى يرى إلى أي حدٍّ وازن هؤلاء بين تلك المعرفة الأولية وإنجازات الحداثة في شعر العصر .

وإننا لنوقن بأن الكثير من هؤلاء ــ كالسياب ، ونازك ، وبلند ، وحاوي ، ونزار ، والمقالح ، وحجازي ، والقرشي ــ سيقدمون الدليل على أن المتشاعرين بيننا ليسوا على مستوى المسؤولية . وإذا ادعى بعضهم أنه الشاعر الموقف أو شاعر القضية الملتزم ثم راح يهذي بأي كلام فلنقل له : وماذا كان الشعراء الأصلاء منذ البداية ؟



(١) توفي في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦٥م ، وكان شاعراً ناقداً ومؤلفاً مسرحياً يؤمن بقيمة التراث العالمي ، في تشكيل رؤية أي أي شاعر لعصره .

(٢) تحسن مراجعة كتاب الزينة ، ص ٩٥ ، لأبي حاتم الرازي أحمد بن حمدان (المتوفى سنة ٣٢٢هـ) . وحول الفكرة نفسها في تراث الرومان سمي الشاعر بالفاتيس Vates أي الكاهن أو النبي أو العراف .

(٣) انظر للمؤلف «النقد الأدبي الحديث ، أصوله واتجاهاته» ص ١٣٩ ، ط . النهضة العربية ببيروت سنة ١٩٨١م .

(٤) P. Van Tieghem: Le Romantism dans La Literature Europèemme. P. 250.

(٥) راجع «هذا الشعر الحديث» وقد طبع الكتاب بدار لبنان عام ١٩٧٨م ، وبين ثناياه نجد شبه تأريخ للحركة الشعرية الجديدة ، ولعلها تبدأ بعام ١٩٢٠م ، وليس أواخر الأربعينات !

(٦) يمكن مراجعة بحثه «محاولة في تعريف الشعر الحديث» في العدد الحادي عشر ، مجلة شعر ، ١٩٥٩م .

(٧) انظر كتاب الدكتور عمر فروخ «هذا الشعر الحديث» ، ص ٢٠٢ وما بعدها .

(٨) في ديوان فدوى «قرارة الموجة» مبادرة من هذا القبيل .

(٩) راجع وحشيات أبي تمام ، ص ٣١ ، وأمالي القالي ٢ : ١٢١ .

إن مقصدنا في هذا المقال أن نُلق نظرة إجمالية على السيرة العلمية للمستشرقة الألمانية المعاصرة أناماري شيمل التي تُعد من جهابذة العلماء الباحثين وتمتاز على معظم المستشرقين في هذا العصر، على اختلاف أجناسهم بإنصافها للإسلام، وبتعاطفها مع الشعوب الإسلامية، بعد أن طوفت كثيراً في ديار الإسلام. فهي إذن جديرة بأن يعرفها القارئ العربي ويُلم بموجز عن آثارها العلمية لأن استيعاب نشاطها واستقصاء إنتاجها يحتاج إلى كتاب.



عالم الاستشراق

أناماري شيمل

المستشرقة الألمانية التي أنصفت الإسلام

بقلم: د. زكي علي

سيرة حياة

تنتمي أناماري شيمل إلى أسرة ألمانية عريقة، ومنذ صباها شغفت بالشرق وعكفت على القراءة والبحث، وشرعت في حداثة سنّها في دراسة تاريخ الشرق الإسلامي ولغاته، وتخرّجت وهي في التاسعة عشرة من عمرها من **جامعة برلين** بعد أن ألّفت أطروحة مطبوعة عنوانها «**الخليفة والقاضي في مصر في العصر الوسيط المتأخر**» ثم في عام ١٩٤٦م، حصلت على إجازة تدريس العلوم العربية والإسلامية من **جامعة ماربورج بألمانيا**. وفي عام ١٩٥١م، فازت بدرجة الدكتوراه بتفوّق في تاريخ الأديان من نفس هذه الجامعة، وعلى أثر ذلك **عينت أستاذة لتاريخ الأديان في كلية الإلهيات الإسلامية بجامعة أنقرة** لمدة خمس سنوات ابتداء من سنة ١٩٥٤م.

وقد انتخبت في عام ١٩٥٨م، عضواً بالمجمع العلمي الملكي الهولندي. وفي عام ١٩٦١م، أسند إليها منصب **أستاذة العلوم العربية والإسلامية في جامعة بون** عاصمة ألمانيا الاتحادية.

ولذيوع صيتها في أوساط الاستشراق بفضل تضلّعها في اللغات الشرقية والغربية مع كثرة مؤلفاتها وأصالة بحوثها، استدعتها **جامعة هارفارد** الشهيرة بأميركا عام ١٩٦٧م، لتدريس الثقافة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية.

وتقديراً لنبوغها وغزارة إنتاجها العلمي الأصيل حصلت هذه المستشرقة العبقرية على كثير من الجوائز التقديرية نذكر منها:

- جائزة ريكّيرت من مدينة شفاينفورت بألمانيا عام ١٩٦٥م.
- قلادة القائد الأعظم «محمد علي جناح» من الحكومة الباكستانية عام ١٩٦٥م.
- كما أنها مُنِحَت درجة الدكتوراه الفخرية من ثلاث جامعات باكستانية: (من جامعة السند عام ١٩٧٥م، وجامعة إسلام آباد عام ١٩٧٧م، وجامعة بشاور عام ١٩٧٨م).
- ثم فازت بجائزة يوهان هينرش فوس من **المجمع الألماني للغة والشعر** عام ١٩٨٠م، تقديراً لبراعتها كشاعرة في نقل عدد من المؤلفات الشعرية الإسلامية إلى الألمانية شعراً يمتاز بإشراق الديباجة، وجمال التعبير، وقوة الإحساس الإنساني في نفسها.

أعمالها

أما إنتاج أناماري شيمل الخصب فلها عشرات عديدة من الدراسات والبحوث المنشورة في المجلات المتخصصة في الاستشراق، كما أنها ألّفت كثيراً من الكتب القيّمة نذكر هنا أهمها:

- **مختارات من مقدمة ابن خلدون** (بالألمانية) طبع عام ١٩٥١م.
- **كتاب السيرة لابن الخفيف الشيرازي** (بالألمانية) عام ١٩٥٥م.

● كتاب (**باكستان قصر ذو ألف باب**) بالألمانية عام ١٩٦٥م.

● «**جناح جبريل**» كتاب بالإنجليزية عن أفكار شاعر الإسلام الحكيم **محمد إقبال** وهو ترجمة لكتابه بهذا العنوان باللغة الأردية، وقد قدمت له بفصل شائق عن محمد إقبال (صاحب فكرة إنشاء دولة باكستان التي نفذها القائد **محمد علي جناح**) وأشادت في المقدمة بكتاب إقبال الشهير الذي عنوانه (**إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام**) والذي طبع مراراً باللغة الإنجليزية.

● ولها كتاب بالإنجليزية عن **فن الخط الإسلامي** ظهر في طباعة أنيقة، وفيه تحقيق فائق في موضوع فن الخط العربي مع نشر نماذج له في غاية الروعة والجمال.

● كتاب عن «**الحلاج**» عام ١٩٦٧م.

● كتاب عن **الآداب الإسلامية في الهند** وبخاصة الآداب الأردية في السند ١٩٧٥م.

● كتاب بالإنجليزية عنوانه **الأبعاد الروحية في الإسلام** عام ١٩٧٥م.

● كتاب **الشمس الظافرة** عام ١٩٧٨م، وهو دراسة عن مولانا **جلال الدين الرومي**.

● كما أنها نقلت إلى الألمانية شعراً مختارات من شعره الفارسي «في المثنوي».

● كتاب (**المُلْك لَك**) بالألمانية عام ١٩٧٨م، يشمل مختارات من الأدعية الإسلامية المأثورة.

● كتاب «**الإسلام في شبه القارة الهندية الباكستانية**» بالإنجليزية عام ١٩٨٠م.

● كتاب «**محمد رسول الله**» بالألمانية عام ١٩٨١م، بسطت فيه مظاهر تعظيم وإجلال المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد قامت هذه العالمة الفذة ذات القريحة المتّقدة والهمة التي لا تعرف الملل والبراعة في التحقيق والبحث، بترجمة عدد من المؤلفات الإسلامية نذكر منها «**كتاب الأبدية**» الذي ألّفه شعراً محمد إقبال بعنوان «جاويد نامه» فترجمته أناماري شيمل شعراً بليغاً إلى الألمانية عام ١٩٧٥م، ثم ترجمته نثراً إلى التركية، ومن الجدير بالتنويه أن أحد كبار الشعراء والكتّاب الألمان وهو **هرمان هسه** الحاصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٦م، صدّر للترجمة الألمانية لكتاب الأبدية بكلمة مؤثرة قال فيها:

«**إن تفكير محمد إقبال البالغ الذروة في الحصافة والقوة يشمل ثلاثة عوالم: عالم الإسلام، وعالم شبه القارة الهندية، وعالم التفكير الغربي، كما أن دعامة قدرة محمد إقبال على الابتكار وتأمله الرفيع وفلسفته الفذة وإنتاجه الخصب هي إيمانه الراسخ كمسلم تقي أخلص لله الذي أسبغ عليه المواهب، وكانت أمنيته الكبرى أن يرى البشرية جمعاء منضوية تحت لواء التوحيد بأن تعبد الله الواحد الأحد**».

ثم إنها نشرت بالألمانية كتاباً عن **الشعر الغنائي العربي المعاصر** عام ١٩٧٥م، وكتاباً آخر في نفس السنة بالألمانية عن **الشعر الغنائي التركي**.

وعدا هذا تتولى أناماري شيمل مع زميل لها هو ألْبِرْتْ تَابْلا الإشراف على تحرير **مجلة «فكر وفن»** Fikrun Wa Fann، وهي المجلة الأنيقة الطباعة الطريفة الموضوعات التي تصدر باللغة العربية في ألمانيا الاتحادية منذ عام ١٩٦٣م، إلى اليوم، والتي أُنشئت لتوطيد العلاقات الثقافية والفنية بين العالم العربي وجمهورية ألمانيا الاتحادية. ويساهم في تحريرها



نخبة من المثقفين الألمان والعرب . وقد أتيح للمؤرخ اللبناني **الشيخ طه الولي** أن يجتمع هناك بالمستشرقة شيمل وفيما بعد ذكرها ببالغ الثناء في كتابه (**الإسلام والمسلمون في ألمانيا**) ، الذي ظهر قبل سنوات .

دراساتها عن الإسلام

ومن آثار هذه المستشرقة مقال متين بالفرنسية عنوانه « **جوته والإسلام** » تناولت فيه آراء شاعر الألمان الأكبر جوته في الإسلام فذكرت كلمته الشهيرة : « **إذا كان الإسلام هو عبادة الله والخضوع لإرادته فلنعش ولنمت جميعاً في الإسلام** » ، كما ذكرت قول **جوته** : إنه في نظره يمكن « تلخيص » جوهر القرآن في هذه الآيات الأولى من سورة البقرة ﴿ **الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** ﴾ (سورة البقرة ، الآيات ١ ـ ٧) .

ثم إنها ذكرت كلمة أخرى **لجوته** وردت في كتابه (**الديوان الشرقي الغربي**) الذي ألّفه بعد أن قرأ ترجمة القرآن إلى الألمانية إذ قال :

« **لقد أتيح لمحمد أن يقهر العالم كله بفكرة التوحيد ، فكرة عبادة الله الواحد الأحد** » .

ومن الجدير بالذكر ذلك الفصل القيّم في إحدى وسبعين صفحة الذي كتبته بيراعها السيّال بعنوان (**الإسلام دين التوحيد والوحدة**) ونشر في كتاب ضخم عن تاريخ الحضارة الإنسانية في إفريقيا وآسيا وأمريكا ، صدر عن دار النشر (وسْتَرْمَان) في براونْشفَايج بألمانيا عام ١٩٦٦ م ، وعُهِدَ إلى أناماري شيمل بكتابة هذا الفصل عن الإسلام ، وهو دراسة وافية وإلمامة بليغة صحيحة شملت الإسلام وعقائده وعباداته وشريعته وثقافته وفنونه وأخلاقياته وخصائصه . وتتجلى في كتابتها رغبتها في أن يفهم الغربيون الإسلام فهماً صحيحاً ، ونجتزئ بذكر قولها :

« **إن الإسلام يمتاز بأنه دين التوحيد الخالص ، توحيد الله وعدم الإشراك به ، وأن الأخوّة الإسلامية تسمو بروحانيتها فوق جميع العصبيات** » .

كما أنها أشادت بالفنون الإسلامية في مختلف المجالات وبالثقافة الإسلامية في مختلف العلوم ، ووصفت التقاليد الإسلامية وقالت :

« **مما يستلفت أنظار الغربيين السائحين في ديار الإسلام ما يرونه في المسلم المتمسك حقاً بدينه من الامتياز بشعور العزة الروحية والكرامة والاعتدال وحسن الخلق** » .

كما قالت :

« **إن أثر القرآن يظهر في المجتمع الإسلامي ، ليس في النواحي الدينية والاجتماعية فحسب ، بل أيضاً في العلوم والفنون واللغة العربية نفسها ، وإن من مظاهر قوة اللغة العربية أن المشتغلين بعلوم الدين من المسلمين من كافة الأجناس من غير العرب إنما يتفاهمون فيما بينهم عن علوم الدين باللغة العربية** » .

ومما أوضحته هذه العالمة العبقرية : « **إن دعائم الحياة الإسلامية في المجتمع الإسلامي الصحيح هي الإيمان والتقوى والعمل والتآخي والتعاون والوفاء للشريعة الإسلامية بتطبيق أحكامها واتباع قواعدها في جميع المعاملات مع طهارة القلب ونقاء الضمير والتخلّق بالأخلاق الفاضلة** » .

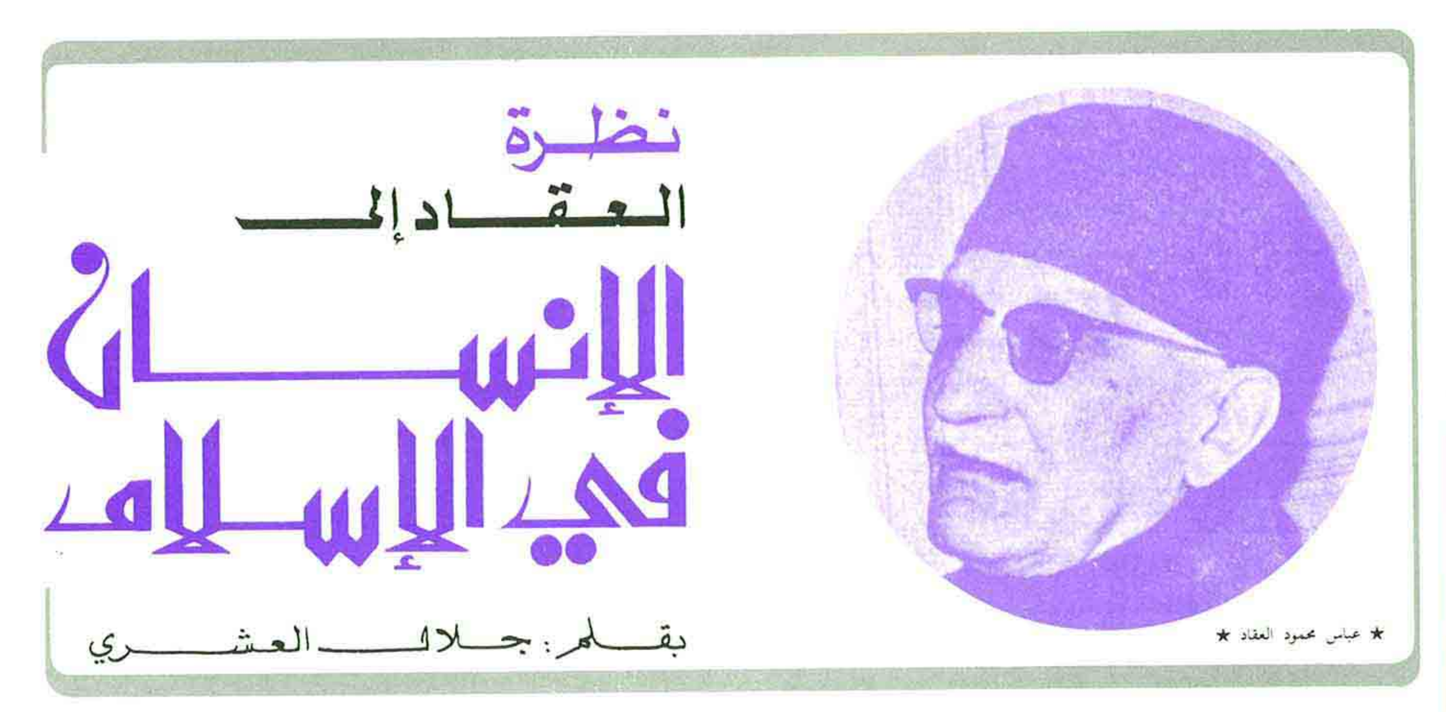
ولا يفوتنا أن نذكر أن أناماري شيمل كتبت مقدمة مسهبة تتسم بالإنصاف والأمانة العلمية وصحة البيان عن القرآن الكريم في الطبعة الحديثة (عام ١٩٦٣ م) للترجمة الألمانية للقرآن التي قام بها ماكس هنَنْج Max Henning . ومما قالته في هذه المقدمة :

« **إن القرآن هو المعجزة الكبرى للنبي ، والدليل القاطع على صحة نبوّته ، وإنه رسالة الله إلى الناس كافة ، وإن القرآن هو المهيمن على ما سلفه من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء والرسل ، وإنه يخاطب العقل والضمير والوجدان** » .

ثم إنها تكلمت عن الشريعة الإسلامية ، ومهمة حاكم الدولة الإسلامية في تطبيق أحكام الشريعة ، وإقامة الحدود ، كما نوّهت بكفالة الإسلام لحرية عقائد أهل الكتاب ، وبسياسة التسامح الإسلامي بوجه عام تجاه أهل الملل الأخرى .

ولا يتسع المقام للاسترسال في الحديث عن آثار هذه الباحثة المفكرة العالمة الجليلة التي لا تزال في الوقت الآخر أستاذة من الطراز الأول في جامعة بون .

فلا جرم أن يعرف العالم العربي والإسلامي لأناماري شيمل قدرها ومنزلتها العالية في عالم الاستشراق ، لا سيما وأنها تكتب عن الإسلام والمسلمين بروح الإنصاف ، مع نفاذ البصيرة ، وعمق الثقافة ، وأصالة التفكير ، والتفقه العظيم في اللغات العربية ، والفارسية ، والتركية ، والأردية ، عدا إلمامها بكثير من اللغات الأوروبية ، ولا غرو أن تكون من العرب والمسلمين موضع التقدير والإجلال والإعجاب .



نظرة العقاد إلى الإنسان في الإسلام

★ عباس محمود العقاد ★

بقلم : جلال العشري

منذ طوالع هذا العصر ، ونحن نرى العالم الغربي يبذل قصارى جهده لإعادة النظر في تصوره عن الإنسان .. قدره ومصيره ، أو لتقويم هذا التصور من جديد في ضوء علوم العصر وفلسفاته ، حفاظاً على القيمة الإنسانية من ناحية ، ومواكبة لإنجازات المدنية الغربية من ناحية أخرى .

ولقد تميز هذا العصر بحاجة الناس إلى نظرية إنسانية عامة ، أو إلى وجهة نظر شاملة في الإنسان ، تختلف عن تلك التي لم تشبعها طريقة « **هيبوليت تين** » في التحليل التجريدي ، كما تمتاز بالإقبال الجاد على دراسة مشكلات الإنسان ، دراسة تختلف عن روح التهكم عند « **إرنست رنيان** » ، أو أسلوب السخرية عند « **أناتول فرانس** » فضلاً عن تشبعها بعاطفة إنسانية فياضة تتعارض مع الطابع المادي البحت الذي وجدناه في فلسفة « **هربرت سبنسر** » .

ولقد تجلت هذه الاتجاهات الجديدة في فرنسا أول ما تجلت ، وتمثلت بوضوح واضح في آراء **هنري برجون** ، **وموريس بلوندل** ، **وليون برنشفيك** ، ثم ظهرت بعد ذلك بقليل في ألمانيا عند **هوسرل** ، وفي إنجلترا عند **برادلي** ، وفي إيطاليا عند **كورتشه** ، وفي إسبانيا عند **أونامونو** .

فهؤلاء جميعاً هم روّاد الانقلاب الروحي أو الحركة الروحية التي ظهرت بقوة منذ طوالع هذا القرن ، تطالب بالعودة إلى الذات المفكرة بل إلى الذات الداخلية ، وتؤكد على أن الدين ليس إحدى نتائج التطور التاريخي ، بل هو قانون سماوي يقرر مصير الإنسان ، وتنادي بالنظر إلى العلم لا من ناحية تطبيقاته العملية ولكن من جهة دلالته الروحية ، وكيف أنه ثمرة من ثمار العقل البشري ، ووسيلة يراد بها تحقيق السعادة للإنسان .

هذه الحركة الروحية هي التي دلَّت عليها طائفة من عناوين الكتب التي تناولت الإنسان ، واهتمت بطبيعته ومكانته ، وقدره ومصيره ، موقنة بأن الوصول إلى إدراك أوضح لماهية الإنسان أمر على جانب كبير من الأهمية في هذا العصر ، الذي يشهد اضطراباً مهولاً في اتجاهات السياسة ، ونظم الاجتماع ، ومذاهب الأخلاق .. منها مثلاً كتاب **ستاس** « **مصير الإنسان الغربي** » ، وكتاب **دي نوي** « **المصير الإنساني** » ، وكتاب **نيقولا برديائيف** « **مصير الإنسان** » ، وكتاب **أندريه مالرو** « **قدر الإنسان** » ، وكتاب **رينهولد نيبور** « **طبيعة الإنسان ومصيره** » ، وكتاب **ألكسيس كاريل** « **الإنسان .. ذلك المجهول** » ، وكتاب **إرنست كاسيرر** « **مقالات في الإنسان** » ، وغيرها من الكتب التي تتخذ موضوعها من الإنسان ومكانته في عالمنا الحاضر ، من حيث صلته بالله ، وعلاقته بمحيط بيئته ، وبالمجتمع وبالجماعة الإنسانية بوجه عام .

وفي العالم الإسلامي

أما في عالمنا الإسلامي ، فقد حدثت طوال القرن الرابع عشر الهجري ، محاولات ذات أهمية كبرى في سبيل إعادة تقرير ما يسلم به الإسلام من آراء جوهرية في الفلسفة وفي الكلام ، غير أن هذه المحاولات اتجهت اتجاهات عامة ، ولم يكن بها إلا إشارات عارضة إلى هذا الموضوع البالغ الأهمية ، ألا وهو محاولة استخلاص نظرية في الإنسان تنبثق من تعاليم الإسلام ، ونكشف عما فيه من مصادر لفلسفة إنسانية أصيلة بالنسبة للعالم الإسلامي ، ليست منقولة نقلاً حرفياً عن نظم شرقية أو غربية ، قد تبدو غريبة عن حقيقة جوهره .

فمن المعروف أن البحث في الفكر الفلسفي على مستوى عال رفيع في العالم الإسلامي ، وقف فجأة بعد **الإمام الغزالي** (المتوفي عام ١١١١ م) ، وعلى الرغم من أن قدراً كبيراً من النشاط في الشرح والتعليق استمر بعد هذا الفيلسوف الكبير ، إلا أن قادة الفكر الإسلامي كانوا يتبعون في تفكيرهم مدرسة من المدارس الفقهية أو الكلامية التي تأسست في القرون الثلاثة الأولى ، وكانوا يلتزمون تعاليم هذه المدرسة ، ويسيرون في استنباطهم وفق الأصول التي سارت عليها ، بحيث كاد عملهم أن ينحصر في دائرة شرح أفكار المدرسة ، أو في إخضاع حادث جديد لقاعدة عامة سابقة بحكم المشابهة والمماثلة لجزئية أخرى من جزئيات هذه القاعدة .

وسار الأمر في التفكير الإسلامي على هذا النحو إلى عصر **ابن القيم** ،

وابن تيمية (في القرن الرابع عشر الميلادي) اللذان استخدما النقد العقلي في تقويم الأفكار الإسلامية حول أصول الإسلام ، سواء منها ما يتصل بذات الخالق وصلته بالمخلوقين ، أو ما يتصل بالجماعة وتوجيهها التوجيه السليم ، ومن ثم كان الطريق الذي سلكه هذان الرائدان كما يقول بحق **الدكتور محمد البهي** ، تمهيداً للحركات الإسلامية العقلية التي جدت فيما بعد ، بحيث تعتبر هذه الحركات الإسلامية المعاصرة ، تطوراً للعمل الذي قام به هذان الرائدان .

وأهم هذه الحركات الإسلامية الأخيرة ، **الدعوة الوهابية** التي ظهرت في نجد في القرن الثامن عشر الميلادي بريادة **محمد بن عبد الوهاب ، والحركة السلفية** التي ظهرت في مصر ، في القرن التاسع عشر على يد **جمال الدين الأفغاني** (المتوفى عام ١٨٩٧ م) **ومحمد عبده** (المتوفى عام ١٩٠٥ م) ، **والحركة العقلية** التي ظهرت في الهند في القرن التاسع عشر ، بظهور مدرسة **أحمد خان** (الذي ولد سنة ١٨١٧ م) وهي المدرسة التي تزعمها من بعده **محمد إقبال** (المتوفى عام ١٩٣٨ م) ، ثم **الحركة السنوسية** التي ظهرت في برقة والتي قام بها وتحمل في سبيل نشرها الجد الأكبر لملك ليبيا السابق ، إدريس السنوسي .

الإنسان في علم الكلام الجديد

ومن أبرز الأسماء التي تطالعنا على رأس الفريق الآخر ، المصلح السلفي المصري الإمام **محمد عبده** ، صاحب « **رسالة التوحيد** » التي دعا فيها إلى علم كلام جديد ، على أساس من الإيقان بأن الدين لا يمكن أن يتعارض لا مع العلم ولا مع الفلسفة ، فالحق لا يضاد الحق ، ولا يعارضه ، ومن ثم راح يدعو إلى دراسة العلم والفلسفة جميعاً في هدي الدين ، دون أن يسمح بأي اختبار للعقيدة « **فالإسلام أنقذ العقل من قيوده ، وحرره من التقليد الأعمى الذي استعبده ، ورد إليه ميدانه الذي كان يقرر فيه قراراته طبقاً لرأيه وحكمته ، غير أنه يجب أن يذل ويخضع أمام الله ، وأن يقف عند الحدود التي حددتها العقيدة ، وداخل هذه الحدود ليس هناك مانع يعوق نشاطه ، وليس هناك حد للتأملات التي يصح أن تجرى تحت حمايته** » .

وعندما يقول **القرآن الكريم** ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ . . . . ﴿ **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾ . فإن قوله تعالى يتضمن المسؤولية ، ومن ثم الحرية ، لأنه لن يكون ثمة عدل ما لم يكن الإنسان حراً ، ومسؤولا عن هذه الحرية ، فالحرية تحاشيها المسؤولية ، وبمقدار ما يكون الإنسان حراً ، يكون مسؤولا ، على نفس المستوى وبنفس القدر .

ويستدل **محمد عبده** على هذا بمبدأ « المجاهدة » فقوله تعالى ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ (سورة العنكبوت ، الآية ٦٩) ، يبين أن هدي الله ميسّر لمن يجاهدون في سبيل الاهتداء إلى الحق والخير والعدل ، وكما أن الناس تحكمهم في حياتهم الاجتماعية قوانين خاصة ، كذلك تحكمهم في كل مكان وزمان قوانين الله ، وهم قادرون على معرفة هذه الشرائع الإلهية بالتدبر والتفكير

كما أن الفرد الحر المختار في رأي الإمام هو اللبنة الإيجابية في بناء المجتمع الإنساني ، والإسلام في نظره ، كما يقول **الدكتور محمد البهي** ، لم يهدف إلى خلق مجتمع عاق ومشلول بل قصد إلى مجتمع تعمره الحياة والحركة ، ويتجه في سيره إلى الخير العام .

الإنسان في الميتافيزيقا الإسلامية الجديدة

وبعد الإمام السلفي **محمد عبده** ، يجيء الفيلسوف العقلي **محمد إقبال** ، صاحب كتاب « **تجديد التفكير الديني في الإسلام** » الذي حاول فيه أن يقرر ميتافيزيقا إسلامية جديدة « **مع العناية الواجبة بالتقاليد الفلسفية للإسلام ، وبالتطورات الجديدة في مختلف ميادين المعرفة الإسلامية** » ، فهو ينادي بالرجوع إلى الدين الإسلامي الحنيف ، كما نادى **محمد عبده** ، وهو يحارب التقليد ويدفع الباحثين إلى الاستقلال في البحث ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، ويؤكد مذهب حرية الاختيار للإنسان .

ولكنه يذهب إلى أبعد مما ذهب إليه **الإمام محمد عبده** في إثبات حرية الذات الفردية ، واستقلال الإرادة الإنسانية ، فهو بأتباعه مدرسة الفيلسوف الإنجليزي **برادلي** يعنى كما لاحظ بحق **الدكتور عثمان أمين** ، بتقرير صدق الإدراك الباطني للإنسان وطهره ، ويترتب على هذا تأكيد المسؤولية الأخلاقية المستقلة لكل كائن إنساني ، وقد وجد **محمد إقبال** أن القرآن الكريم يعبِّر عن هذه الفكرة أوضح تعبير ، وذلك في قوله تعالى ﴿ **وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً** ﴾ (سورة مريم ، الآية ٩٥) ، ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ١٦٤) ، ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ (سورة النجم ، الآية ٣٩) .

إن الطريق ، كما يقول إقبال ، ممهد أمام الإنسان لكي يأخذ مكانه في الكون ويصبح حراً ، وهذه الحرية الشخصية لا ينالها الإنسان لأنها حق من حقوقه ، وإنما يصل إليها بالجهد الشخصي ، والعمل الدائب ، واتباع هدي الله .

ولما كان الإنسان أسمى من الطبيعة مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾ (سورة الإسراء ، الآية ٧٠) ، ولما كان الإنسان قد حمل أمانة أبت الطبيعة أن تحملها ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا** ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية ٧٢) كان الإنسان قادراً على تشكيل قوى الطبيعة وتوجيهها ، صحيح أن الطبيعة تهزمه في بعض الأحيان ، ولكنه قادر رغم ذلك على أن يقيم عوالم روحية رحبة داخل وجوده الباطن ، وبذلك يتمكن من أن يسمو على الطبيعة . وهذا معناه أن الإنسان يشكل مصيره ومصير الكون بأن يلائم بين نفسه وبين قوى الكون أحياناً ، وبأن يكيّف قوى الكون وفق غاياته وأغراضه أحياناً أخرى ، وهو بصنيعه هذا إنما ينمو نمواً روحياً ، وذلك هو النمو الروحي للإنسان .

الإنسان في العقيدة الإسلامية

وفي تطوير وتقرير لآراء هذين المفكرين في مذهب الإنسان في الإسلام ، يجيء المفكر الإسلامي المعاصر **عباس محمود العقاد** ، ليقوم بمحاولة تركيبية لوضع نظرية متكاملة عن الإنسان في الإسلام تنبثق من تعاليم الدين الإسلامي ممثلة في كتاب الله وسنَّة رسوله ، وتنطلق في ضوء آراء العلماء ومذاهب الفكر الفلسفي الحديث .

فالعالم الإسلامي في عصرنا الحاضر يواجهه نظامان شموليان من التفكير

السياسي ، مؤسسان على نظريات متكاملة في الإنسان ، ولهذا كان من الضروري أن يحلل مفكرو الإسلام تصوراتهم المتعلقة بهذه المسألة الجوهرية ، حتى لا تخدعهم الدعاية الماهرة والماكرة لأحد النظامين ، فيستسلموا لطرائق من التفكير دخيلة على دينهم الحنيف ، مغايرة لمأثورهم القويم .

ولا يتعرض عالمنا الإسلامي لتيارات متصارعة تأتيه من خارجه فحسب ، فإن في داخله في العصر الحاضر ، شيعاً وطوائف تنادي بآراء مختلفة ومناهج متباينة ، وهذا من شأنه أن يضاعف من صعوبة أية محاولة تبذل لوضع نظرية في الإنسان ، مستمدة من تعاليم الإسلام ، وصالحة في ذات الوقت للعالم الإسلامي ، خاصة إذا كنا في القرن العشرين ، عصر الحياة على مبدأ وعقيدة وليس أكثر من المبادئ والعقائد التي نسمع عنها في هذا القرن ، ويسمونها بالمذاهب والأيديولوجيات ، والتي تطرح أسئلة لا مناص من الإجابة عليها ، وإلا كانت الحيرة التي تعصف بالأبدان وبالعقول ، أو بالأحرى . . بالإنسان .

وهي أسئلة لا جواب لها في غير « **عقيدة دينية** » تجمع للإنسان صفوة عرفانه بدنياه ، وصفوة إيمانه بغيبها المجهول ، تجمع له زبدة الثقة بعقله ، وزبدة الثقة بالحياة . . حياته وحياة سائر الأحياء والأكوان .

هذه العقيدة الدينية كما يقول **العقاد** ، توجد كما ينبغي أن توجد ، وإنما الضلالة فيمن يريدها على غير سوائها الذي تستقيم عليه ، ولا تستقيم على سواه ، وهذا ما عبَّر عنه تعبيراً صريحاً واضحاً قال فيه : « **إن القرن العشرين منذ مطلعه ، يعرض العقيدة بعد العقيدة على الإنسان وعلى الإنسانية ، ولا نعلم أنه عرض عليها حتى اليوم قديماً معاداً أو جديداً مبتدعاً هو أوفق من عقيدة القرآن** » .

وبمزيد من الوضوح والصراحة يستطرد العقاد قائلاً : « **إن المنصف بين النصائح لا يستطيع أن ينصح لأهل القرآن بعقيدة في الإنسان والإنسانية أصح وأصلح من عقيدتهم التي يستوحونها من كتابهم ، وإن القرن العشرين سينتهي بما استحدث من مبادئ وأيديولوجيات ، ولا ينتهي ما تعلمه أهل القرآن من القرآن** » .

وتأسيساً على ذلك نقول ما قاله العقاد ، من أن الإنسان في عقيدة القرآن هو الخليقة المسؤول بين جميع ما خلق الله ، يدين بعقله فيما رأى وسمع ، ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب ، فلا تدركه الأبصار والأسماع . والإنسانية من أسلافها إلى أعقابها أسرة واحدة لها نسب واحد وإله واحد ، أفضلها من عمل حسناً وأتقى سيئاً ، وصدق النية فيما أحسنه واتقاه .

الإنسان في القرآن

ولما كان القرآن هو المصدر الأول لأوضاع الثقافة الإسلامية ، فقد اتجه العقاد إلى هذا الكتاب الكريم ، دارساً ما فيه من أقوال صريحة وآراء ضمنية فالقرآن الكريم يقرر صراحة أن الإنسان مدين بوجوده لله ، فهو مخلوق من مادة سوّاها الله ، وقد مُيز الإنسان عن سائر الكائنات الحيّة بأن الله ينفخ فيه من روحه ، ولما كان الإنسان مخلوقاً ، ومخلوقاً من تراب أو من طين ، فلا يمكن أن يظن أنه مساو لله في أي وجه من الوجوه ، كما لا يستطيع هو نفسه أن يجرؤ على مناهضة السلطان الإلهي .

﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه ﴾ (سورة السجدة ، الآيات ٦ ـ ٩) .

وللإنسان على وجه من الوجوه ، من الأرض ، فهو أرضي ومخلوق غير مستقل ، إلا أن روح الله التي نفخت فيه تفصله عن سائر المخلوقات غير المستقلة ، وتفضله عليهم ، وتهب له علاقة فريدة بخالقه ، إنه كائن قادر على السلوك العقلي ، والحكم على الأشياء ، والتقرير الإرادي ، والاختيار الأخلاقي ، والقرآن يدعم هذه الحقيقة الروحية بتقريره أن الله خلق الإنسان ليكون خليفته في الأرض ، وقد أقيم الإنسان على الأرض ليسيطر على سائر المخلوقات التي جعلت خاضعة لإرادته ، باعتباره ترابياً ولكنه حر طليق من قيود التراب .

﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلاً ﴾ .

ولقد ذكر الإنسان في القرآن بغاية الحمد وغاية الذم في الآيات المتعددة وفي الآية الواحدة ، ولا يعني ذلك أنه يحمد ويذم في آن واحد ، وإنما معناه كما يقول العقاد أنه أهل للكمال والنقص بما فطر عليه من استعداد لكل منهما ، فهو أهل للخير والشر ، لأنه أهل للتكليف . والإنسان مسؤول عن عمله ، فرداً وجماعة ، لا يؤخذ واحد بوزر واحد ، ولا أمة بوزر أمة :

﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾ (سورة الطور ، الآية ٢١) .

﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٣٤)

أما مناط المسؤولية في القرآن ، فهو جامع لكل ركن من أركان هذه المسؤولية ، التي أجملها العقاد في ثلاثة أركان . . تبليغ ، وعلم ، وعمل . فلا تحق التبعة على أحد لم تبلغه الدعوة في مسائل الغيب ومسائل الإيمان :

﴿ ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ (سورة يونس ، الآية ٤٧) .

أما العلم ، فإن أول آية من الكتاب تلقاها صاحب الدعوة الإسلامية ، كانت أمراً بالقراءة ، وتنويهاً بعلم الله وعلم الإنسان :

﴿ اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (سورة العلق ، الآيات ٣ ـ ٥) .

وأول فاتحة في خلق الإنسان ، كانت فاتحة **العلم** الذي تعلّمه آدم وامتاز به على سائر المخلوقات :

﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ (سورة البقرة ، الآيتان ٣١ ـ ٣٢) .

وأما **العمل** فهو مشروط في القرآن بالتكليف الذي تسعه طاقة المكلف ، وبالسعي الذي يسعاه لربه ولنفسه :

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٢٨٦) .

﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ (سورة النجم ، الآية ٣٩) .

الإنسان هو الكائن المكلف

ومن المسؤولية الإنسانية القائمة في القرآن على أركانها المجملة من تبليغ إلى علم ، إلى عمل ، ينتقل العقاد إلى الكلام عن التكليف باعتباره الخاصة المحكمة

التي ينفرد بها القرآن ، بين سائر الأديان ، ومذاهب الفكر الفلسفي ، في وصفه للإنسان بأنه الكائن المكلف ! فتعريف الإنسان « **بالكائن المكلف** » أصوب في التعريف من قول القائلين إنه « **الكائن الناطق** » وأشرف في التقدير ، ذلك لأن الكائن الناطق ليس بشيء ، إن لم يكن هذا النطق أصلاً لأمانة التكليف .

إنما الكائن المكلف ، كما يقول العقاد ، شيء محدود بين الخلائق بكل حد من حدود العقيدة أو العلم أو الحكمة ، وحادث من حوادث الفتح في الخليقة ، موضوع في موضعه المكين بالقياس إلى كل ما عداه . وعلى ذلك فإن « مكان الإنسان في القرآن الكريم هو أشرف مكان له في ميزان الفكر ، وفي ميزان الخليقة الذي توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات » .

ذلك لأن الكتاب الذي ميز الإنسان بخاصة التكليف ، هو الكتاب الذي امتلأ بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته ، وكل وظيفة من وظائفه ، فالعقل روية وتدبير ، العقل بصيرة وتفكير ، العقل رشد وتمييز ، العقل وازع « يعقل » صاحبه عما يأباه له التكليف . . والعقل بكل عمل من أعماله التي يناط بها التكليف ، حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر أنفسهم ، ومن أمر خالقهم ، وخالق كل شيء :

﴿ ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٩١) .

﴿ أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ﴾ (سورة الروم ، الآية ٨) .

والواقع أن تكاليف القرآن جميعاً ، تقيم الشواهد على هذا التوافق الموصول بين تمييز الإنسان بالتكليف في القرآن ، وبين خطابه للعقل والفكر ، وتذكيره بالروية والتدبير ، وهذا ما عبَّر عنه العقاد بقوله : « **إن الرسالة التي لم تعرف قط في التاريخ البشري قبل الإسلام هي تمييز الإنسان بخاصة التكليف وإعداده لخطاب العقل وبنيات الإقناع** » .

الإنسان حامل الأمانة

والأمانة هنا هي أمانة التكليف ، فالكائن المكلف من قبل الله ، هو الكائن الذي حمل الأمانة ، الأمانة التي عرضت على الخلق عامة ، ولم يحملها أحد من خلق الله ، وحملها الإنسان . وما كان ليحملها إلا أن يتعرض لتبعاتها فهو ظلوم جهول ، ظلوم لأنه يتعدى الحدود وهو يعرفها ، وجهول لأنه يتعدى تلك الحدود وهو لا يعلمها ، وعنده أمانة العقل التي تهديه إلى علمها ، وما من كائن غير الكائن العاقل ، كما يقول العقاد ، يوصف بالظلم والجهل ، لأن غير العاقل لا يعرف الحد الذي يتعداه ، ولا يطلب منه معرفة الحدود ، وإنما يوصف بالظلم والجهل من يصح أن يوصف بالعدل والمعرفة ، ومن يصح أن يوضع موضع السؤال .

قال تعالى **﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا ﴾** .

وهذا معناه أن الإنسان وحده من بين سائر مخلوقات الله ، هو الذي كان أهلاً لأمانة الخير والشر أو لأمانة التكليف ، بما أودع فيه من فطرة التكوين . ويستشهد العقاد في تأكيد هذا المعنى بقول الفيلسوف الإسلامي **فخر الدين الرازي** : « **إنا عرضنا الأمانة أي التكليف وهو الأمر بخلاف ما في الطبيعة ، واعلم أن هذا النوع من التكليف ليس في السماوات ولا في الأرض ، لأن الأرض والجبل والسماء كلها على ما خلقت عليه : الجبل لا يطلب منه السير ، والأرض لا يطلب منها الصعود ولا من السماء الهبوط ، ولا في الملائكة ، لأن الملائكة وإن كانوا مأمورين منهيين عن أشياء لكن ذلك لهم كالأكل والشرب لنا ، ينسجون الليل والنهار لا يفترون كما يشتغل الإنسان بأمر موافق لطبعه** » .

ويعقب العقاد على تفسير فخر الرازي بأن معنى الاستعداد الفطري في تكوين الإنسان ، ماثل في الآيات التي ورد فيها ذكر صفات « **الإنسان** » بمعنى جنس الإنسان ، فإنه يذكر بهذه الصفات مع ذكر آيات التكوين والخلق وتصريف قوى الطبيعة ، فقد ذكر تكريم الإنسان مع السلطان على البر والبحر والزرع والضرع والتفضيل على كثير من خلائق الله ، كما ذكر ظلم الإنسان وجهله مع انفراده بالفطرة المستعدة للتكليف بين خلق السماوات والأرض ، ومعنى هذا كله أن الأمانة التي أبت الطبيعة أن تحملها وحملها الإنسان ، تدل دلالة واضحة على الحرية الإنسانية ، وهذا الفصل في الحرية هو نفسه الذي يسبب تردي الإنسان . وفي ضوء سر عظمته وخطيئته جميعاً ، فلو لم يكن الإنسان حراً ما ارتكب الخطيئة ، ولو لم يكن حراً ما ساغ أن يحمل الأمانة .

التكليف الإلهي والحرية الإنسانية

إذن ، فما حدود العلاقة بين التكليف الإلهي وبين الحرية الإنسانية ، أو بالأحرى بين إرادة الله وحرية الإنسان؟

عند العقاد أن الطاعة والحرية شرطان من شروط التكليف ، وعنده أيضاً أن هذه بديهية يغفل عنها كثير من المجادلين في قضية القدر ، وفي قضية الإيمان ، وفي قضية التكليف والجزاء . ذلك لأنهم إنما يقصرون النظر على شرط الحرية دونما نظر إلى شرط الطاعة وكأنه مناقض للجزاء ، أو كأنه من اللازم مثلاً أن يكون الجزاء مقروناً بالحرية المطلقة ، وتلك في ذاتها استحالة عقلية بكل احتمال يخطر على البال في فهم خلق الإنسان . لذلك نرى العقاد يرجع بالقضية إلى أسسها المحتملة على كل احتمال ينفي التناقض ، ويرينا كيف يكون الاعتقاد حلاً للمشكلة من أسسها المفروضة جميعاً .

فلو افترضنا الإنسان على صورة من الصور التي يفترضها الماديون أو المثاليون ، فكيف يتصور العقل إرادة الإنسان على كل افتراض؟

إنه لا يتصورها إرادة مطلقة من جميع القيود ، لأن إرادة إنسان واحد تنطلق بدون قيد هي قيد لكل إنسان سواه ، وكيف يتأتى هذا الإنسان الواحد بإرادته المطلقة بين سائر أفراد الإنسان بإراداتهم المقيدة؟ كذلك لا يتصور العقل أن يوجد الناس جميعاً بإرادة مطلقة لكل منهم على سواء ، لأن تلك هي الاستحالة العقلية في الفرض وفي الواقع .

وعلى الوجه الآخر تجيء استحالة افتراض الإرادة المطلقة سواء لكل البشر أو لفرد واحد من أفراد الإنسان ، فخلق البشر جميعاً مكلفين بغير إرادة لهم ، شيء لا يقبله العقل ، لأن سقوط التكليف في هذه الحالة لا معنى له إلا أن يخلق الناس جميعاً متشابهين متماثلين متساوين في العمل الصالح الذي يساقون إليه كما تساق الآلات ، وفي هذه الحالة لا يكون ثمة فضل للعاقل على غير العاقل ، ولا تمييز للإنسان على الجماد فضلاً عن الحيوان .

« فإذا وجب تكليف الإنسان ، فالعقل الإنساني لا يوجبه إلا كما ينبغي أن يوجب على حالة واحدة لا سواها ، وهي حالة الإرادة المخلوقة يودعها فيه الخالق كما ينبغي أن تودع ، وهي لا ينبغي أن تودع إلا على هذا الفرض الذي يدعو إليه القرآن » .

وعلى ذلك فإذا وجدنا في القرآن الكريم آيات صريحة تؤيد كلا الأمرين ، كما في قوله تعالى :

﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٢١٣) .

﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾ (سورة يونس ، الآية ١٠٨) .

إذا وجدنا مثل هذه الآيات ، فلا ينبغي أن نظن في الأمر شبهة تناقض أو تعارض ، وإنما الذي ينبغي أن نوقن به ، هو أنه حيث يكون الاهتمام موجهاً إلى الله ، فإن سلطانه المطلق الكامل يكون موضع تأكيد ، وفي هذا السياق تعتبر أعمال البشر خيرها وشرها على السواء ، مسببة عن الإرادة الإلهية مباشرة ، إذ إنه لا يحدث شيء ما لم يرد إلى الله ، وما لم يرده الله .

بل إن مشيئة الله الأزلية الأبدية لتنفذ حتى في مسائل الاعتقاد ، فيهدي قوماً إلى الإيمان ، ويوجه آخرين إلى الضلال ، فهو يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم ، ويصرف من يشاء إلى سبيل الكفر والضلال .

هذا كما يقول المستشرق **هارولد ب . سمث** حين يكون الاهتمام موجهاً إلى الله ، أما حين يحول الاهتمام إلى الإنسان ، فإن التأكيد ينصب على أن الإنسان قد وهبه الله الحرية والمسؤولية الأخلاقية ، فكل إنسان ذات أخلاقية حرة ، وهو مسؤول أمام الله عن أفكاره وأعماله .

والله يرشد الإنسان عن طريق كتابه الكريم إلى مبادئ أخلاقية عامة منبعثة عن إرادته الأبدية ، إلا أن في الإنسان قوة كامنة ، تجعله يتقبل هدي الله ، أو يتحول عنه ، وهنا يحق عليه العقاب ، كما يحق له الثواب . وتلك هي الحرية الإنسانية أو حرية الإرادة لدى الإنسان .

الحرية المخلوقة والحرية المطبوعة !

ولكن هل هي حرية مخلوقة أم هي حرية مطبوعة ؟ وكائناً ما كانت هذه الحرية ، فهل يتماثل حكم العقل فيها مع حكم الإيمان ؟

الواقع أن هذه القضية لها جذورها الممتدة في تراث الفكر الإسلامي ، حيث برزت قضية العلاقة بين إرادة الله وحرية الإنسان ، أو بين مشيئة المطلق وتكليف المقيد ، فالمطلق الذي هو الله إرادة غير محدودة ، وقدرة لا نهاية لها ، والمقيد الذي هو الإنسان إرادة حادثة وقدرة محدودة .

والذي يترتب على ذلك هو وجود مسؤولية ما تتدخل في الحد من الحرية ، بمعنى أن الإنسان مسؤول بقدر ما أتيح له من حرية ، وبما أن الحرية بهذه الكيفية محدودة ، فالمسؤولية يجب أن تكون بدورها محدودة ، ومع ذلك فإن القضية لم تفهم على هذا النحو عند أغلب الفرق الإسلامية التي توزع المسلمون عليها ، أو أخذوا يتوزعون عليها من قبل أن ينتصف القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) إلى أن تبلور الخلاف ، كما يقول **الدكتور أحمد كمال زكي** ، في فرقتين كبيرتين هما : **الجبرية** ، أي القائلون بالجبر ، **والقدرية** ، أي القائلون بالاختيار ، أما فرقة **الأشاعرة** فقد وقفت وسطاً بين الجبرية والقدرية ، وكانت الظروف الاجتماعية في عصرها قد هيأت لها كل فرص الظهور ، فمن ناحية كان العقل الإسلامي قد نما وتطور حتى راح ينكر ما لدى الجبريين من تخاذل واستكانة ، ومن ناحية أخرى كان سلطان **المعتزلة** الذي خلف القدرية منذ أيام **واصل بن عطاء** قد قضي عليه قضاءً كاملاً .

والواقع أن الفلسفة الإسلامية لم تنضج إلا بعد أن احتل الأشاعرة مكانة المعتزلة ، وحاولوا التوفيق بين الجبر والاختيار ، أو بين الإرادة الإلهية والحرية الإنسانية ، ويكاد يجمع الرأي على أن **الأشعري** ، وهو معتزل في الأصل ، عاش في نهاية القرن الثالث ، ساعد كثيرين من رجال الفلسفة في بيان حد الحرية ، حتى لقد ذهب عدد من المستشرقين من أمثال **ريتر** ، **وهاربر وكر** ، **وإرنست رنيان** ، إلى أن أغلب المتكلمين هم الذين أنشأوا الفلسفة العربية الحقيقية ، وأنه من العبث مجاوزة المعتزلة وغيرهم من فرق الكلام في تحديد معالم الفلسفة الإسلامية !

ولا يخرج العقاد عن تراث الفكر الإسلامي الأصيل ، إلا بإحاطته بمذاهب الفكر الفلسفي في العصر الحديث ، وذلك في تقريره أن الحرية المخلوقة حرية صحيحة كما ينبغي أن تكون في احتمال العقل المدرك المميز الذي يهتدي بإذن الله . ولا يقال إن الحرية التي تخلق ليست بحرية ، لأن الحرية غير القيد سواء كانا مخلوقين أو مطبوعين .

ويستطرد العقاد في بيان هذا المعنى فيقرر أن ليس في العقل شيء يسمى حرية مطبوعة ، تعلو على الحرية المخلوقة بالانطلاق من جميع القيود ، لأن الانطلاق من جميع القيود غير معقول وغير موجود ، وإذا قضى العقل بهذا دون سواه ، فالعقل هو الذي يتصور إرادة الله وإرادة الإنسان على احتمال واحد دون سواه ، وعلى ذلك فإن حكم الإيمان هنا وحكم العقل متماثلان ، إذا كان كل ما عدا حرية الإيمان فرضاً غير معقول ، وغير موجود !

واستخلاصاً للنتائج من مقدماتها ، يذهب العقاد إلى أن العقل الذي يزيد عليه الإيمان هو العقل الذي خاطبه القرآن بالتكليف ، ولا يعرف عقل الإنسان تكليفاً غير التكليف الذي بسطته نصوص القرآن ، فلا معنى للتكليف أصلاً إن لم تكن فيه طاعة وحرية ، ولا معنى للحرية دون إرادة الله وإرادة الإنسان .

الإنسان والجماعة الإنسانية

ولما كانت إرادة الله هي الموجدة للبشر أجمعين ، فقد ترتب على هذا أنه لا يفضل إنسان إنساناً بشرف مولده ، ولا بنوع عمله ، ولا بجاهه في قومه ، **فالإقرار بالمساواة الكاملة بين البشر باعتبارهم من خلق الله ، أمر من الأمور الأساسية في الإسلام .**

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (سورة الحجرات ، الآية ١٣) .

وليس في الإسلام طبقات خاصة ، ولا جماعات ممتازة ، ولا أمم مختارة ، إذ إن البشر جميعاً في أصلهم أمة واحدة .

﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ﴾ (سورة يونس ، الآية ١٩) .

ولكن هذا الاختلاف لا يرجع إلى عصبية في الجنس ، أو الأسرة ، إذ

لا فرق في ذلك بين إنسان وإنسان :

﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ (سورة الحجرات ، الآية ١٠) .

والطريقة الوحيدة التي يستطيع بها الناس أن يصنفوا أنفسهم هي نوع استجابتهم لله ، هي قبول هدي الله أو الخروج عن طاعته ، وهو المبدأ الذي تتضمنه الأصول النظرية لشعائر الإسلام التي استهدفت أن يكون الناس جميعاً سواسية أمام الله . وفي الحديث النبوي الشريف : « **لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى** » .

فـفي **الصلاة** يقف الأمير والسائل متجاورين يعبدان الله ، وفي **الصوم** يستشعر الناس جميعاً ، غنيهم وفقيرهم على السواء ، خضوعهم لله ، ويدركون قسوة الجوع عندما يصيب الناس جميعاً على هيئة واحدة ، وفي **الحج** يدخل المسلمون الحرم وقد ظهروا جميعاً في ثوب من قطعة واحدة ، هو ثوب الإحرام ، حتى يدركوا أنهم متساوون متحدون في نظر الله . أما **الزكاة** فهي تؤكد عدم التعويل على المتاع المادي ، وإحساس المسلم بالمسؤولية تجاه سائر خلق الله .

ولقد عبَّر الشاعر التركي والمفكر الإسلامي « **ضيا كوك ألب** » عن هذه المعاني تعبيراً شعرياً جميلاً وجليلاً قال فيه : « **إن القوم الذين يجاهد كل منهم في سبيل غرضه وحده ، قد صاروا اليوم إخوة متحدي القلوب ، لقد ولت الأثرة ، وعم قلوبهم شعور جماعي** » .

فعند هذا الشاعر المفكر أن الشخصية الإنسانية لا تصل إلى مرتبة السمو إلا حين تصبح حاملة « للوعي الجماعي » عندما تفقد نفسها بطريقة دينية ، وتفنى في الوعي الأعم ، وعي المجتمع . وهو يعرف الشخصية الإنسانية بأنها : « **مجموع الأفكار والمشاعر الموجودة في وعي المجتمع ، والمنعكسة على وعي الفرد** » . وهذا معناه ، كما يقول **الدكتور فضل الرحمن** ، أن الفردية تعني عدم وجود المثل العليا ، فهي أصل الجمود والتحجر والانحلال الأخلاقي ، أما الجماعية وهي اندماج الأفراد في وحدة كلية لها إدراك جماعي ، فهي المنبع الوحيد للمثل الإنسانية والتقدم الحضاري .

وإذا كان هذا المفكر الإسلامي قد صاغ جماعيته هذه تحت تأثير عالم الاجتماع الفرنسي **إميل دوركايم** ، فإن الأصل الروحي لهذه النظرية قائم في الدين الإسلامي في تأكيده على أخوة المؤمنين ، وتساويهم أمام الله .

﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ (سورة الأنبياء ، الآية ٩٢) .

ومعنى هذا أن القرآن الكريم كما يقول العقاد ، قد وضع الإنسان ، علماً وديناً ، في موضعه الصحيح ، حين جعل تقسيمه الصحيح أنه « ابن ذكر وأنثى » وأنه ينتمي بشعوبه وقبائله إلى الأسرة البشرية التي لا تفاضل بين الأخوة فيها بغير العمل الصالح ، وبغير التقوى :

﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ (سورة الحجرات ، الآية ١٣) .

ويذهب العقاد إلى أن تعدد الشعوب والقبائل واختلاف اللغات والألوان ، من أقوى الأسباب لإحكام صلة التعارف بين أفراد الإنسانية ، وهذا هو حكم القرآن الكريم في وحدة بني الإنسان ، وفي تدعيم هذه الوحدة :

﴿ **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين** ﴾ (سورة الروم ، الآية ٢٢) .

وهذه الوحدة في صلة الإنسان بالإنسان كما يقول العقاد ، مشدودة الأزر بالوحدة بين الناس كافة في الصلة بالله ، ربهم ورب العالمين ، الذي يسوِّي بينهم ، ويدينهم بالرحمة والإنصاف ، ثم لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه إلا بقسطاس العدل ، أيهم أحسن عملاً وأقرب إلى التقوى واستباق الخيرات .

والله سبحانه وتعالى هو الحق الذي ينشئ للإنسانية حقوق المساواة بين أبنائها ديناً وعلماً وفلسفة وشريعة وإلهاماً من الوحي الإلهي ، وتمحيصاً من البديهة الإنسانية !

الإنسان في « دار الإسلام »

وفي العرف الإسلامي تصور آخر يتعلق بالفرد في الجماعة ، ويمنح الناس وسيلة للترابط وإحساساً بالاتحاد لا يوجد ، كما يقول المستشرق هارولد . ب . سمث ، في التصورات الغربية الحديثة للإنسان .

هذه الشخصية المتحدة يعمل على تكوينها التصور الخاص « بدار الإسلام » أي تآخي المؤمنين ، وليس هذا التصور مجرد تفكير نظري ، إنه واقع غير محسوس يضفي على كل مسلم شعوراً بالترابط الوجداني مع كل مسلم آخر ، كما يهبه إحساساً بالأمن ، فهو ينتمي إلى كل يعلو على فروق اللون والطبقة والجنس ونظم الدولة ، إنه يستطيع أن يحس بأنه في داره في أرض شاسعة متناثرة من الساحل الأطلنطي لإفريقيا إلى قلب المحيط الهادي .

كل هذا يوجد ، أو هو قادر على أن يوجد روحاً جماعية ووحدة بين شعوب العالم الإسلامي . وهي وحدة لها ، كما يقول المؤرخ الشهير **أرنولد توينبي** ، أهميتها البالغة في حركة التاريخ ، والذي يذكره التاريخ هو أن هذه الأخوة تظهر أقوى ما تظهر عندما يتهدد العالم الإسلامي أو أي جزء من أجزائه ، مصدر غير إسلامي ، وإن أهملت أو أغفلت حين لا يتهدد الجماعة الإسلامية خطر خطير من الخارج . ومع ذلك فإن هذه الرابطة قوة حقيقية ، قادرة على أن تصبح عاملاً فعالاً ومؤثراً في العالم الإسلامي كله .

وعلى ذلك فإذا كان عصرنا هو عصر العلاقات العالمية ، الذي لا يتطلب « مواطناً » أصح وأصلح من الإنسان الذي يوقن بالأسرة الإنسانية ، فعند العقاد أن هذا العصر لا تسعده عقيدة أخرى أصح له وأصلح من عقيدة القرآن الكريم .

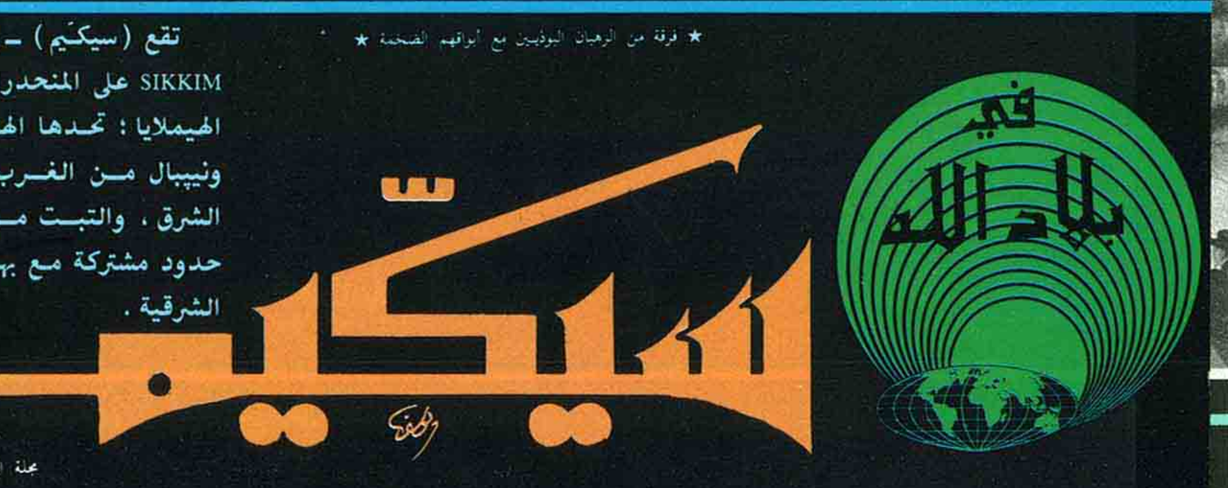
وإذا كان عصرنا هو عصر الوحدة الإنسانية من إيمان برب واحد للعالمين ، وبنبوَّة تختم النبوءات ، فإن القرآن الكريم يعطي ، كما يقول العقاد ، إنسانه الذي ليس من إنسان أصح منه وأصلح لهذا العصر .

ولكن ما العالم الإنساني ، وما الإنسانية الواحدة ؟

عند العقاد أن العالم الإنساني كلمة غير مفهومة عند من يدين برب غير رب العالمين ، وأن قيم الأخلاق تصبح بلا قيمة ولا معنى حين تنقطع الأسباب بين الحسنات والسيئات وبين الثواب والعقاب ، وأن الإنسانية الجامعة شيء لا وجود له قبل أن يوجد الإنسان المسؤول ، أو قبل أن تتحقق مسؤولية الإنسان .

وعلى ذلك ، « **فالإنسانية الواحدة** » إنما توجد ، حينما يتساوى الإنسان والإنسان أمام الإله الواحد الأحد ، رب الناس ورب العالمين أجمعين ، أفضلهم عنده أتقاهم وأسبقهم إلى الخيرات .

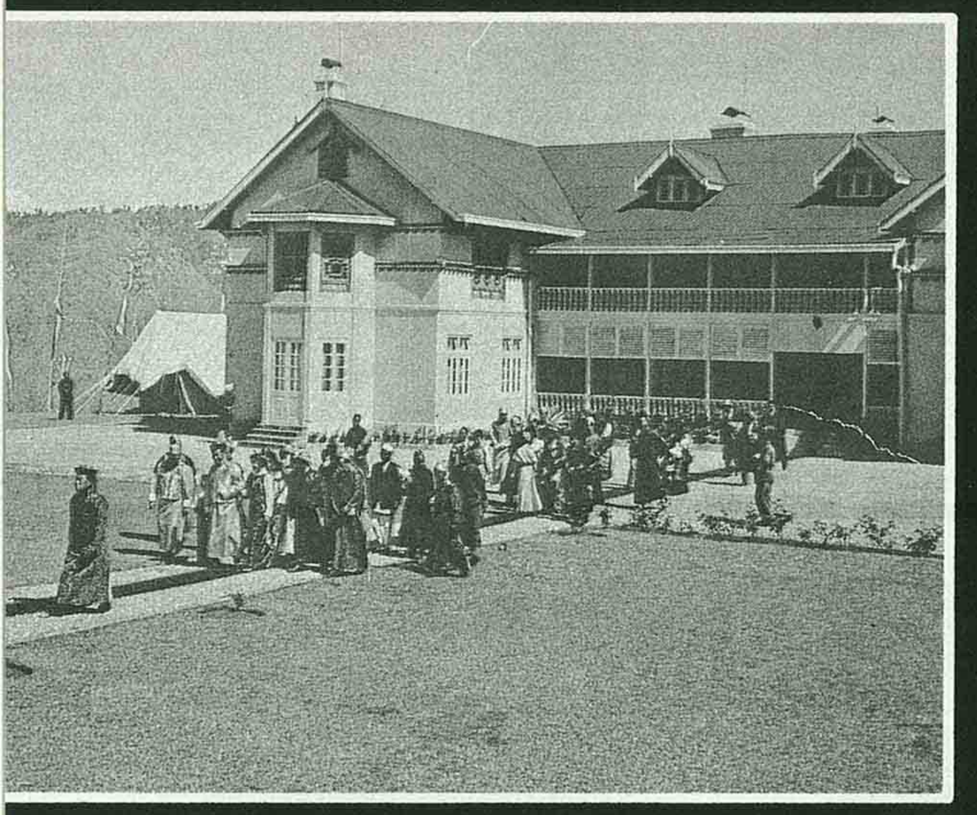
★ فرقة من الرهبان البوذيين مع أبواقهم الضخمة ★



سيكّيم

تقع (سيكّيم) ـ بتشديد الكاف ـ SIKKIM على المنحدرات الجنوبية لجبال الهيملايا : تحدها الهند من الجنوب ، ونيبال من الغرب ، والصين من الشرق ، والتبت من الشمال ، ولها حدود مشتركة مع بهوتان من الجهة الشرقية .





★ القصر الملكي وموكب الملك ★

نظام الحكم فيها ملكي، وهي محمية هندية، ويعترف الاتحاد الهندي لملكها بالاعتراض على أي قرار تصدره الهند. وتتولى الهند الدفاع والعلاقات الخارجية طبقاً لمعاهدة قائمة بين البلدين. وهي بلاد جبلية ذات موقع استراتيجي، إذ إن فيها **ممر (ناتوها)** Natuha وهو أسهل طريق بين الهند والصين.

مساحتها (٧٢٢٩) كم²، **وعدد سكانها** حوالي (٢٠٠,٠٠٠) نسمة فقط، وتبلغ الكثافة السكانية فيها **٢٩** نسمة/كم². يعيش ٩١ في المئة من السكان في الريف، وهم خليط من البهوتانيين والنيباليين والتبتيين والليبخا. ويتجنب السكان العيش في الوديان الرطبة الموبوءة بالملاريا التي تغطيها الغابات الكثيفة. ويعيشون على السفوح والمنحدرات من ارتفاع (٣٥٠٠) قدم إلى (٨٠٠٠) قدم فوق مستوى البحر. **يدين ثلثا السكان بالهندوسية وثلثهم الباقي بالبوذية** التي



★ جسر معلق في ممر جبلي ★

هي دين الدولة الرسمي ، وهنالك **أقليات إسلامية ومسيحية بينهم** .

اللغة الرسمية هي الإنكليزية ، والعملة هي **الروبية الهندية . وعاصمة (سيكيم) هي مدينة (غانغتوك)** Ganktok .

• الاقتصاد والموارد •

لا يختلف اقتصاد (سيكيم) عن اقتصاد بقية الدويلات في (الهيملايا) ؛ **فهو اقتصاد يعتمد على المنتجات الزراعية** كالحبوب (الأرز والذرة والشوفان) التي يعتمد عليها الناس في غذائهم الأساسي ، والبطاطا التي تمثل الناتج الرئيسي بين الغلال الزراعية . ويشكل **حب الهال والزنجبيل والبهارات والنباتات الطبية** الصادرات الرئيسية للبلاد .

ويعتمد الفلاحون في حياتهم على تربية قطعان الماشية مثل حيوان (الياك) والأغنام والماعز ، ويستفيدون من المنتجات التقليدية كالصوف ومشتقات الألبان والجلود . كما تستخدم بعض الحيوانات كوسائط للنقل ، وأهمها الياك والبغال التي تصلح للجر والسير في الممرات الجبلية الوعرة .

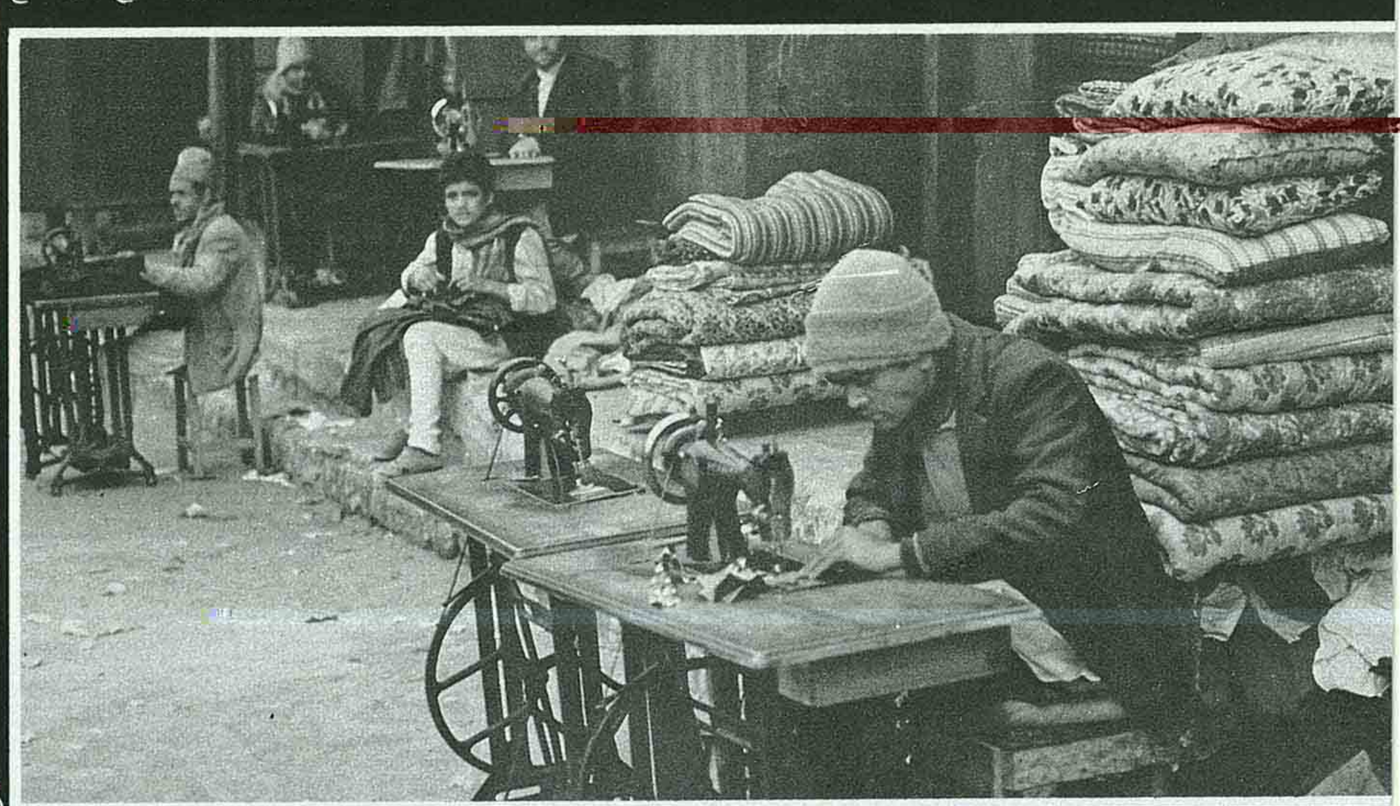
وتغطي **الغابات** ثلث مساحة الأراضي وتبقى مع ذلك غير مستثمرة نظراً لصعوبة المواصلات . وفي (سيكيم) **صناعات تقليدية** عريقة كالنسيج والحياكة اليدوية وصناعة الخزف ، كما توجد فيها بعض مناجم النحاس والفضة والذهب وهي تستثمر بطرق قديمة .

وتقتصر التجارة الخارجية (لسيكيم) على الهند ، فتصدر إليها المنتجات الزراعية ، وتستورد الآلات الخفيفة وبعض المصنوعات الاستهلاكية والمواد الأولية .

• التقاليد والحياة الاجتماعية •

لقد ارتبطت (سيكيم) على الدوام (بالتبت) التي تجاورها ، ويطلق التبتيون على (سيكيم) اسماً هو (دن جونغ) Den Jong أي (وادي الأرز) . وقد كان هذا الارتباط الطبيعي بسبب وقوع (سيكيم) على طرق المواصلات بين طرفي جبال (الهيملايا) ؛ أما اليوم فإن الأمور اختلفت ؛ فقد أغلقت الحدود بين (التبت) و(سيكيم) بعد أن احتلت الصين الشعبية (التبت) وبعد أن هرب (**الدلاي لاما**) منها ؛ وازدادت الأهمية العسكرية والاستراتيجية نظراً لوقوعها على الحدود .

ويشكل التبتيون قسماً من السكان ، ونكاد نراهم في كل مكان ، سواء على الطرقات الجبلية ومعهم قوافلهم المحملة بالمواد الأولية والغلال الزراعية ، أو في شوارع العاصمة (غانغتوك) . ويتميز التبتيون بملامح مغولية مع



★ شارع في حي شعبي في غانغتوك ★



★ وجه تبتي من سيكيم ★



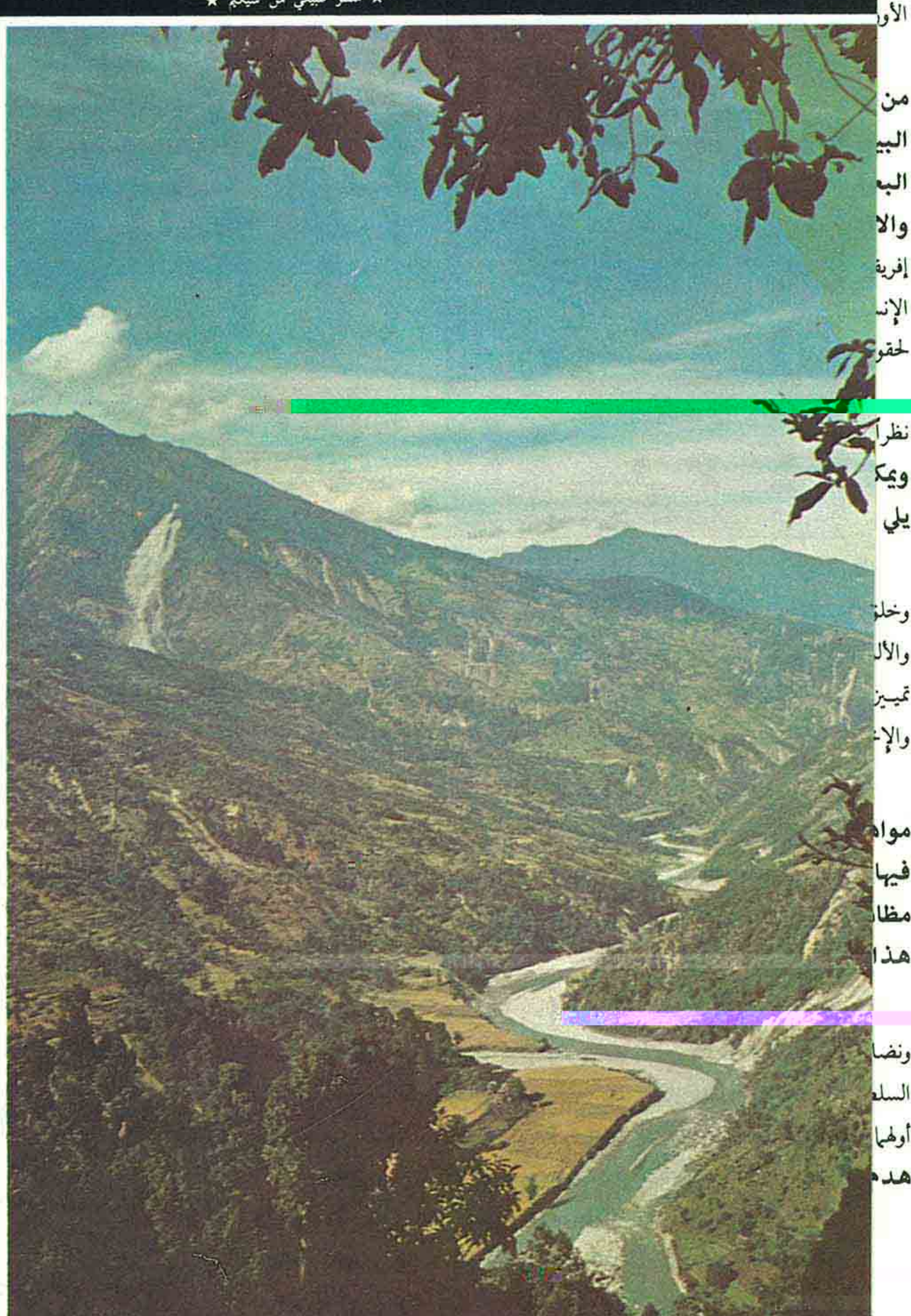
★ زي مقنع للرقص التقليدي ★

اسمرار البشرة ؛ وهم شجعان وأقوياء ، يترنمون بإيقاع وغناء رتيب عند تسييرهم لقوافلهم ، ويكاد ذلك يشبه حداء البدوي لبعيره كي يغذ السير . **ولا يعترف هؤلاء بنظام الطبقات الاجتماعية السائد في الهند** ؛ كما أنهم يتميزون عن بقية السكان بملابسهم ، فهم يرتدون جلابيب فضفاضة بنية اللون أشبه ما يكون بالعباءة ، ويشدون على وسطهم حزاماً عريضاً ، ويتقلدون الخناجر الطويلة المحلاة بالفيروز التي تصنع حمائلها من الفضة ؛ أما نعالهم فإنهم يصنعونها من الجلد واللّبد الصوفي وهي تشبه بالجزمة الطويلة . ونظراً لبرودة الطقس واتقاء للفح البرد القارس ، فإنهم **يدهنون وجوههم بالزبدة التي تستخدم أيضاً كعلاج في طبهم الشعبي** ، كما تضاف إلى الشاي الساخن قبل شربه .

وهؤلاء السكان ذوي الأصول (التبتية) هم الطبقة الحاكمة التي تسيطر أيضاً على الأديرة والرهبانيات البوذية .

ويعتبر (**الليبخا**) أقدم الأقوام التي سكنت (سيكيم) وقد كانت مهنتهم الأساسية

★ منظر طبيعي من سيكيم ★



الصيد ثم تحولوا بعد ذلك إلى زراعة الأرض ؛ وقد كانوا قديماً يدينون بالأرواحية ثم تحولوا إلى البوذية اللامية بعد احتكاكهم بسكان التبت .

ويوجد في (سيكيم) قسم من السكان تعود أصولهم إلى (**بهوتان**) وهم يعيشون في القرى في مناطق (سيكيم) العليا ، ويتميزون بقوة الاحتمال والجلد ، ويعتبرون من أفضل خبراء تسلق المغاور والممرات الجبلية .

أما النيباليون فيشكلون القسم الأكبر من السكان ، وهم بسبب ميلهم إلى الحروب والقتال فقد انخرطوا في الجيش .

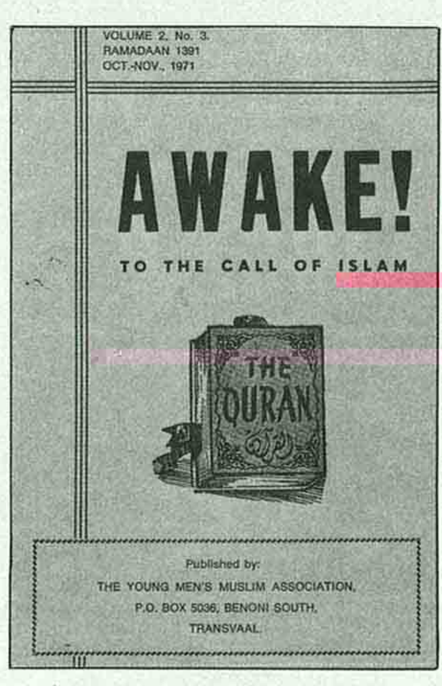
ويضاف إلى هذه الفسيفساء العرقية أقليات هندية وصينية تمسك بزمام الأمور التجارية . ولقد كان من العسير إيجاد لغة قومية لهذا الخليط السكاني العجيب ؛ لذلك فإن المدارس تدرس اللغة الإنكليزية ـ التي هي اللغة الرسمية ـ إضافة إلى النيبالية والهندية ؛ وعلى الرغم من أن حوالي ثلثي السكان يدينون بالهندوسية (**البرهمية**) فإن البوذية هي الدين الرسمي الذي يحافظ عليه عدد كبير من الأديرة والرهبان ، كما أن الأسرة الحاكمة هي أسرة تدين بالبوذية .

ولعلنا نستطيع بعد هذا أن نتخيل شظف العيش وظروف الحياة الصعبة في هذا البلد الجبلي . ومع ذلك فإن هؤلاء الفلاحين الذين استطاعوا أن يحولوا الهضاب وسفوح الجبال إلى أرض صالحة للزراعة قد ساهموا في إيجاد رفاه اقتصادي نسبي ، فأهل (سيكيم) رغم فقرهم لا يعتبرون بؤساء مثل بعض سكان الهند الذين تحصدهم المجاعات في كثير من السنين . ومقارنة بالهند فإن نسبة **الأمية** في (سيكيم) قليلة ؛ **والملك الحالي للبلاد خريج من جامعة (أوكسفورد)** ، وهو يحكم البلد منذ عشر سنوات يساعده في ذلك مجلس للدولة تمثل فيه **ثلاثة أحزاب سياسية** . ومن الجدير بالذكر أن الأحزاب السياسية في (سيكيم) تقوم على أساس الولاء العرقي وليس على الولاء الفكري .

وفي (سيكيم) اليوم ما يزيد عن أربعة آلاف لاجئ هجروا (التبت) بعد احتلال الصين لها وتطوعوا في الجيش وقوات الأمن . **وتبق (سيكيم) ذات أهمية استراتيجية كبيرة فهي الممر الوحيد للجيش الصيني في اتجاه الهند .**

واقع ومستقبل الجالية الإسلامية في جنوبي افريقيا

في أقصى الجنوب الإفريقي، وفي ظل النظام العنصري المطبق هناك، تعيش جالية إسلامية[1] قوامها نصف مليون مسلم، محتفظة بهويتها الإسلامية، وصامدة لكل صنوف التمييز العنصري. وتشارك الجالية الإسلامية الرأي العام الإفريقي والعالمي في إدانة هذا النظام العنصري الذي يخالف روح العصر فضلاً عن انتهاكه لمبادئ الإسلام في السماحة والمساواة والعدل.



VOLUME 2, No. 3.
RAMADAAN 1391
OCT.-NOV., 1971

AWAKE!

TO THE CALL OF ISLAM

THE QURAN

Published by:
THE YOUNG MEN'S MUSLIM ASSOCIATION,
P.O. BOX 5036, BENONI SOUTH,
TRANSVAAL.

★ مجلة «اليقظة».. إحدى الصحف التي تصدرها الجالية الإسلامية بجنوب إفريقيا في إطار الدعوة الإسلامية ★

بقلم: أحمد يوسف القرعي

ومن الأهمية التعرف على أوضاع هذه الجالية المسلمة ومواقفها الحاسمة في مواجهة النظام العنصري ونشاطها في الدعوة الإسلامية ببناء المزيد من المساجد، واستقطاب المزيد من أبناء البلاد الذين يستهويهم نور الإسلام وهديه. ولعل التعرف على واقع هذه الجالية المسلمة يكون مبعث مشاركة وجدانية من العالم الإسلامي لهؤلاء المسلمين الذين يعيشون في شبه عزلة عن دار الإسلام.

انتشار الإسلام

تاريخياً.. فإن جنوب إفريقيا[2] لم تحظ بروافد الإسلام الأولى التي وصلت منذ فجر الإسلام، وعمت معظم أراضي إفريقيا شمالا وشرقاً وغرباً. ولعل الموانع الجغرافية هي التي حالت دون وصول الإسلام إلى جنوب إفريقيا في هذا الوقت.

وبدأت حركة الإسلام في الانتشار جنوباً منذ أوائل القرن السادس الهجري (الثالث عشر الميلادي) عن طريق بعض التجار المسلمين القادمين من **شبه الجزيرة العربية**. ثم جاء تيار إسلامي آخر في القرن السابع عشر وكان مصدره الأساسي الهجرة من شبه القارة الهندية خاصة من أندونيسيا والملايو والفلبين، وقد حضروا إلى جنوب إفريقيا كمعتقلين سياسيين لمقاومتهم للحكم الهولندي المستعمر في بلادهم الأصلية.

وظهرت نتائج نمو تلك الصلات الجديدة في أن بدأ الفكر الإسلامي يشق طريقه إلى منطقة الكاب، ويأخذ في النمو خاصة فيما يتعلق بالتعاليم الإسلامية.

ولقد كان لفتح **قناة السويس**، وإنشاء خطوط ملاحية بين كيب تاون ومدينة السويس مارة بعدن والبحر الأحمر، دور هام في إيجاد علاقات وثيقة بين مسلمي منطقة الكاب، وبين مكة المكرمة قبلة المسلمين في العالم. ففي خلال سبعينات القرن الماضي قامت أعداد من هؤلاء المسلمين بتأدية فريضة الحج، وكانوا ينتهزون فرصة وجودهم بين مجتمع عربي لتعلم اللغة العربية، وبعد عودتهم إلى بلادهم بدأوا في نشر الدين الإسلامي بين سكان جنوب إفريقيا. **وقد انعكس هذا الاتصال الحضاري على لغتهم فأصبحت عبارة عن لهجة محرفة من لغة البوير مع خليط كبير من اللغة العربية، وبعض كلمات إنجليزية وكلمات من لغة الملايو.**

في مواجهة دعاة العنصرية

في بادئ الأمر كان للمسلمين ــ شأنهم شأن الجاليات والقوميات الأخرى في جنوب إفريقيا ــ تمثيل في الحكم وفي المجالس التشريعية حتى أيار (مايو) عام ١٩٦٠م، وهو تاريخ إعلان «**جمهورية جنوب**

إفريقيا » على أساس عنصري وتسلط الأقلية البيضاء (نحو ٤ ملايين نسمة) على الأغلبية الإفريقية (نحو ٢٠ مليون نسمة). وعندئذ اعتبر المواطنون من الأفارقة والآسيويين والملونين مواطنين من الدرجة الثانية لا يحق لهم الانتخاب، أو شغل أية مناصب في الدولة، واستباح الأوروبيون أرواحهم وأملاكهم وكل حقوقهم.

وما زال المسلمون يعانون مع باقي الوطنيين الإفريقيين من أنظمة الحكم العنصري التي تطبقها حكومة الأقلية البيضاء هناك، والتي تستهدف عزل الأجناس بعضها عن البعض الآخر، وفرض سيادة الرجل الأبيض في السياسة والاقتصاد وكل مقدرات البلاد. ومن ثم فالمسلمون في جنوب إفريقيا ــ محرومون ــ مع باقي المواطنين الإفريقيين ــ من كافة الحقوق الإنسانية المشروعة التي أقرتها الشرائع السماوية وأكدها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

وفضلاً عن هذا فإن المسلمين يواجهون تحدياً أكبر عن باقي الوطنيين نظراً لاعتناقهم الإسلام الذي يبغض التفرقة العنصرية ويدعو للمساواة. **ويمكن تلخيص قوة الإسلام في مقاومة التفرقة العنصرية فيما يلي:**

- يعتبر الإسلام الإنسانية أسرة كبيرة خلقها الله من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء. واختلاف الألسنة والألوان إنما هو مظهر من مظاهر القدرة الإلهية لا يرتبط بأي تفضيل أو تمييز بل إن التمييز في المفهوم الإسلامي يتعارض مع أمر الله بالمحبة والإخاء.

- **لا يرضى الإسلام ــ بحال من الأحوال ــ أن تتحول مواهب الأفراد أو قواهم الاجتماعية إلى مراكز قوة يتجمعون فيها على أساس من العنصرية اللونية، أو أي مظهر آخر من مصالح المميزين، فيضطهدون بقية فئات المجتمع، وينقلون هذا إلى الأجيال التالية أحقاداً أو فروقاً.**

وفي مواجهة وعي الجالية الإسلامية بجنوب إفريقيا بمثل هذه المبادئ ونضالها من أجل حقوق الإنسان، تعرضت وتتعرض دوماً، لبطش السلطات العنصرية. ويكفي أن نتعرض هنا لقضيتين في هذا الصدد أولهما: **قضية استشهاد الشيخ هارون**، وثانيهما: **قضية محاولة هدم ٣٦ مسجداً في منطقة الكاب.**

قضية استشهاد الشيخ هارون

قامت السلطات العنصرية باعتقال **الشيخ عبد الله هارون** زعيم مسلمي جنوب إفريقيا في ٢٨ أيار (مايو) عام ١٩٦٩م، وكان يشغل أيضاً منصب رئيس تحرير **صحيفة أنباء المسلمين**. وكانت التهمة الموجهة إليه هي نشر أفكاره المعادية للتفرقة العنصرية في صحيفته، وفي المسجد واستشهاده بآيات من القرآن الكريم تنص على المساواة والأخوّة الإنسانية.

وكان **الشيخ هارون** بشهادة الجميع يتمتع بصحة جيدة قبل اعتقاله، إلا أن المعاملة الوحشية في السجون هناك أدت إلى استشهاده داخل السجن في ٢٧ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٦٩م. ويكفي أن نسجل هنا تعليق **صحيفة التايمز البريطانية** على وفاة هذا العالم المسلم: « **إن موت الشيخ هارون فجأة هو آخر نبأ من أنباء الحياة التعسة التي يحياها السجناء السياسيون في جنوب إفريقيا** ».

ولم يكن استشهاد هذا الزعيم المسلم مجرد حادث مؤسف في مجتمع الجالية الإسلامية، بل إن الأفارقة بمختلف أديانهم وميولهم السياسية قدروا الرجل حق قدره، ووصفوه بالشجاعة وبالصدق مع نفسه ومع عقيدته. وليس أدل على هذا من قيام القسيس الإنجليكاني « **برنارد أورانكمور** » بالإضراب عن الطعام والصوم ٦٧ يوماً في العراء على سفوح تل سيجنال في كيب تاون، تأييداً لمطالبة الحكومة العنصرية بإجراء تحقيق قضائي في موت الشيخ **عبد الله هارون**. وفي حفل تأبين **الشيخ هارون** في لندن الذي بادرت بإقامته كاتدرائية **سانت بول**، قام رئيس الصندوق الدولي للدفاع والمساعدة International Defence & Aid Fund ويدعى « **كافون كولنز** » برثائه فقال: « **إن الرجال من أمثال الشيخ هارون سوف ينقذون عالمنا المعاصر من الشرور** ».

إن استنكار كل الأفارقة لاغتيال **الشيخ هارون**، واحتفاظهم بذكرى استشهاده حتى الآن مرده دعوة الشيخ هارون للأخوّة والمساواة والحرية والعدل لكل الناس دون أي اعتبار للون أو الجنس، ومن هنا تستمد دعوة الجالية الإسلامية في جنوب إفريقيا أهميتها حتى الآن في مواجهة التفرقة العنصرية.

هدم مساجد مدينة الكاب

فجر هذه القضية إعلامياً **صحيفة الجارديان البريطانية** التي نشرت في الخامس من نيسان (أبريل) عام ١٩٧٠م، تحقيقاً صحفياً لمراسلها في مدينة كيب تاون بجنوب إفريقيا أجراه مع **الشيخ أ. النجار** نائب رئيس المجلس الشرعي للمسلمين، وإمام أحد المساجد الكبيرة بالمدينة. وكشف فيه **الشيخ النجار** مخطط الحكومة العنصرية لإزالة ٣٦ مسجداً من مجموع ٥٥ مسجداً في المدينة، وذلك تنفيذاً لسياسة الفصل العنصري التي تطبقها الحكومة لفصل الأجناس البيضاء والملونة والبانتو الإفريقيين والهنود، كل في منطقة خاصة به.

وهنا ثارت ثائرة المسلمين، وأعلنوا على لسان **الشيخ النجار** أنهم سيكافحون حتى النهاية للدفاع عن أماكنهم المقدسة في مواجهة محاولات التخريب والتهديم التي يقوم بها النظام العنصري. وبعث زعماء المسلمين مذكرة شديدة اللهجة إلى رئيس الوزراء **فورستر** المسؤولين في مديرية الكاب **وأعلنوا فيها معارضتهم لأعمال الزندقة الموجهة ضد الدين، كما أعلنوا أن محاولة إزالة مساجد المسلمين إنما هي خطوة غير عادلة ولا تتمشى مع قانون الحفاظ على حقوق الأقليات.**

وصرح **الشيخ النجار**: « **إننا سوف نذهب إلى المحكمة إذا**

اقتضى الأمر ، وإن شعبنا لن يقبل التعويض المالي » .

ولا عجب من هذا الموقف الحاسم للجالية الإسلامية في الجنوب الإفريقي ، فإنهم لا يعتبرون المسجد هنالك مجرد مكان للصلاة فحسب بل هو مركز لتحفيظ القرآن الكريم ، ومدرسة لتعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، ومنتدى لمناقشة مشاكل الجالية الإسلامية ، وللاحتفال بمختلف مناسباتها الخاصة والعامة ، ومقر للكتاب الإسلامي للاستزادة من الثقافة الإسلامية .

ورغم كل هذه التحديات ، فقد نجحت الجالية الإسلامية في جنوب إفريقيا في بناء عشرات المدارس والمعاهد الإسلامية وإنشاء قسم خاص للغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة « **دربان وستثميل** » وانتزاع حق تدريس الدين الإسلامي لأبنائها الذين يتعلمون في المدارس الحكومية ، إلى جانب إتاحة الفرصة أمام الشباب المسلم لتعليم مبادئ الإسلام واللغة العربية في مدارس مسائية أخرى .

ومن المؤسسات الإسلامية بجنوب إفريقيا نحو ١٣٠ جمعية إسلامية متخصصة وغير متخصصة ينتظمها المجلس الإسلامي لجنوب إفريقيا ومقره مدينة « **دربان** » على الساحل الشرقي . ومن أنشط هذه الجمعيات **حركة الشبيبة المسلمة ، وجمعية الطلبة المسلمين ، وجمعية الجهاد (الأمانة الإسلامية المركزية)** ، مركز الكتاب الإسلامي ، مجلس التنسيق الإسلامي ، مركز الدعوة الإسلامية وجمعية العلماء .

وتصدر الجالية الإسلامية عدداً من الصحف والمجلات والنشرات الإسلامية منها « **مسلم نيوز** » ، « **مسلم دايجست** » ، « **الجهاد** » ، « **اليقظة** » ، « **انقلاب** » وغيرها . . . كما قامت الجالية الإسلامية بترجمة العديد من الكتب الإسلامية إلى اللغة الإنجليزية وإلى بعض اللغات المحلية .

ولا شك أن مستقبل الجالية الإسلامية في جنوب إفريقيا مرهون بوصول الدعاة إليهم وفي الوقت نفسه استقبال وفودهم ومبعوثيهم في الجامعات والمؤسسات الإسلامية ، بهدف القضاء على العزلة التي تعيشها هذه الجالية . ويكفي أن تقصي الحقائق عن أوضاع هذه الجالية من المهام الصعبة التي يقابلها الباحث[٢] .

الهوامش

(١) في مجال الاهتمام بشؤون الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر ، بادرت جامعة الملك عبد العزيز بجدة في المملكة العربية السعودية بإنشاء معهد شؤون الأقليات المسلمة ، ويستهدف المعهد تقصي أوضاع الأقليات ، والعمل على ايقاظ الرأي العام الإسلامي . ومن خطة هذا المعهد :

★ التواجد في الميدان لدراسة الموضوع على المستوى الشعبي والرسمي ومقابلة الشخصيات الهامة ، وتقصي الحقائق عن أحوال الأقليات المسلمة والنظم التي يعيشون في ظلها حيث وجدوا .

★ جمع كل المواد التي سبق وعرضت لهذه المشكلة والاتصال بكل الجهات التي قامت بها .

★ الاتصال بالمسلمين الذين نزحوا من بلاد تلك الأقليات ليعيشوا في أوروبا وأمريكا .

★ إجراء الدراسات والبحوث التي تيسر على واضع القرار السياسي ما يراه على كل مستوى وفي كل اتجاه تأخذ فيه قضية التضامن الإسلامي مجرى أو مساراً .

هذا وقد أولى المعهد اهتمامات بشؤون الأقليات المسلمة في الدول الإفريقية خاصة تلك التي تكافح ضد النظم الاستعمارية والعنصرية .

راجع : العدد الأول من نشرة معهد شؤون الأقليات المسلمة ـ ربيع الأول ١٣٩٧هـ .

(٢) بدأ الاستعمار الاستيطاني الأوروبي فيما يعرف الآن بجنوب إفريقيا منذ منتصف القرن السابع عشر ، ثم تدعم هذا الاستيطان بالسيطرة البريطانية وتشكل اتحاد جنوب إفريقيا عام ١٩١٠ م ، ومنحت بريطانيا الحكم الذاتي للمستوطنين ومنذ عام ١٩٤٨ م ، بدأت الحكومة العنصرية في جنوب إفريقيا بصياغة وممارسة ما يعرف باسم سياسة « الفصل العنصري » لتأكيد سيطرة الأقلية البيضاء (نحو ٤ ملايين نسمة) على الأكثرية الإفريقية (نحو ٢٠ مليون نسمة) . ومنذ الغزو الاستيطاني قامت حركات التحرير الإفريقية التي لا زالت تكافح ضد الوجود العنصري في جنوب إفريقيا . ويتعاطف الرأي العام العالمي مع شعوب جنوب إفريقيا من أجل حق تقرير المصير .

(٣) لمزيد من المعلومات راجع :

ـ إسماعيل عبد الرازق : الإسلام والمسلمون في جنوب إفريقيا ، مجلة الشبان ، العدد ١٠٧ ، يناير (كانون الثاني) ١٩٦٦ م ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

ـ حركة الجهاد الإسلامية في جنوب إفريقيا : مجلة دعوة الحق ، العدد ٦٢٥ ، السنة ١٣ ، مايو (أيار) ١٩٧٠ م ، ص ٢٦٧ .

ـ د . زغلول النجار : مسلمو جنوب إفريقيا ينقصهم الرجال قبل المال . مجلة العربي ، العدد ٢٣٩ ، ـ شوال ١٣٩٨هـ ـ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٨ م ، ص ٤٨ ـ ٥٠ .

ـ عبد الرحمن قاسم جمال الدين : المسلمون في جنوب إفريقيا . مجلة الفتح ، السنة الثامنة ، العدد ٣٩٥ ، ٤ صفر ١٣٥٣هـ ـ ص ٨٨٨ .

ـ د . عبد العزيز كامل : الإسلام والتفرقة العنصرية ، مركز مطبوعات (اليونيسكو) القاهرة ، (بدون تاريخ) .

ـ علي عبد الرحمن أبا حسين : عوامل انتشار الإسلام في الناتال ورأس الرجاء الصالح ، مجلة التضامن ، السنة ٢٢ ، العدد ٧ ، محرم ١٣٨٨هـ ـ أبريل (نيسان) ١٩٦٨ م ، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٦ .

ـ د . عنايات الطحاوي : الإسلام في جنوب إفريقيا ، مجلة منبر الإسلام ، السنة ٧٢ ، العدد ١١ ، ذو القعدة ١٣٨٩هـ ، يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠ م ، ص ١٠٨ ـ ١١٤ .

ـ محب الدين الخطيب : إخواننا المسلمون في جنوب إفريقيا ، مجلة الفتح ، السنة الثانية ، العدد ٧٠ ، ١٦ جمادى الأول ١٣٤٦ ، ١٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ م ، ص ٣١٢ ـ ٣١٣ .

ـ المسلمون في الكاب والناتال ، مجلة الفتح ، السنة ١٢ ، العدد ٥٩٧ ، ١٣ صفر ١٣٥٧هـ ، ص ١١٥٤ .

ـ د . ياسين محمد مراد : مسلمون صامدون منذ ثلاثة قرون في جنوب إفريقيا ، الأهرام ، ٤ أبريل (نيسان) ١٩٧٥ م .

– Fight to Save Mosques in South Africa. in Guardian, 6-4-1970.

– Priest Killed in detention. in SECHABA Review, official Organ African National Congress, South Africa. December 1969, P. 19.



متاحف أضنة في تركيا

إعداد: د. فوزي الأحدب

أنشئ أول متحف في (أضنة) سنة ١٩٢٤م، في مدرسة قديمة. وكان في بادئ الأمر يحتوي على مجموعة من التحف العثمانية الموجودة في منطقة (أضنة). وعندما ضاقت المدرسة بما تحويه تم نقل محتوياتها إلى كنيسة قريبة من (كورو كوبرو).

وفي سنة ١٩٣٥م، تم بناء قاعة للأنثروبولوجيا الوصفية Ethnographical، وبمرور الزمن ازداد عدد التحف المعروضة في الكنيسة، وفي ساحتها، وتم تحويل متحف أضنة إلى مستودع حربي. وما بين سنة ١٩٦٦ و١٩٧٠م، تم تشييد بناء جديد ليكون متحفاً وألحقت به حديقة (أضنة) الثقافية. وهكذا أطلق عليه اسم **(متحف أضنة الإقليمي)**.





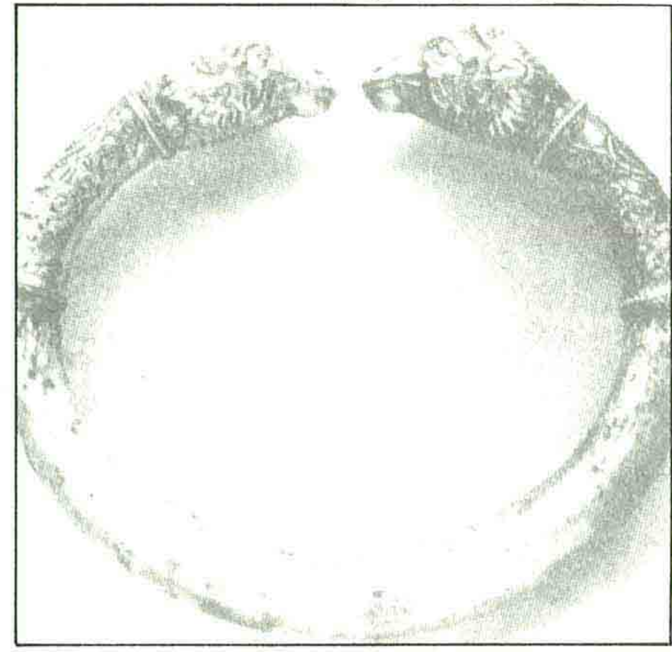
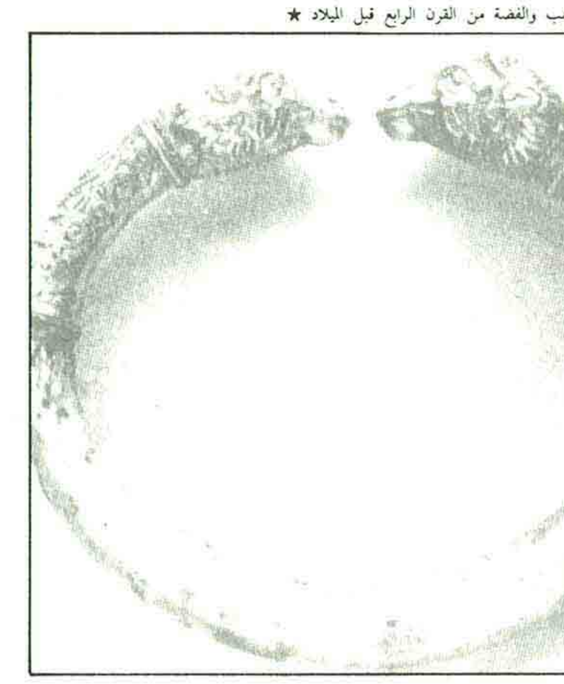

● متحف أضنة الإقليمي ●

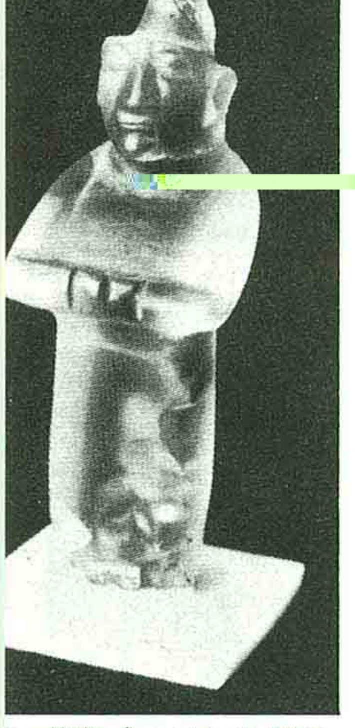
يحتوي هذا المتحف على قاعات للآثار، وعلم السلالات، وقاعة محاضرات، ومختبر، ومكتبة.

وتعرض في القاعات آثار تم الكشف عنها بالتنقيب الأثري في كل من (غوزلكول) و(تارسوس) و(مرسين) و(ميسيس) و(ساركوي) و(كاراتيبه). وقد قسمت الآثار والتحف المعروضة طبقاً لعهودها التاريخية وعصرها: العصر الحجري الحديث (النيوليثي)، العصر البرونزي، الحضارة الحثية، الحضارة الهيلينية (الإغريقية)، والحضارة الرومانية والبيزنطية، وهنالك أيضاً آثار من الحضارات الآشورية والفينيقية.

وتتنوع المعروضات من الآثار، فهنالك الأواني الفخارية، والمصابيح الزجاجية، والتماثيل الصغيرة، والأختام

★ سوار من الذهب والفضة من القرن الرابع قبل الميلاد ★



★ التمثال الحثي المصنوع من الكريستال الطبيعي ★

★ بيت من بيوت أضنة القديمة (متحف أضنة) ★

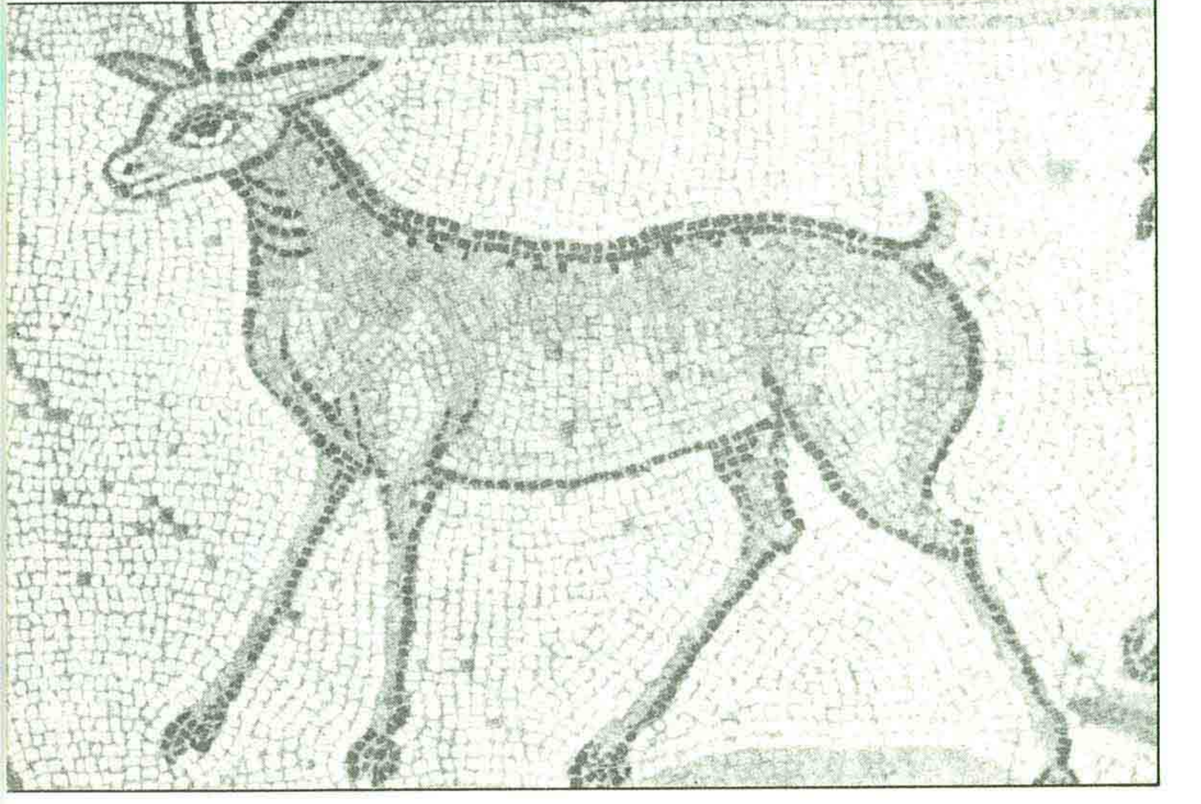
★ متحف أضنة الإقليمي ★

الأسطوانية والدائرية، والنقود والميداليات من حضارات عديدة عاشت في المنطقة وقد صنعت من الذهب والفضة والنحاس. وتوجد آثار صنعت من الأحجار والمعادن ومنها التوابيت الحجرية والتماثيل والأواني الجنائزية وأحجار المباني التي تحمل كتابات بلغات قديمة.

وتوجد في قاعة السلالات آثار مصنوعة من المعدن، وكذلك أنواع الثياب والزخارف والزينات، وأواني المطبخ النحاسية، والخيام البدوية، والسجاد المصنوع يدوياً، والأثاث القديم. ويعود تاريخ تلك المعروضات إلى **الفترة السلجوقية** وتنتهي بنهاية الفترة العثمانية.

ومن **الآثار النفيسة** في هذا المتحف تمثال رجل صنع من صخور (الكريستال) الطبيعي، وهو يعتمر طرطوراً مؤنفاً ويعود تاريخه إلى العهود الحثية. وتوجد لوحة نافرة bas-relief تمثل رجلاً وزوجته نقشت بشكل بارز على حجر بازلتي أسود، ومن الحلي النفيسة سوار صنع من الذهب والفضة وعلى كل طرف منه رأس أفعوان، ويعود تاريخه إلى القرن الرابع قبل الميلاد وقد وجد في منطقة (ميرسين) Mersin،

★ لوحة من الفسيفساء من متحف ميسيس ★



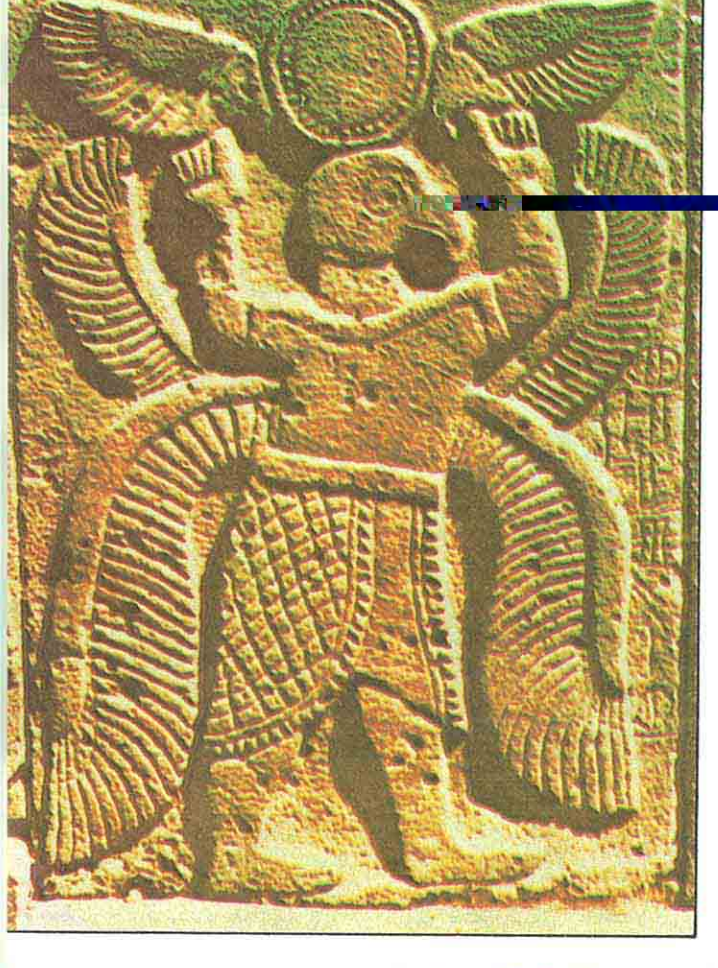


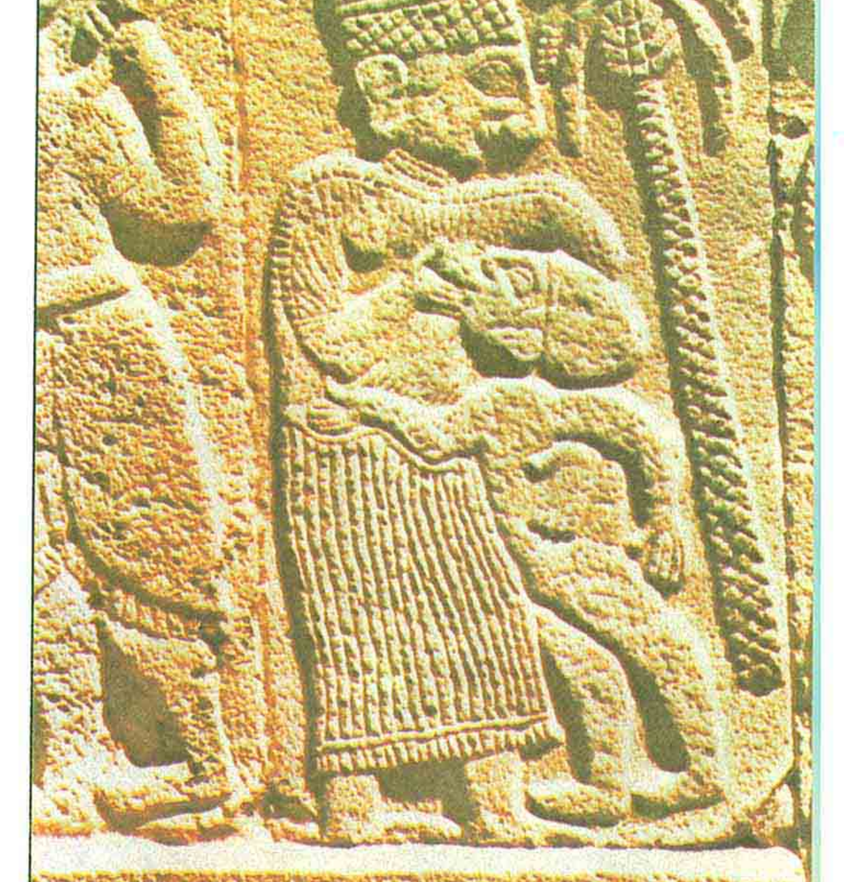
متاحف أضنة في تركيا

وخاتم ذهبي يحمل نقشاً على شكل رأس امرأة من العهد الروماني . ومن الفترة الرومانية أيضاً تابوت ضخم صنع من الرخام (المرمر) وتحيط به التماثيل المنحوتة بطريقة النحت النافر ، ويعود تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد .

وإذا كانت أهمية أي متحف تقاس بعدد التحف التي يضمها في قاعاته ، فإن هذا المتحف يحتوي على ما يزيد عن ثمانية عشر ألف تحفة يضاف إلى ذلك (أرشيف) كنسي يحتوي على (٤٤٩) مجلداً .

★ مناظر اللوحات الجدارية من متحف كارتيبة ★





● متحف كراتيبه ●

كشفت أعمال التنقيب الأثري عن مدينة حثية من العهود الحثية الأخيرة يعود تاريخها إلى (٧٠٠ ــ ٧٣٠) ق . م . في (**كاراتيبه**) التي تبعد (٢٣) كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من (قادرلي) Kadirli في (أضنة) . وتم الكشف عن **بوابة المدينة وأسوارها** التي تحمل لوحات جدارية منقوشة على الأحجار بطريقة الحفر وتحتها كتابات حثية . وبعد أن تم الكشف عن المدينة الأثرية جرى ترميم الآثار ووقايتها من عوامل التعرية ، ولم تنقل من مكانها بل تركت حيث هي يؤمها السواح في الهواء الطلق .

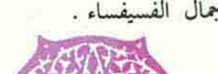
وترينا اللوحات الجدارية مناظر من الحياة اليومية في المدينة مثل الولائم والأعياد والفرق الموسيقية ، وكذلك تماثيل لأصنام مختلفة . وتوجد كثير من الكتابات الحثية الهيروغلفية على الأحجار . وتبلغ أبعاد **القلعة** أربعمائة وثلاثين متراً طولا ومائة وتسعين متراً عرضاً . وتوجد بقايا سور تتراوح سماكته بين مترين وأربعة أمتار وعليه **أبراج حربية** موزعة على مسافات تتراوح بين ١٨ إلى ٤٠ متراً .

● متحف الفسيفساء ●

يوجد هذا المتحف في (**ميسيس**) Misis التي تبعد مسافة ٢٧ كم إلى الشرق من

★ صور من متحف أضنة الأثري ★

(أضنة) . وقد كشف التنقيب الأثري سنة ١٩٥٦ م ، في الجانب الغربي من رابية (ميسيس) ، عن أرضية معبد صنعت من الفسيفساء يعود تاريخه إلى القرن الثالث بعد الميلاد . وتم ترميم تلك اللوحات وطلاؤها بمادة زجاجية . وافتتحت منذ سنة ١٩٥٩ م ، **متحفاً للفسيفساء الرومانية** . وتصور اللوحات مناظر من **سفينة النبي نوح** ، وفيها كافة أجناس المخلوقات ، وهنالك لوحات تمثل أزهاراً وأشكالا هندسية تظهر


جمال الفسيفساء .





دراسة وتحقيق : د . محمد عبد الوهاب خلاف

الدراسة والتعليق

الوثيقة التي بين أيدينا مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى **للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي** (ت ٤٨٦هـ) ، ووقعت أحداثها في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) .

وتتناول هذه الوثيقة سؤالا وجه إلى **الفقيه المشاور ابن عتاب** في شأن رجل شكا إلى الطبيب ألماً بركبتيه فاقترح عليه الطبيب أن يكويه بالنار في هذا الموضع وطمأنه إلى أنه سيشفى بإذن الله تعالى ، واتفقا على الأجر مقابل هذا الكي ، ودفع المريض هذا الأجر إلى الطبيب معجلاً قبل العلاج ، ثم انصرف من عنده على أن يعود إليه لإجراء عملية الكي ولكنه عدل عن رأيه . وسأل الطبيب رد الأجر إليه . إلا أن الطبيب امتنع عن الرد ، فاحتج الشاكي بأن الكي لا يجوز .

وقد أجاب الفقيه ابن عتاب بأن الكي جائز وغير ممنوع ، ودلل على ذلك بأن **النبي صلى الله عليه وسلم** قد كوى **أسعد بن زرارة** واكتوى **ابن عمر** ، ولم يسمع عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عنه . إلا أن الكي موضوع السؤال لم يذكر عدد مراته ، ولا الآلة التي ستستخدم فيه ، وأوضح بأنه إذا كان الطرفان قد وصفا الكي وحددا عدد مراته ، وبينا نوع الآلة التي سيتم بها فإن الأجر يكون مستحقاً للطبيب . أما إن كانا قد أغفلا هذه البيانات ، ولم يتفقا على وصف ، وكان أمر هذا كله موضع خلاف بين الطرفين فإن الأجر لا يلزم للطبيب ، ويمكن تفسير

الحواشي

★ هذه الوثيقة مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي الأندلسي ، والنسخة الأصلية التي اعتمدنا عليها في تحقيق هذه الوثيقة هي نسخة **مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت رقم ١١٨٩ مخطوطات الأوقاف رقم ٨٣٨ق ، الخزانة العامة الرباط** . ورمزنا لها بـ «الأصل» . والنسخة الثانية من مخطوطات مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت تحت رقم ٣٧٠ق ، مخطوطات الأوقاف ورمزنا لها بالرمز «قج» ، والنسخة الثالثة تحت رقم ٥٥ق ، الخزانة العامة للكتب ورمزنا لها بالرمز «قب» .

ومخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل يجري طبعه حالياً .

وسعدت بمراجعة أستاذي **المستشار مصطفى كامل إسماعيل** وزير العدل السابق بجمهورية مصر العربية والخبير القانوني لمجلس الأمة الكويتي حالياً ، سعدت لمراجعته لهذه الوثيقة فله شكري وتقديري .

(١) بياض في النسخة قب .

(٢) ابن عتاب : محمد بن عتاب بن محسن ويكنى : أبا عبد الله . كان شيخ أهل الشورى في زمانه وعليه مدار الفتوى في وقته . قدمه القاضي أبو المطرف بن بشر إلى الشورى سنة ٤١٤هـ . ولد سنة ٣٨٣هـ ، وتوفي سنة ٤٦٢هـ ، وشهد جنازته المعتمد على الله محمد بن عباد ومشى راجلاً . انظر في ترجمته : محمد خلاف : وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس ، حاشية رقم ٢٣٣ ، ص ٦٥ وما ورد فيها من مصادر .

(٣) في قج : رجل .

(٤) في قج : في ركبته .

(٥) ساقطة في قج .

(٦) ساقطة في قج ، قب .

(٧) في قج ، قب : إلى الطبيب .

(٨) في قج ، قب : إليه الشاكي .

(٩) أسعد بن زرارة : وهو الصواب وفي جميع النسخ سعد بن زرارة . وأسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك . أبو أمامة . شهد العقبة الأولى والثانية وبايع فيهما . وتوفي قبل بدر بالذبحة والمسجد يبنى فكواه النبي صلى الله عليه وسلم ودفن بالبقيع وهو أول مدفون به في شوال على رأس ستة أشهر من الهجرة .

انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى مجلد ٣ ، ص٦٠٨ ، ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب : القسم الأول ترجمة ٣٠ ، ابن الأثير : أسد الغابة : ترجمة ٩٨ .

(١٠) ابن عمر : عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل أبو عبد الرحمن أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم ، وقد قيل إن إسلامه قبل إسلام أبيه ولا يصح وإنما كانت هجرته قبل هجرة أبيه .

هذا الرأي على أنه في حالة الوصف يكون الطبيب قد قام من جانبه بتشخيص المرض ، ووصف العلاج ، وتحديد عدد مراته ، وآلته ، وذلك بعد الفحص ، ومن ثم يكون الطبيب قد بدأ في تنفيذ التزامه ، ويكون عدول المريض هو الذي حال دون تنفيذ العمل الذي تم الاتفاق عليه . ولم يمتنع عنه الطبيب وكان على استعداد للقيام به لولا عدول الشاكي وهو إخلال بالاتفاق من جانب واحد لا يسقط حق الطبيب في الأجر المتفق عليه ، وهذا تطبيق لقاعدة مقررة في شأن **الالتزامات المتبادلة** مقتضاها أن هذه الالتزامات تقوم على إيجاب وقبول من الطرفين ، ولما كان العقد شريعة المتعاقدين فليس لأحد أن ينفرد بإرادته وحده في فسخ هذا الالتزام ، ومن ثم يلتزم المتسبب في الفسخ باحترام تعهده قبل الطرف الآخر الذي لم يمتنع عن التنفيذ ، ولا سيما أن الطبيب قد قام من جانبه بالفحص والتشخيص وبذل فيه جهداً استعمل فيه علمه وخبرته في الطب ، ولم يبق إلا التنفيذ وكان مستعداً له والمريض وشأنه في طلب التنفيذ أو لا ، دون أن يترتب على عدوله المنفرد الإضرار بحق الطبيب الذي تقاضى الأجر سلفاً تأكيداً للتمسك بالالتزام وتعلق حقه بهذا الأجر .

نص الوثيقة

من استأجر طبيباً ليكويه ثم بدا له ، وهل يجوز الكي ؟ .[1]

[١٧٨] سئل (ابن عتاب)[2] عن رجل شكا إلى (طبيب)[3] ألماً (بركبتيه)[4] .

فقال (له)[5] الطبيب :

أكويك في الركبة وتفيق إن شاء الله (عز وجل)[6] .

فاتفق معه على أجرة دفعها (الشاكي إليه)[7] . وانصرف عنه ، ليرجع (إليه)[8] ، ويكويه ثم بدا له . واحتج الشاكي بأن الكي لا يجوز .

فأجاب :

الكي جائز غير ممنوع منه ، وقد كوى النبي صلى الله عليه وسلم (أسعد بن زرارة)[9] واكتوى (ابن عمر)[10] من (اللقوة)[11] . ولا يصح عن النبي (صلى الله عليه وسلم)[12] النهي عنه وإنما جاء عنه وقد ذكر العدد الذين يدخلون الجنة من أمته بغير حساب . فقيل (له)[13] من هم يا رسول الله ؟

(قال)[14] : هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وليس هذا بنهي (إنما)[15] [أخبر (أنهم)][16] [17] أخذوا في أنفسهم (بأشد)[18] الأمور . إلا أن الكي الذي سألت عنه لم يذكر عدده ولا آلته التي بها (يكوى)[19] ، (وهو قد)[20] يكون بحديد مصنوع ، وبمنجل الحصاد ، وبعود . فإن كانا وصفا الكي وعدده وآلته فالأجرة لازمة (له)[21] . وإن كانا (أهملا ذلك)[22] ولم يصفاه ، وهو مختلف الهيئة والصفة فذلك غير جائز . ولا تلزم فيه الأجرة . وبالله التوفيق .

انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى : مجلد ٢ ، ص ٣٧٣ ، ابن عبد البر : الاستيعاب : ترجمة ١٦١٢ ، ابن الأثير : ترجمة : ٣٠٨٠ .

(١١) اللقوة : داء يعرض للوجه يعوج منه الشدق ، انظر لسان العرب مادة : لقاه .

(١٢) في قج ، قب : عليه السلام .

(١٣) مذكورة في قب .

(١٤) في قب : فقال .

(١٥) في قب : وإنما .

(١٦) في قب : بأنهم .

(١٧) ساقطة في قب .

(١٨) في الأصل : بأشر والمذكور في النسختين الأخريين .

(١٩) في قج : يكويه .

(٢٠) في الأصل : وقد والمذكور في النسختين الأخريين .

(٢١) مذكورة في قب .

(٢٢) في قج : أهملاه .

المراجع

ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، (٣ أجزاء) ، دار الثقافة ، ١٩٧٩ م ، بيروت .

ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، كتاب الشعب ، ١٩٧٠ م ، القاهرة .

ابن سعد (أبو عبد الله محمد ... بن منيع البصري الزهري) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، ١٩٥٧ م ، بيروت .

ابن سهل (أبو الأصبغ عيسى ... الأسدي) ، الأحكام الكبرى ، (مخطوط) نسخة مكتبة الزاوية الناصرية ، بتمكروت رقم ١١٨٩ من مخطوطات الأوقاف رقم ٨٣٨ ق ، الخزانة العامة ــ الرباط .

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ...) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، مكتبة نهضة مصر ــ بدون تاريخ .

ابن منظور (جمال الدين محمد بن جلال الدين الخزرجي) ، لسان العرب ، طبعة دار صادر ، ١٩٥٥ م ، بيروت .

خلاف (محمد عبد الوهاب ــ دكتور) :

ــ القضاء في قرطبة الإسلامية في القرن الخامس الهجري ، (بحث) تحت النشر .

ــ وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس ، الطبعة الأولى ، المركز العربي الدولي للإعلام ، ١٩٨٠ م ، القاهرة .

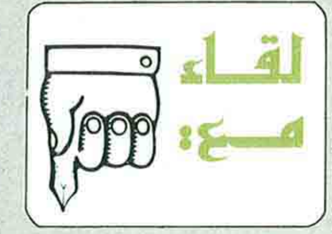
ــ وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس ، الطبعة الأولى ، المركز العربي الدولي للإعلام ، ١٩٨٠ م ، القاهرة .

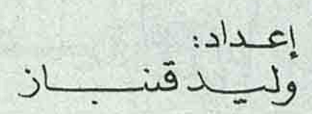
الإنسان داخل مرآة ذاته..

شعر: سعد البواردي



أنا حُبٌ.. أنا أحزانْ
أنا شكٌ.. أنا إيمانْ
أنا طَلٌ.. أنا ظِلٌ
أنا طفلٌ.. أنا ثعبانْ
أنا روحٌ.. أنا ريحٌ
أنا شوكٌ... أنا ريحانْ
أنا جُرحٌ.. أنا فَرحٌ
أنا وَحشٌ.. أنا إنسانْ
أقبِّلُ مرَّةً قلبي
وتنهشُ قلبيَ الأسنانْ
أشيدُ على هوىً صرحاً
وأهدم بالهوى البنيانْ
أنا حوتٌ يجوبُ البحرَ
مسعوراً.. أنا مرجانْ
نُسيماتٌ إذا صافيتُ
وحين أثورُ كالبركانْ
أنا سِلمٌ.. أنا حربٌ
أنا بحرٌ.. بلا شُطْئانْ
أنا صدقٌ.. أنا كَذِبٌ
أنا حَقٌّ.. أنا بُهتانْ
أنا ألمٌ.. أنا أملٌ
أنا فِكرٌ.. أنا نسيانْ
يطل الصَّحوُ.. أم يغشى
دُجى غيبوبتي.. سيَّانْ
أنا لونٌ له في كلِّ
ثانيةٍ رؤى ألوانْ
أنا شيءٌ.. أنا أشياءَ
لا تُحصى.. أنا شيئانْ
أنا كلُّ الذي في الكونِ
عُنوانٌ.. ولا عُنوانْ





د. وجيه البارودي



رغم أنه تجاوز الخامسة والسبعين، إلا أنه ما يزال في عنفوان الشباب مرحاً وعطاء وحيوية ونشاطاً، له دوره في ميادين الطب والشعر والحب.

كرمته مدينة حماة السورية منذ ست سنوات بمناسبة بلوغه السبعين من عمره، بإقامة حفل أحياه الشعراء، والخطباء، ذالكم هو الطبيب الشاعر أو الشاعر الطبيب وجيه البارودي الذي كان لنا معه هذا اللقاء.



الشاعر الدكتور وجيه البارودي في سطور

- ولد في ٢/٣/١٩٠٦م، مدينة حماة ــ سورية.
- دكتوراه في الطب، الجامعة الأميركية ــ بيروت عام ١٩٣٢م.
- رئيس فرع اتحاد الكتّاب العرب في محافظة حماة.
- له عيادة خاصة.
- حضر عدداً من المؤتمرات الطبية، والأدبية.
- دواوينه الشعرية المطبوعة:

(١) بيني وبين الغواني، ١٩٥٠م.

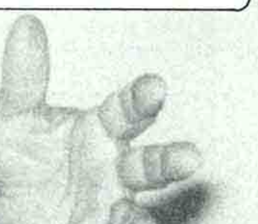
(٢) كذا أنا، ١٩٧١م.

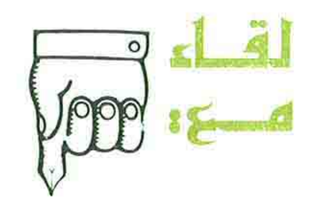
وتحت الطبع ديوان بعنوان «أهوى لأحيا»، وله مقالات، ومقدمات ومحاضرات في الشعر والأدب.

الطب والشعر

●● ما رأيك بظاهرة الطبيب الشاعر، وهل هناك ــ في رأيك ــ من صلة بين الطب والشعر..؟

● أتيتُ إلى الدنيا طبيباً وشاعراً
أداوي بطبي الجسم والروح بالشعر



قبل كل شيء ليس الشعر وقفاً على إنسان دون آخر، أو اختصاص دون غيره.. فهناك **شعراء مهندسون ومحامون وأطباء وعسكريون...** فالمهم أن تكون هناك الموهبة، وأن ترفدها الثقافة لتجعلها ناضجة معطاء.. ومعنى هذا **أن المتخصصين في الأدب ليسوا هم وحدهم نبع الشعر.**

أما ظاهرة الطبيب الشاعر فهي ليست جديدة، فمنذ القديم حملت لنا سطور التاريخ أسماء كثيرة للأطباء الشعراء **كابن سينا، وابن زهر، والرازي**، وغيرهم، حتى ليبدو لي أن الطب والشعر توأمان، فقد ترجم لنا **ابن أبي أصيبعة** في كتابه الرائع «**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**» أعداداً هائلة من الأطباء، وجلُّهم كان من الشعراء أو من ناظمي الشعر.

وهذه الظاهرة ما زالت واضحة في عصرنا الحديث، فهناك الأطباء الشعراء **أحمد زكي أبو شادي، وإبراهيم ناجي، وعبد السلام العجيلي**، بالإضافة إلى تفوقه في فن القصة، **وعلي الناصر، وعبده مسوح**... ومن هنا فأنا لست الوحيد في هذا المجال.

أما الصلة فهي في رأيي وثيقة جداً.. **فالطب لمداواة الجسم، والشعر لمداواة الروح، فضلاً عن أن الطب يجعل ارتباط صاحبه مع المجتمع أقوى وأعمق، ويزيد من حجم تجاربه ومشاهداته وانفعالاته**... وفي هذا أقول:

هواية الطب ما كانت لتشغلني
عن القوافي، بل إن الطب أرهفني
فلي جناحان من طب ومن أدب
حلقت، ما أحد في الكون يدركني
فلا فؤاد[1] بعلم الطب يلحقني
ولا أبو ريشة[2] بالشعر يسبقني

مقومات الشعر العربي الجيد

●● هل يمكن أن نتعرف من خلال تجربتك الشعرية الطويلة إلى مقومات الشعر العربي الجيد؟

● لقد سلخت في التعامل مع القصيدة العربية نيفاً وخمسة وخمسين عاماً، ومن ثناياها آمنت أن **الشعر العربي الأصيل يقوم على الدعائم التالية:**

الموهبة أو الأصالة، الثقافة العامة، الإلمام بعلوم اللغة العربية والشعر العربي، المعاصرة فكراً ولغة، كون الشعر صورة لقائله وللواقع المحيط به، الاتجاه إلى الإنسان في كل زمان ومكان.

وأحب أن أركز على أن الشعر العربي يجب أن يقوم على الأنغام الموسيقية التي ورثناها عن أجدادنا العرب وهي ببحورها التامة والمجزوءة والمشطورة والمنهوكة وملحقاتها تتعدى مائة واثنين وثلاثين نغماً، فهل هناك ثروة أغزر وأرحب من هذه الثروة التي أجزم بعدم تخطيها وتعديها، فالشعر يجب أن يكون مُموسقاً، ولكل لحن كأس خاصة متميزة، وعلى الشاعر إذا كان جديداً وأصيلاً أن يملأها بالرحيق الجديد وبالشراب الأصيل.

●● مما قلت.. هل لنا أن نتعرف إلى رأيك في ألوان الشعر الجديدة: مثل الشعر القائم على وحدة التفعيلة، إلى التنويع في التفعيلات، إلى قصيدة النثر أو ما شابه ذلك..؟

● يا أخي.. قلت لك يجب أن يكون الشعر مُموسقاً.. وإذا تساهلنا مع أرباب الشعر الحديث وقبلنا إنتاجهم القائم على وحدة التفعيلة فلسوف يصدمنا الخلط، وتعدي التفعيلة وكسرها، حتى عند أسياد هذا النوع، **وأما التنويع في التفعيلات وما يسمى قصيدة النثر فهو مرفوض قطعاً وليس فيه من الشعر العربي أية سمة أو صلة.**

إنني أؤمن بالتجديد، وأنا من أبرز دعاته، لكنْ أن يكون التجديد قائماً على تحطيم الوزن الموسيقي، والعبث بالقوافي، فهذا لعب أولاد وعبث أغرار – إن أحسنّا الظن –.. والتجديد الحقيقي كامن في المعاني، والأفكار، والأخيلة، والأساليب، وعلى دعاة التجديد الاتجاه إليها إن كانوا صادقين.

وأخشى ما أخشاه أن تتمادى الحال بهؤلاء العابثين الضالين، وتكون النتيجة تقطيع أوصال العربية، وتمزيق الأواصر بين الماضي والحاضر، لأن هذا الشعر في رأيي:

مؤامرةٌ على الفصحى، وكَيْدٌ
ومنّا عقربٌ عملت وحلُّ

●● لكن المعروف أن كثيراً ممن ساروا على هذا المنهج قد اتخذوا التفعيلة بشكل نظام في القصيدة بتمامها.. أفلا ترى في هذا نمطاً من الموسيقى؟

● وأنا أقول: إن كثيراً منهم، ومن فحولهم – إن كان فيهم فحول – يخلطون بين التفاعيل، وينتقلون منها إلى غيرها، بل ويكسرون التفعيلة نفسها بشكل له أول وليس له آخر... بالإضافة إلى التزام قافية في موضع، وهجرها في موضع آخر.. وهذا ليس نمطاً موسيقياً.



إن الموسيق والقوافي قيد، ولا يعيش الفن والأصيل ويسمو دون قيد يتمكن الفنان الكبير من جعله هيّناً ليّناً لا يُحس به أحد، وهذه ميزة لا يتميز بها إلا القادرون الموهوبون.. أما أولئك المجددون المحدثون فقد أرادوا الطريق مفروشة بالورد، ولم يتركوا للعبقرية والموهبة والأصالة دورها الحقيقي.

أذكر أن شاعراً محدثاً أسمع **العلامة الجزائري محمد البشير الإبراهيمي** شيئاً من نتاجه، وبعد أن انتهى سأله الإبراهيمي: أيوجد آخرون يسيرون على شاكلتك..؟!

فأجاب: إننا كثيرون..!!.

فقال: وما تسمون أنفسكم..؟!.

أجاب: الشعراء المجددون...

فقال الإبراهيمي: أعوذ بالله..! إن كلمة مجددين تعني الذكورة والفحولة، ولا أرى فيك وفيهم شيئاً من هذا، ولو سمّيناكم: مجددات، لتعدينا جانباً من الواقع لأن فيكم بقايا تميزكم من الإناث، ولهذا فإني أقترح تسميتكم: الشعراء المجددونات...

قال المجدد: عفواً.. وماذا تسمي هذا الجمع..؟!

أجاب: جمع (......) السالم..!!.

مضمون الشعر الحديث

●● إذا تجاوزنا الشكل والتفعيلة والقافية إلى المضمون... ماذا ترى؟

● ماذ نرى..؟ نرى ضباباً كثيفاً، وحجاباً صفيقاً، وليلاً قاتماً ينبيك أن أصحاب هذا الشعر مخدرون ضائعون لا يعون ما يقولون.. فهناك كلمتان من نتاج العقل والمنطق والقلب، وعشرات توغل في المتاهات بحيث تقف عاجزاً أمام هذا الشعر، فلا أنت قادر على فهمه، ولا أنت قادر على حفظه.

إن الشعر العربي يُفهم ويُحفظ ويُستظهر، ويمكن استحضاره، والاستشهاد به، والاسترشاد بمضمونه في أي وقت، وهذه سمة من سمات الخلود، فها هي ذي أبيات **زهير، وجرير، وأبي تمام، وأبي نواس، والمتنبي، والسري الرفاء، والمعري**... ما زلنا نستشهد بها، ونترنم بمضمونها، ونتغنى بانسيابها، على الرغم من مرور مئات السنين على قولها.. وأستحلف أصحاب الشعر الحديث هل فيهم من يحفظ قصيدة من قصائده لا من قصائد غيره..؟!.

●● ألا تلاحظ معي أن أكثر قصائدنا العمودية ذات مضمون فكري قديم ومتخلف..؟!

● كل شيء يُعطى رقمه وعلامته.. فهناك من يستحق الصفر.. ومن يستحق العشرة.. ومن يستحق العشرين.. وهناك من يستحق المائة. لا يمكن قبول الشعر العمودي الأصيل جميعه، عليك باستعمال الغربال لتنخل وتختار، وما أكثر من يستحقون النخل والغربلة في هذه الفترة التي نحياها من دنيا التاريخ الأدبي، فليس كل من نظم على الوزن والقافية بشاعر.. بل ما أندر الشعراء!!.

●● هل تنطبق هذه الغربلة وذاك النخل على أصحاب الشعر الحديث؟

● تنطبق كل الانطباق.. إنهم يحتاجون لغربلة عنيفة، وأخشى ألا يبقى في الغربال شيء كما يقول شاعرنا المعري:

لو غُربل الناس كيما يعدموا سقطاً
لما تحصَّل شيء في الغرابيل

●● هناك رأي يقول: إن الشعر الحديث معاصر ومعالج للأفكار الجديدة أكثر من الشعر العمودي.. فما رأيك؟

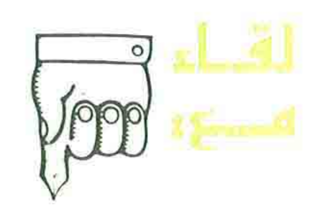
● إن شعرنا العربي العمودي كان وما يزال يعالج الموضوعات الفكرية العصرية... أليس شعر الفحول بدءاً من **امرئ القيس**، وحتى نهايات العصر العباسي، والأدب الأندلسي من طرف، وشعر **شوقي وحافظ والقروي وبدوي الجبل والأخطل الصغير ونزار قباني** ــ في شعره العمودي ــ **ومحمد الحريري**... من طرف آخر، أليس شعر هؤلاء جميعاً ذا مضامين عصرية فكرية تناسب مرحلة كل منهم..؟!

فالشاعر القروي مثلاً تحدث عن مآسي العرب منذ فجر القرن العشرين، وعن مشكلاتهم السياسية، والاجتماعية، والوجدانية، وعما يحيط به في الوطن والمهجر، ولم يترك شاردة ولا واردة في الأفق الإنساني إلا وتطرق إليها، وما يزال ــ أمد الله في عمره ــ يعطي بشعر عمودي أصيل كل معاصر، وكل جديد.

من هنا فالقول مرفوض، لأن **المعاصرة من أولى سمات الشاعر الأصيل، وإذا كان هناك شعر عمودي لا يعالج الموضوعات الفكرية العصرية، فالنقص من أصحاب هذا الشعر لا من الشعر نفسه، والقصور من هؤلاء المتشاعرين المتحجرين فكرياً لا من الطريقة العمودية**.

وأما كون الشعر الحديث أكثر معالجة للواقع، وصلة بالمعاصرة، فهذا شيء لا أقرُّ به، لأنني حتى الآن لم ألق إلا من يَعُدُّ طلاسماً، ويُريق ضباباً في حالك من الليل ثقيل.

●● إذن.. ما رأيك بظاهرة عودة



بعض الشعراء إلى القصيدة العمودية .. ؟!

● هذه الظاهرة طبيعية .. إنها عودة إلى الجادة السليمة ، والطريق الصحيحة ، بعد أن حادت أقدام الكثيرين عنها ، فكان لنا من ضياعهم محاولات عقيمة ، وتجارب سقيمة ، ودواوين خديجة .

وأنا ـ بالطبع ـ لا أقصد التحجر والوقوف عند الشعر العربي الموروث ، ولكن طبيعة التطور ـ كما علمنا تاريخ الشعوب قاطبة ـ تقتضي أن ننطلق من صخرة الواقع إلى عالم الخيال ، وأن نجدد في الملامح والألوان والظلال و . . . بأناة وهدوء ومنطق ، لا أن نحطم تراثاً امتد على مئات السنين عرفنا به ، وعرف بنا ، لنبني على أطلاله وبقاياه كوخاً لا يمت إلى سماتنا وشخصيتنا وجذورنا بشيء . . . !! . ومن هنا أعود فأقول : إن هذه الظاهرة طبيعية ، لكنها تحتاج إلى الفحول كي يعبروا الطريق الصحيحة بعد أن ساروا طويلاً في الطريق الخاطئة وتعودوا عليها .

ماذا نبعد من التراث الشعري ؟

●● أمامك التراث العربي الواسع من الشعر ، فلو خيرت .. ما اللون الذي تتمنى ألا يبقى أو الذي تعمل على استبعاده ؟

● أبقي كل شيء ما عدا شعر الهجاء المقذع الذي يتناول الأعراض والأنساب وما شاكل ذلك ، لأنه عيب وعار ، فأنا لا أقبله ولا أجيزه ، وإنني أربأ بنفسي وبغيري من الشعراء أن يسلكوا مسلكه ، وبالمقابل أقر شعر التقريع الذي يهدف إلى الإصلاح والتقويم ، وكذلك الهجاء الكاريكاتوري الضاحك كأغلب هجاء ابن الرومي .

●● وشعر المديح .. ؟!

● أقبل أكثره لأتمتع بصوره الفنية ، ولقطاته المبتكرة ، وأفكاره الدسمة ، مهما يكن عرضه وهدفه ، ما عدا شعر التزلف والتملق الذي يصدر عن ضعاف النفوس على الرغم من احتوائه ـ أحياناً ـ على اللقطات الفنية . . وقولي هذا يسري على ألوان الشعر العربي والغربي كلها ، فأنا صياد لقطات فنية ، أبحث عنها وأقتنصها أنّى وجدتها .

●● ماذا تقصد باللقطات الفنية ؟

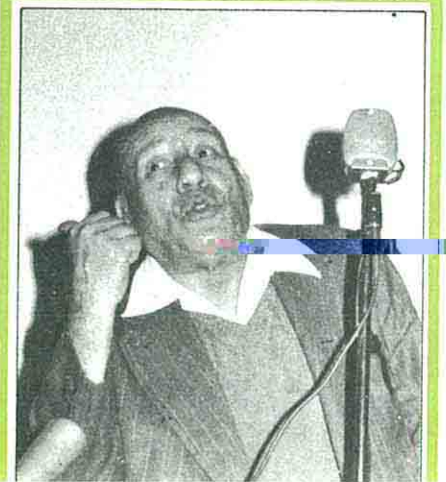
● الفكرة .. الصورة .. طريقة التعبير والأداء .. الموسيقى المتماوجة .. هي جميعاً عنوان الفن ، وكلما تكاملت وسمت كانت اللقطة الفنية والحياة المتحركة التي يضج خافقها بألف لون ولون .. والنماذج على ذلك لا تعد ولا تحصى في أدبنا العربي قديمه ومعاصره .

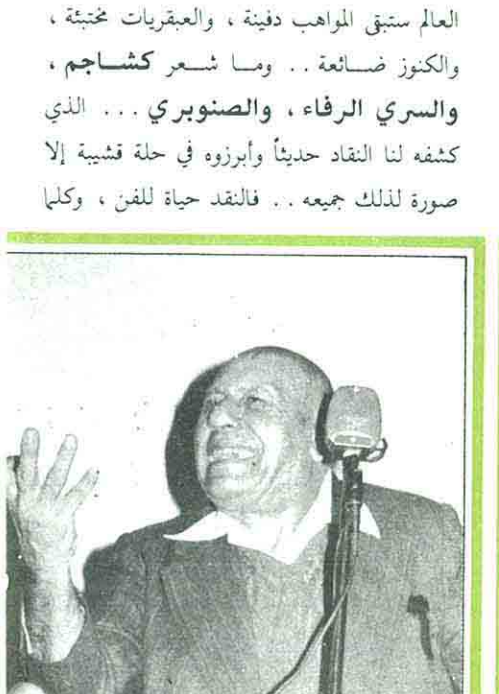
النقد .. والحركة الشعرية

●● هل تؤمن بالنقد يساير الحركة الشعرية .. أم تتأذى منه ؟

● لا أعشق إلا النقد ، والحياة الأدبية بعامة والشعرية بخاصة حياة ميتة من دون نقدة .. فالناقد هو الذي ينفخ النار ، ويذكي اللهيب في الأدباء والشعراء ، والذين يخشون النقد ويتأذون منه هم الذين يجب أن يلحقهم الغربال الذي تحدثنا عنه في بداية هذا اللقاء .

لقد كنت مع أخي ورفيقي في جامعة بيروت الأمريكية الشاعر المرحوم **إبراهيم طوقان** على وفاق من هذه الناحية ، إذ أطلقنا لنفسينا العنان في ميدان النقد البنّاء بلا رياء ولا حرج ، فكنت أنقده وينقدني ، وكذلك كان زملاؤنا كشاعر العراق **حافظ جميل** ، والأديب اللبناني الموسوعي **الدكتور عمر فروخ** .. فنشأت محباً للنقد ، عاشقاً له ، وما زلت ، **ولا أتصور أدباً يسمو ويؤثر دون نقد يسير معه ويواكبه موجهاً ومقيماً ودارساً .. ولهذا يمكنني أن أشبه الفنون ـ ومنها الشعر طبعاً ـ بمعدن خام ، والنقد بالعالم الباحث الذي يستطيع أن يجلو الصدأ وينفض الغبار ، ويقع على الذهب البراق والجوهر الثمين ويجلوهما للناس والتاريخ بعد تنقيتهما من الأوشاب والأخلاط** .. ومن دون هذا العالم ستبقى المواهب دفينة ، والعبقريات مختبئة ، والكنوز ضائعة .. وما شعر **كشاجم ، والسري الرفاء ، والصنوبري** ... الذي كشفه لنا النقاد حديثاً وأبرزوه في حلة قشيبة إلا صورة لذلك جميعه .. فالنقد حياة للفن ، وكلما







كان راقياً كان الفن راقياً والعكس صحيح .

●● هل ترى أن على ناقد الشعر أن يكون شاعراً أم عالماً بالشعر . . ؟!

● النقد علم قائم بذاته . . والناقد ــ وإن كان لا بد له من الحس التذوقي ــ يجب عليه أن يتبع خطى العلم في نقد الأثر الفني وتمييز صحيحه من فاسده ، وغثه من سمينه . . ولا بد له من الثقافة الواسعة ، والاطلاع الشامل على الإنتاج الأدبي عربياً وإنسانياً حتى يستطيع أن يقيّم الأثر ، ويقارنه بغيره ، ويضعه موضعه الصحيح في قائمة مسيرة الأدب . . فمن هنا لا بد لناقد الشعر من أن يكون عالماً بالشعر وقواعده وألوانه وفنونه وبحوره وقوافيه ولغته وتاريخه الأدبي على مر العصور .

ولكن . . ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا ، وما أروع العالم بالشعر إذا كان شاعراً ويدرك الخبايا ، ويتعرف إلى أعماق الخفايا ، ويغرق في لجج المعاناة ولهيب التجربة . . ؟! إذن لكان لنا منه ناقد مبدع يحقق قول شاعرنا القروي :

إلى أن حلّه الشعراء شعراً
ومن بالشعر كالشعراء يفهمْ . . ؟

إلى العلم . .

●● إذا اعتبرت نفسك معلماً وأردت أن تعلم أمتك . . فماذا تعطيها ؟

● أطالبها بالعلم ، وبالاتجاه إليه عن طريق المعاهد ، لأنها الوسيلة الأنجع إلى إشاعة العلم ، على شرط أن تكتنفها الحرية المنظمة ، وأن يكون العلم والفكر والثقافة دون قيود أو إلزامات ، وأما الجامعات فينبغي أن يكون للأساتذة والمفكرين الكبار الدور الرئيسي في رحابها . .

فجامعاتنا تخرج في هذه الأيام موظفين أو (طلاب وظائف) وهذا مما يدعو إلى الأسف العميق ، وإذا استلم التعليم الجامعي أساتذة متخصصون كبار تخرج على أيديهم مفكرون وعلماء وباحثون ودارسون . . فطلاب الوظائف ليس من ورائهم فائدة علمية وفكرية . . وكم نحن بحاجة ماسة إلى العلماء والمفكرين . . أقول هذا دون الخوض في الأسباب ، وهي كثيرة لا يستوعبها مجال كهذا .

ومن تجاربي ومشاهداتي أننا نعمنا في الجامعة الأمريكية في بيروت بجو علمي خالص ، سواء أكان من الأساتذة العرب ، أم الأجانب ، فكان أن تخرج معي علماء أفذاذ ، وأدباء متفوقون ، أذكر منهم : **الدكتور قسطنطين زريق ، والدكتور عمر فروخ ، والدكتور فؤاد حداد** ، والشعراء **إبراهيم طوقان ، وحافظ جميل ، وعمر أبو ريشة . . .**

لقد تعلمنا من أساتذتنا الروح العالية ، وحب البحث والسعي وراء الحقيقة ، وكل واحد منهم له ميزته ، ونحن حاولنا ، وما زلنا نحاول أن نتأثر خطاهم ، وأن نزيد عليها ما أمكن .

الشعر . . والنشر

●● هل أنت ممن يرون تقديم إنتاج الشاعر برمته ، أم اختيار الأفضل وتقديمه للناس ؟

● الإنتاج كله يحتاجه الباحث والدارس ، وأما شداة الثقافة والأدب فيمكن أن نقدم لهم مختارات ، لأن أغلبهم طالب متعة عاجلة ، لكن معرفة الشاعر بكل سماته تتطلب عكس ذلك . . ومن هنا فقد نشرت شعري كله لأترك الباحث يتغلغل إلى أعماقي ويتعرف كل خالجة من خوالجي ، وهذا ينطبق على قولي :

وشمَّ الفواغي كلَّها ، رب زهرة
وإن ضؤلتْ شأناً لها أرج يغري

وأما بقية الناس فلهم أن يأخذوا ما يريدون وأن يدعوا ما يشاؤون :

هذا أنا يا قوم ، كل مزية
في النفس أعرضها بغير ستار

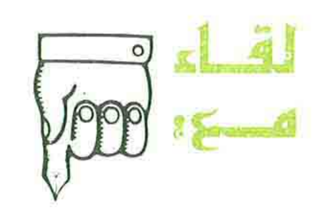
الشعر . . والقراء

●● هل تعتقد أن الإنتاج الشعري المعاصر يصل إلى القارئ العربي . . . وبماذا تفسر قلة عدد قراء الشعر بالنسبة إلى رواج أجناس أدبية أخرى . . ؟!

● لطالما سئلت وساءلت عن الإنتاج الشعري المعاصر ووصوله إلى القارئ العربي . . . ولقد وصلت إلى أن أغلبه لا يصل ، ويرجع ذلك إلى عزوف أكثر الشعراء ــ العموديين ــ الكبار عن النشر ، وإلى استئثار أنصار الشعر الحديث بالصفحات الأدبية ، والزوايا النقدية ، واللجان الحاكمة بالطبع والنشر في كثير من صحف العالم العربي ومجلاته ، ومؤسساته الثقافية ، وتشجيعهم ونشرهم ما يروقهم شكلاً ــ لا مضموناً ــ حتى سئم القارئ العربي الطلاسم وعزف عن الشعر . . .

الشعر رسالة ، لها مرسل ، ولها مستقبلون ، وفي يقيني أن أغلب المرسلين يهذرون ويخلطون ولا يعرفون ماذا يقولون ، فماذا يستقبل المستقبلون ، وماذا يفهمون . . ؟! ، كان الله في عونهم . . !! .

وفي الجانب الآخر نجد الأجناس الأدبية



الأخرى من قصة ومسرحية ومقالة وما إلى ذلك ، تلك التي حاولت التجديد المقبول والمعقول ، فكان لها أن احتلت الساحة ، واستحوذت على عدد كبير من القراء الذين تركوا — آسفين — لافتات الشعر ، بعد أن غدت لا تمت إلى القارئ العربي المعاصر بأية صلة .. فكراً .. وعقيدة .. ولغة .. وعاطفة .. وخيالا .. وأصالة .

الحق أقول : الشعراء العرب تركوا القارئ العربي ، وليس العكس ، فهل من عجب إذا تلفتنا فلم نجد حولنا من يفهم أكثر ما يقال ، وإذا أمعنا النظر فلم نصادف أذناً تصغي إلى أغلب ما يقال .. ؟! .

الشباب المستمر

●● شاعرنا الطبيب .. لقد تخطيت الخامسة والسبعين وما تزال شاباً ومعطاء في الشعر والطب والحب .. فما سر الشباب الدائم ، والحيوية المتدفقة ، اللذين ما برحت تتمتع بهما حتى الآن .. ؟!

● إنني أعاني قضية الاستمرار في الشباب قولا وفعلاً ، وما زلت أحتفظ بالقوة والنشاط والفكر النابه الوقاد واستمرار العمل المنتج وحيوية الروح وشباب القلب بشكل لا يتمتع به الشباب في عنفوان شبابهم .. ولقد قلت غير مرة :

فالجسم في السبعين أو هو بعدها
والروح في العشرين ، بل هي أرشق

فأنا أستيقظ في السادسة صباحاً ، وأقصد عيادتي الطبية مبكراً وأستمر في العمل دون انقطاع حتى الغروب وأكشف يومياً على نيّف ومائة مريض .. وبعد تناول الوجبة اليومية الوحيدة أنشط للعمل ثانية حتى منتصف الليل .. ناهيك عن القراءة الطبية ، والقراءة الأدبية ، وقرض الشعر ، وقضاء متطلبات الحياة .. وهذه جميعها ينوء بحملها الشباب والمراهقون ، فكيف بمن تخطى الخامسة والسبعين .. ؟! .

وإذا أردت .. فقد أعلنته عندما بلغت الستين من العمر ، ودعوت لذاتي ، ومن بلغ من العمر عتيًا إلى الانطلاق بقولي :

ألا أيها القوم المسنون أقبلوا
إلى اللهو ، لا تصغوا لنصح طبيب
أحبوا .. أحبوا .. فالهوى يبعث الصبا
أحبوا .. فإن الحب غير معيب

وبعد أن تخطيت الستين شرعت في استعمال بعض العقاقير المرممة للخلايا كل يوم صباحاً ، وها أنذا لا أستنكف عنها ، وهي مع وثبات القلب ، وحرائق الحب تجعلني سلطان الشباب .. ولهذا قلت :

أيها المتعبون ، يا من يئستم
من رجوع الشباب أصغوا إليّا
الهوى .. الهوى .. وبضع حبوب
أرجعتني فتى قوياً .. قويا

وهكذا فالعقاقير الطبية مساعدة للحب الذي هو أصل وقاعدة ، وإذا كان هناك من يود تناول العقاقير دون أن يكون محباً ، فإنني أعلن — سلفاً — بأنه لن يستفيد .. وكلماتي هذه ليست للاستهلاك والطرافة بل هي من لُبّ الحقيقة والواقع ، فأنا المجرّب والطبيب معاً .

شاعر الغزل

●● ما سر كثرة شعر الغزل عندك ، وتميزه عن الألوان الأخرى .. وما غايتك من نظم الشعر ؟

● أنا سيّد العشاق من قبل الشبا
ب ، ومن نعومة أنملي وأظافري

ولقد قلت في المجتمع ما رأيته من مثالب وعيوب ونواقص ، ودعوت إلى الأفضل ، ولم يعد هناك من جديد سوى ما يمر في قصائدي بشكل عابر ، وأما الحب ففيه جديد دائماً ، ومشاهده الطريفة لا تنقطع ولا تفنى ولا تبلى .. فهو ينقلك باستمرار إلى آفاق لم تُغش بعد ، وإلى دروب لم تُمش بعد ... ولهذا قلت في قلبي الشاب بعد أن تخطيت الخامسة والستين من العمر :

إلى جديد .. جديد في مغامرة
إلى المجاهل يغشى الموت لم يهب
بقيت أشق سعيداً في مطامحه
وظل يهوى فلم يهرم ولم يشب

وأنا أعبّر عما أعاني ، وغايتي من نظم الشعر الذي يأتيني إلهاماً في ساعة من ساعات الصفاء الذهني هي تعزية نفسي ، ومداواتها من جراحاتها ، والتعبير عن تجاربها وآلامها وآمالها .

★ ★ ★

وبعد .. فإن الحديث ذو شجون ، ولا بد من التوقف ، فقد كانت هذه الشذرات بقعة ضوء في عالم الطبيب الشاعر وجيه البارودي ، شيخ شعراء حماة وأطبائها ، الذي يغني بثقة :

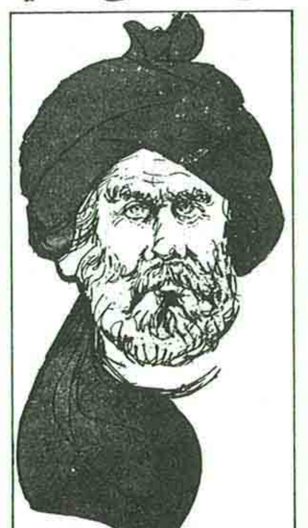
طبّي ، وحبّي ، وشعري .. شغل أندية
وهمٌ محدّثة عن أحسن الحسن

الهوامش

(١) فؤاد حداد ، كبير أطباء الجامعة الأمريكية في بيروت .
(٢) الشاعر الكبير عمر أبو ريشة .

دراسات اللغوية الحديثة وجذورها عند العرب

بقلم : د . صلاح الدين صالح حسنين


★ سيبويه ★


★ دانتي ★

اللغة وتعريفها

اللغة نظام من الرموز المسموعة ، وقد عرفها اللغوي العربي **ابن جني** المتوفي عام ٣٩٢ هـ . : « حَدُّ اللغة أصوات يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم » ، وهذا التعريف يعني أن كل جماعة لغوية تصطلح فيما بينها على الرموز التي تستخدمها في عملية التفاهم فيما بينها ، وأن هذه الرموز مجرد اصطلاح ، وليست هناك أية علاقة منطقية تربط بينها وبين المعاني التي تدل عليها .

وظيفة اللغة

للغة وظيفة اجتماعية ، هي الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة ، ولإيضاح معنى هذا الاصطلاح وكيف يتم ، فإننا نورد المثال الآتي :

فإذا افترضنا أن لدينا متكلماً نرمز له بالحرف (أ) ، وسامعاً نرمز إليه بالحرف (ب) ، وأن (أ) يريد أن يقول لـ (ب) شيئاً ما ، وأن (ب) سيفهمه ، هنا حدثت عملية اتصالية عن طريق اللغة ، وتتكون من الخطوات الآتية :

١ ــ **اختيار الدلالات** : بالطبع سيكون عند (أ) معنى ما ، ويرغب في نقله إلى (ب) ، وأول خطوة سيقوم بها هي تحديد الدلالات ، التي تعبِّر عن المعاني ، التي يريد التعبير عنها ، وهذا يشبه عملية تحرير الرسالة ، فالكاتب يحدد أولا الدلالات التي يرغب في التعبير عنها .

٢ ــ **اختيار الأنماط النحوية** : بعد أن يحدد المتكلم الوحدات الدلالية الملائمة لرسالته يقوم بتنظيمها بالطريقة التي يتطلبها النظام النحوي في لغته ، فمثلاً إذا كان لدى المتحدث الدلالات الآتية : محمد ، قابل ، علي ، ويريد أن يقول إن محمداً قابل علياً ، سيضطر أن يجعل محمداً فاعلاً وعلياً مفعولا به ، ويقول : قابل محمدٌ علياً ، أما إذا أراد أن يقول إن علياً هو الذي قابل محمداً ، عندئذ سيغير في النظام ، بحيث يجعل الذي قابل هو الفاعل ، والذي قوبل هو المفعول به ، ويقول : قابل عليٌ محمداً[1] .

من هنا نجد أن العربية تستخدم طريقتين لتنظيم الدلالات في قالب نحوي هما :

١ ــ علامات الإعراب ، فالإعراب يدل على المعاني المقصودة .

٢ ــ موقع المعاني النحوية ، فلا شك أن رتبة الفاعل قبل رتبة المفعول به ، والمنعوت قبل النعت .

والوحدات الأساسية المستخدمة في تحويل الدلالات إلى علامات نحوية تسمى **الوحدات الصرفية** Morpheme ، والوحدة الصرفية قد تكون كلمة ، وهذه بدورها تنقسم إلى فعل واسم وضمير وصفة وظرف وأداة وحرف[2] ، ولكل واحدة منها وظيفة نحوية خاصة ، وقد تكون جزءً من كلمة مثل الواو والنون ، أو الياء والنون الدالة

الدراسات اللغوية الحديثة وجذورها عند العرب

على جمع المذكر السالم ، أو الألف والتاء الدالة على جمع المؤنث السالم .

٣ ــ تحويل الوحدات الصرفية رموز ذهنية «فونيمات»

٤ ــ تحويل كل فونيم إلى صوت

٥ ــ نطق الصوت

٦ ــ عندما ينطق الفم هذه الأصوات بطريقة متتابعة وسريعة تنتقل إلى محيط الهواء ، وهنا تحدث عملية خلخلة للهواء بمقتضاها تنتقل جزيئات الهواء التي تحمل كل صوت من هذه الأصوات إلى أذن السامع ، التي تنقلها بدورها إلى جهازه العصبي ، فيحولها إلى فونيمات أولا ، ثم إلى وحدات صرفية ثانياً ، ثم إلى علاقات نحوية ثالثاً ، ثم إلى دلالات رابعاً ، فيفهم السامع مراد المتكلم .

طابع الدراسات اللغوية في العصور الوسطى

اقتصرت الدراسات اللغوية في **العصور الوسطى** على النحو ، ويعتبر الكتّاب الأوروبيون أن **أفلاطون** مؤسس علم النحو ، **وأفلاطون بالتالي هو ما أوجد ما يسمى بالأجناس النحوية ، فهو الذي قسم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف ، وقسّم الاسم إلى مذكر ومؤنث ، وإلى مفرد ومثنى وجمع ، وإلى حالات الإعراب الثلاثة ، الرفع والنصب والجر** . ودرس أفلاطون الجملة ورأى أنها تتكون من جنسين منطقيين هما : المسند والمسند إليه ، ورأى أفلاطون أن القواعد النحوية هي الوسيلة الوحيدة للمحافظة على نقاء اللغة ، وأنه جزء من دراسة أوسع هي دراسة الفلسفة ، ومن هنا فسّر القواعد النحوية تفسيراً فلسفياً ، وكان يعتقد أن لدراسة الفلسفة أهمية كبيرة لفهم تركيب الجملة وتركيب الكلمة ، وأكد أن الفرق بين الأحمق والحكيم يشبه الفرق بين النحوي ، الذي يجهل قوانين المنطق ، والنحوي الذي يجيد هذه القوانين ، **وكان يرى أن الفيلسوف وحده هو المؤهل لدراسة الأحكام النحوية ،** وكان يعتقد أنه لا يكفي أن يقوم النحو على مجرد الدراسة الشكلية للغة ، ولكنه يقوم على قوانين العلة ، لأن تعليل القواعد النحوية أهم في رأيه من القواعد نفسها .

ظهور المنهج المقارن

تنسب أول محاولة للابتعاد عن الطابع الفلسفي في الدراسات اللغوية إلى المحاولة التي قام بها **دانتي** ، ووصف بها اللغة الإيطالية ، فقد أصدر كتاباً عنوانه (**لغة الشعب**) تحدث فيه عن أصل اللغة الإيطالية ، والعلاقة بينها وبين البروقسية.[٣]

وشاءت الأقدار أن ينمو هذا الاتجاه فيما بعد في عصر الاكتشافات الجغرافية ، فقد اكتشفت فيه لغات كثيرة لم تكن تُعرف من قبل ، ودعت الضرورة إلى دراستها ، ومن ثم اضطر اللغويون إلى التفكير في منهج غير منهج أفلاطون لدراسة هذه اللغات ، وقد وجدت الدعوة إلى تقليد محاولة دانتي لدراسة اللغة الإيطالية آذاناً صاغية . ثم حدث بعد ذلك أن أعلن **السير وليام جونز الإنجليزي** عن آرائه بالنسبة إلى العلاقات اللغوية بين **السنسكريتية والفارسية القديمة واللاتينية واليونانية والجرمانية والكلتية** . وقد كانت دراسة السير وليام جونز بمثابة تمهيد لمنهج تبلور فيما بعد ، عرف باسم **المنهج المقارن** ، وكان من روّاد هذا المنهج **شليجل** Schliegel ، **وراسك** Rask ، **وبوب** Bopp ، وجريم Grimm ، **وفرنر** Ferner .

ويقوم المنهج المقارن على ما يلي :

١ ــ الحصول على أقدم المفردات والصيغ الصرفية والعلاقات النحوية في كل لغة من لغات المجموعة الإندو أوروبية .

٢ ــ وضع كل مفردة ، أو صيغة ، أو علاقة ، بجانب الأخرى .

٣ ــ وصف ما بينها من تشابه واختلاف .

٤ ــ استخلاص المفردات أو الصيغ أو العلاقات المشتركة بين كل هذه اللغات ، ومحاولة رسم صورة واضحة لما كانت عليه اللغة الأم .

وكان من أهم نتائج المنهج المقارن أنه طبق على مجموعة اللغات التي كانت سائدة في الشرق الأدنى القديم ، وأثبت أن بينها علاقات الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية .

أ ــ الجانب الصوتي

يتميز الجانب الصوتي بغنى ملحوظ في الحروف الصامتة ، ففيها حروف كثيرة مخرجها من الحنجرة والبلعوم واللهاة ، وفيها ما نسميها الحروف المطبقة أو المفخمة ، مثل ص ــ ض ــ ط ــ ظ ، أما الحركات ففقيرة للغاية ، لا يوجد فيها إلا ثلاث حركات فقط ، هي الفتحة والكسرة والضمة ، ولا يعبر كتابة عن الحركات القصيرة وإنما يستنبطها القارئ من وضع الحروف الصامتة .

ب ــ الجانب الصرفي

١ ــ تقوم الصيغ على **نظام الجذور ، فهي** إذاً قوام الأسماء والأفعال ، وتتكون من ثلاثة حروف صامتة ، تعبِّر عن المعنى الأساسي للكلمة ، ثم يحدد معنى الكلمة الدقيق ووظيفتها بإضافة الحركات ، وبإضافة مقاطع في صدر الكلمة أو وسطها أو طرفها ؛ فالحروف الثلاثة : **ك . ت . ب** ، مثلاً هي الجذر ، ومعناه الأساسي : الكتابة ، ويمكن أن يصاغ منه : كَتَبَ وكَتَبْتُ وكاتب وكتاب ومكتب .

٢ ــ يمتاز الفعل في هذه اللغات بسلسلة من الأوزان المزيدة ، التي تعبِّر عن معان مشتقة من المعنى الأساسي ، وتصاغ بتغيير الجذر تغييرات ثابتة ، وهكذا يعبر عن شدة الفعل أو تكراره ، وعن السببية ، وعن البناء للمجهول والمطاوعة والمشاركة في الفعل ، **فمثلاً** ، إذا كانت الصيغة الأساسية للفعل **هي كتب** ، فإننا نستطيع أن نكون منها صيغة أخرى تدل على المشاركة بإضافة ألف بعد الكاف ، فنقول كاتب ، أي أن يكتب شخصان كل منهما إلى الآخر . وإذا أضفنا في الصدر همزة مفتوحة وأسقطنا حركة الفاء قلنا : أكتب ، ومعناه أن يملي شخص على آخر شيئاً يكتبه .

٣ ــ الاسم معرب ، ويرفع بالضمة وينصب بالفتحة ويجر بالكسرة ، إن كان مفرداً ، أما إن كان مثنى فيرفع بالألف وينصب ويجر بالياء ،

والجمع يرفع بالواو وينصب ويجر بالياء ، أما جمع المؤنث السالم فيرفع بالضمة وينصب ويجر بالكسرة ، ثم حدث أن أهمل الإعراب في كل هذه اللغات ما عدا اللغتين الأكادية والعربية .

جـ ـ الجانب النحوي

١ ـ هناك نوعان للجملة في هذه اللغات ، هي الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، والجملة الاسمية تبدأ باسم ، والفعلية تبدأ بفعل .

٢ ـ تميل هذه اللغات إلى الجملة البسيطة ، ولا تفضل الجمل الفرعية ، وإنما تضع الجمل بعضها بجانب بعض ، ويستنتج القارئ من السياق العلاقة التي تربط بينها ، فمثلاً : نعم أخلاق المؤمن محمد ، فهنا نحن أمام جملتين ، **الأولى** : نعم أخلاق المؤمن ، **والثانية** : أحمدُ ، وقد فهمنا هذا من السياق ، والدليل على ذلك إعراب هذه الجملة ، فنعم فعل المدح ، والفاعل مضاف إلى ما فيه أ ل ، وأحمد مخصوص بالمدح خبر لمبتدأ محذوف ، ألم يكن هذا جملة ثانية ، وهذه الجملة موجودة ، ولم تُوضَّح بأداة خاصة ، إنما فهم السامع الجملتين بالرغم من وضعهما بجانب بعض[٤] .

اللغات السامية

اصطلح الباحثون على تسمية اللغات التي تشترك في هذه الجوانب باسم اللغات السامية ، وأول من استخدم هذا المصطلح هو شلوتر الألماني في مطلع القرن الثامن عشر ، وقسم الباحثون هذه اللغات إلى شمالية وجنوبية .

● **القسم الشمالي** : ينقسم إلى شمالي شرقي وشمالي غربي . القسم الشمالي الشرقي : ويضم اللغة الأكادية ، أو البابلية الآشورية ، وموطن هذه اللغة أرض الرافدين أو العراق الآن .

● **القسم الشمالي الغربي** : يشمل شعبتين أساسيتين هما الكنعانية والآرامية :

الشعبة الكنعانية : تضم العبرية والفينيقية والأوجاريتية .

الشعبة الآرامية : تضم الآرامية القديمة والآرامية الدولية ، وآرامية العهد القديم

● **القسم الجنوبي** : ويضم العربية الشمالية وهي المعروفة بالعربية الفصحى ، والعربية الجنوبية وتضم عدة لهجات مثل الحميرية والسبئية والمعينية والقتبانية والحبشية أو الجعزية .

بعد أن استعرضنا خصائص هذه اللغات التي أطلق عليها اسم اللغات السامية وحصرها كنتيجة مباشرة من نتائج علم اللغة المقارن ، نؤكد أن العرب قد تنبهوا إلى العلاقة التي تربط بين اللغات التي كانت سائدة في بيئتهم في ذلك الوقت ، وهي العربية والسريانية والعبرية ، فقد توصل **ابن حزم الأندلسي** إلى وجود قرابة بين العربية والعبرية والسريانية ، وشبَّه هذه القرابة بقرابة لهجات اللغة الواحدة ، وقال في هذا :

« والذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرية والعربية التي هي لغة **مضر وربيعة** لا لغة حمير واحدة ، تبدلت مساكن أهلها ، فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان ، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلس ، ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط ، وهي على ليلة واحدة من قرطبة ، كاد يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة ، وهكذا في كثير من البلاد ، فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمَّة أخرى تتبدل لغتها تبدلا لا يخفى على من تأمله . وإذا تعرَّب الجيليقيّ أبدل من العين والحاء هاء فيقول ، مُهمداً ، إذا أراد أن يقول محمداً ، ومثل هذا كثير .

فمن تدبر العربية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا ، من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان ، واختلاف البلدان ومجاورة الأمم ، وأنها لغة واحدة في الأصل »[٥] .

المنهج الوصفي

بعد استقرار المنهج المقارن بدأت الأبحاث اللغوية تبتعد أكثر وأكثر عن التأثير الفلسفي ، واتجه اللغويون الأوروبيون إلى التعمق في دراسة المادة اللغوية وتقسيمها إلى عدة مستويات : مستوى صوتي وصرفي ونحوي ودلالي ، ومن الذين اهتموا بالمستوى الصوتي **الباحث الدانماركي أوتو جسبرسن** (١٨٦٠ ـ ١٩٤٣ م) ، **وتروبيتسكوي** (١٨٩٠ ـ ١٩٣٨ م) ، وهو من أعضاء **مدرسة براغ اللغوية** ، وألّف كتابه المشهور « **أسس الفونولوجيا** » سنة ١٩٣٩ م[٦] ، غير أن أهم باحث لغوي ظهر في أوروبا في القرن العشرين هو **الباحث السويسري فرديناند دي سوسير** ، فهو يعد بحق رائد الدراسات اللغوية الحديثة ، وقد صدر بعد وفاته كتابه المهم « **دروس في علم اللغة العام** » ، ركز فيه على الأسس الآتية :

١ ـ اللغة ظاهرة اجتماعية تحيا بحياة المجتمع وتموت بموته .

٢ ـ تُدرس اللغة من نظرتين بارزتين ، نظرة وصفية deacronic ، ونظرة تاريخية Syncronic .

٣ ـ تدرس الجملة من زاويتين ، زاوية معنوية أطلق عليها مصطلح Paradigmatic ، ويقصد بها المعاني النحوية المجردة التي تحتوي عليها الجملة ، مثل : الفاعلية والمفعولية والابتداء والخبر . . . إلخ ، وزاوية لفظية Syntagmatic ، ويقصد بها الألفاظ التي تستخدم للتعبير عن المعاني النحوية المجردة ، ووسائل ارتباط هذه الألفاظ في الجملة .

أسس المنهج الوصفي في الدراسة اللغوية

يقوم المنهج الوصفي على الأساس الذي وضعه دي سوسير لدراسة اللغة ، وهو أنها تتكون من عدة أنظمة مترابطة ترابطاً عضوياً هي النظام الصوتي والصرفي والنحوي .

المستوى الصوتي : يهتم بالبحث في هذا المستوى علمان ، هما : **علم الفونيتكس** Phonetics ، **وعلم الفونولوجيا** Phonology .

● **أولا علم الفونيتكس** : يهتم بدراسة الأصوات الإنسانية ، وعدم التقيد بالأصوات الموجودة في لغة معينة ، ويدرسها من زوايا ثلاث ، ويتناول كل زاوية فرع مستقل .

أ ـ **علم الأصوات النطقي** Aricalatory

Phonetics ، ويهتم بدراسة إنتاج الأصوات الإنسانية

ب ـ **علم الأصوات الأكوستيكي** Acoustic Phonetics ، ويهتم بدراسة انتقال الصوت من فم المتحدث إلى أذن السامع

جـ **علم الأصوات السمعي** Audiotory Phonetics ، ويوضح كيف يستمع الإنسان إلى الصوت ويفهمه

● **ثانياً علم الفونولوجيا** Phonology : يبحث هذا العلم في أصوات اللغة المعينة ، ويقسم هذه الأصوات حسب دورها في تكوين المعنى إلى صوت أساسي يساهم بدور في تكوين المعنى ، وأطلق عليه مصطلح خاص هو الفونيم Phoneme ، وإلى صوت غير أساسي في تكوين المعنى وأطلق عليه مصطلح الألوفوت أو الفوت . مثال ذلك إذا نطق شخص كلمة أكبر أجبر بالجيم القاهرية ، هل يمكن اعتبار أن صوت الجيم يساهم في تكوين معنى كلمة أكبر . بالطبع لا ، أي أن الجيم لا يمكن أن تحل محل الكاف ، لهذا تسمى الكاف فونيم ويسمى الجيم ألوفوت .

والمنهج الذي يتبعه هذا العلم في الدراسة هو المبدأ التقابلي ، كأن يقابل بين الصوت الانفجاري والاحتكاكي ، والمرقق والمفخم ، والمجهور والمهموس . والأنفي والفموي ، والأمامي والحلقي .

وندرس الفنولوجيا كذلك تتابع الأصوات التي تشترك في تكوين الكلمة والتغييرات التي تطرأ عليها ، فمثلاً أصطبر أصلها : أ ـ ص ـ ت ـ ب ـ ر ، ثم قلبت التاء طاء والسبب في ذلك يرجع إلى تأثير الصاد المفخمة على التاء المرققة فقلبت إلى نظيرها المفخم وهو الطاء ، وأهم القوانين التي تؤثر على تتابع الأصوات قانونا المماثلة والمخالفة .

المستوى الصرفي

يدرس هذا المستوى تقسيم الكلمات إلى أجناس صرفية معينة حسب الوظيفة النحوية التي يقوم بها كل جنس صرفي . وقد قسم الباحثون الوصفيون الكلمة إلى ثمانية أقسام هي : الفعل والاسم والضمير والصفة والظرف والمصدر والخوالف [٧] [وتشمل أسماء الأفعال مثل صه ، وصيغة التعجب ما أفعل ، وأفعال المدح والذم] والأداة مثل : أداة التعريف وأداة جمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم ، والتنوين باعتباره أداة للتنكير .

ويدرس هذا المستوى كذلك البنية الداخلية لكل جنس صرفي .

المستوى النحوي

يقصد به دراسة الجملة ، وتُدرس الجملة في مستويين ، المستوى الأول معنوي ، ويقصد به المعاني النحوية ، مثل الابتداء والخبرية والفاعلية والمفعولية ، والمستوى الثاني لفظي ، ويقصد به الألفاظ التي تعبّر عن المعاني النحوية وطرق ارتباط بعضها مع بعض لتكوين الجملة .

والألفاظ التي تعبّر عن المعاني النحوية قد تكون مفردة ، أي تتكون من لفظ واحد ، مثل محمد مجد ، أكل محمد الطعام ، وقد تكون غير مفردة ، وفي هذه الحالة قد تكون عبارة ، والعبارة إما أن تكون اسمية مثل كتاب الولد في جملة كتاب الولد جديد ، وفي الحديقة في جملة في الحديقة ولد ، وإما أن تكون العبارة مثل المصدر اطعام في قوله تعالى ﴿ **أو إطعام في يوم ذي مسغبة . يتيماً** ﴾ وقد تكون جملة مثل : محمد أبوه قائم .

ووسائل ارتباط الألفاظ بعضها مع بعض لتكوين الجملة هي العلامة الإعرابية ، والصيغة والموقع والتضام والتطابق .

المستوى الدلالي : ويقصد به دلالة الألفاظ وتقسيمها إلى دلالة حقيقية ودلالة مجازية .

ونرى أن العرب سبقوا الأوروبيين في هذا العلم ، فقد التزم العرب في أبحاثهم المنهج الوصفي منذ نشأت الدراسات اللغوية في القرن الثاني الهجري ، فقد اعتمدوا على الاستقراء التام في جمع المادة اللغوية قبل استنتاج القواعد ، وقد بحثوا اللغة في عدة مستويات ، كما يبحث علم اللغة الوصفي الحديث ، فقد بحثوا في الأصوات والصرف والنحو والدلالة .

أ ـ الأصوات

درس الأصوات أصحاب المعاجم والنحاة وعلماء التجويد والمؤلفون في إعجاز **القرآن الكريم** .

فأصحاب المعاجم تناولوا الأصوات في مقدمة معاجمهم كأساس لترتيب هذه المعاجم ، وقد فعل هذا **الخليل بن أحمد** في معجمه (العين) ، وابن دريد في معجمه (الجمهرة) . أما النحاة فقد تناولوا الأصوات باعتبارها مدخلاً لدراسة الإدغام والإعلال والإبدال ، وقد تعرض لها **سيبويه** في نهاية كتابه (الكتاب) وأوضح مخارجها وصفاتها بدقة بالغة ، وكذلك فعل المبرد في كتابه (المقتضب) ، **والزجاجي** في كتابه (الجمل) ، **والزمخشري** في (المفصل) ، وأما علماء التجويد فقد اهتموا بدراسة الأصوات لتجويد القرآن الكريم ، وكان مصطلح التجويد عندهم مرادفاً لمصطلح الأصوات عند المحدثين ، **ويبدو أن أول من استخدم مصطلح التجويد هو ابن مسعود الصحابي** ، فقد كان ينصح المسلمين بقوله : « **جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات** » ، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكى حينما سمع بعض القرآن من ابن مسعود .

وقد اشتمل كل كتاب في التجويد على فصل في مخارج الحروف ، وطريقة نطقها ، واختلاف النطق باختلاف السياق ، فقد ميزوا مثلاً بين اللام والراء المفخمتين والمرققتين ، وأوضحوا أحوال هذه وتلك ، واهتموا بإيضاح إشباع الحركة في ألف المد وياء المد وواو المد ، واختلاس الحركة كما هو الحال في الإشمام والرَّوم ، وأوضحوا أحوال التسكين التام للحرف والتسكين غير التام ، وهو الذي أطلقوا عليه مصطلح القلقلة ، ويأتي مع حروف قطب جد .

وأما المؤلفون في إعجاز القرآن الكريم فقد اهتموا بظاهرة تلاؤم الحروف وتنافرها ، وتحدثوا عن مخارج الحروف ، وأوضحوا أثر قرب مخارج الحروف أو بعدها في تلاؤم الكلمة أو تنافرها ، يقول عليّ بن عيسى الرُّمَّاني ، الذي عاش في القرن الرابع الهجري في رسالته النكت في إعجاز القرآن العظيم : « التلاؤم نقيض التنافر ، والتلاؤم

تعديل الحروف في التأليف ، والتأليف على ثلاثة أوجه : متنافر ، ومتلائم في الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا

ب ـ الصرف

اهتمت الدراسات الصرفية عند العرب بما يلي :

١ ـ دراسة البنية الداخلية للكلمة وتصحيح ما يطرأ عليها من لحن :

يُروى أن **أبا الأسود الدؤلي** اهتم بتصحيح الأبنية الداخلية للكلمات ، فقد نسب إليه قوله :

ولا أقول لقدر اليوم قد غليت
ولا أقول لباب الدار مغلوق

يريد أبو الأسود الدؤلي من ذلك أن العرب لا تقول غليت القدر أو الدار مغلوق بل تقول : غلى القدر والباب مغلق .

ونسب إلى أبي عمر بن العلاء أنه سمع رجلاً يُنشد قول **المرقش الأكبر** :

ومن يلق خيراً يحمد الناسُ أمره
ومن يَغْوَ لا يعدم على الغيِّ لائما

فقال : أقَوَّمك أم أتركك تتسكع في طمتك ؟ فقال : بل قَوِّمني ، فقال : ومن يغو بكسر الواو ، ألا ترى إلى قول الله عز وجل **﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾** .

٢ ـ تحديد الأبنية الفصيحة : يقال عن يونس أن العرب تقول طَسٌّ وطَسْتَ ، فمن قال طَسٌّ قال طساس ، و من قال طست قال طسات .

٣ ـ تحليل أبنية الكلمات : يقول سيبويه نقلاً عن يونس إن لَبَّيْكَ اسم واحد ولكنه جاء على هذا اللفظ في الإضافة كقولك عليك ، وزعم الخليل أنها تثنية بمنزلة حنانيك ، لأنّا سمعناهم يقولون حنان .

٤ ـ تقسيم الكلمات إلى اسم وفعل وحرف ، ونرى أن هذا التقسيم أصح من تقسيم الكلمة إلى ثمانية أقسام كما ذهب المحدثون ، بل إن فريقاً منهم رفض هذا التقسيم وأيد تقسيم العرب .

٥ ـ التغيير الذي ينتاب الكلمة بزيادة أو حذف أو غير ذلك وتأثيره على المعاني .

يقول ابن جني في مقدمة شرحه لكتاب تصريف المازني : « وهذا القبيل من العلم ، أعني التصريف يحتاج إليه جميع أهل العربية لأنه ميزان العربية وبه تعرف أصول كلام العرب ، من الزوائد الداخلة عليه » .

يقتضينا منهج البحث هنا أن نتحدث عن النحو باعتباره يدرس تركيب الجملة ، ويرى الباحثون الأوروبيون أن مصطلح التركيب النحوي استخدم لأول مرة في الدراسات اللغوية في البحث الذي قدمه عدد من أعضاء مدرسة براغ إلى **المؤتمر الدولي الأول لفقه اللغة السلافية الذي انعقد في براغ** عام ١٩١٩م ، والواقع **أن اللغويين العرب كانوا أسبق إلى استخدام هذا المصطلح** ، فقد استخدمه الإمام **عبد القاهر الجرجاني** في كتابه دلائل الإعجاز ، فقد قال : « واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أنَّ لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضه ببعض ، ويُبنى بعضه على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك ، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس .

وإذا كنا كذلك فيجوز بنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ، ما معناه وما محصوله ، وإذا نظرنا في ذلك أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولا أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيداً له أو بدلا منه أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني صفة أو حالا أو تمييزاً أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفياً أو استفهامياً أو تمنياً ، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك ، أو تزيد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطاً في الآخر ، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى ، أو بعد اسم من الأسماء التي ضُمِّنت معنى هذا الحرف ، وعلى هذا القياس » .

من الواضح أن عبد القاهر هنا يتكلم عن التراكيب وهي التي سماها التعليق وأوضح أن المقصود بالتعليق شيئان هما :

أ ـ المعاني النحوية وتشمل الفاعلية والمفعولية والابتداء والخبر .

ب ـ وسائل ارتباط الألفاظ التي تعبّر عن هذه المعاني النحوية لتكوين الجملة .

وأظن أن ما قال به عبد القاهر هو نفسه ما يقول به المحدثون اليوم .

الدلالة

بحث العرب الدلالة ، وأوضحوا أن الأصل يدل اللفظ الواحد على شيء معيّن ، ولكن قد تتسع الدلالة وقد تضيق .

أ ـ إذا اتسعت الدلالة فيدل اللفظ الواحد على :

١ ـ معاني مختلفة فيقال مثلاً مشى يمشي مشياً ، إذا سار ، ومشت بطنه تمشي مُشاء ، إذا أصيبت بإسهال ، ومشت ماشية الفلاح ، إذا كثرت ماشيته ، وهذا هو ما يسمى بالمشترك اللفظي .

٢ ـ المعنى وضده ، نحو الجَوْن ، فإنه يدل على الأبيض والأسود ، ونحو الناهل فإنه يدل على العطشان ويدل على الذي شرب الماء حتى روى ، وهذا هو ما يسمى بالأضداد .

ب ـ إذا ضاقت الدلالة فيدل اللفظان على معنى واحد ، وهذا هو ما يسمى بالترادف ، نحو السيف والمهند .

الهوامش

١ ـ Applied Linguistics P. 20-25

٢ ـ د . تمام حسان ، العربية معناها ومبناها .

٣ ـ Robens, The History of Linguistics P. B-20 Dauid Crystals, Linguistics. P. 50-55.

٤ ـ تاريخ الحضارات السامية / ١ ـ ١٤ ، وفقه العربية / ١٠ ـ ١٤ .

٥ ـ علم اللغة العربية ، د . محمود فهمي حجازي ، ص ١٢٤ .

٦ ـ Monica Kehoe, Applied Linguistics P. 18. 19.

٧ ـ د . تمام حسان ، العربية معناها ومبناها .



فكرة "النظم" وأثرها في حل مشكلات النقد العربي

بقلم: د. وليد قصاب

استطاع عبد القاهر الجرجاني من خلال تعلقه بفكرة (النظم) المشهورة، وتركيزه عليها فيما كتب هذا التركيز الدائم الملح الذي لا يهدأ ولا يفتر، أن يحل مجموعة من كبريات القضايا الأدبية والنقدية، التي شغلت بال النقاد العرب الذين تقدموه، أو الذين أتوا بعده ردحاً طويلاً من الزمن. فقد كانت هذه القضايا ماثلة في ذهنه، مسيطرة على اهتمامه وتفكيره، يقلقه ما دار حولها من أخذ ورد، ومن تخبط واضطراب.. وهي قضايا متداخلة متشابكة، يدخل بعضها في نطاق الحديث عن (السرقات الشعرية)، ويدخل بعضها الآخر تحت ما عرف بمسألة (اللفظ والمعنى) أو الشكل والمضمون.

وكانت في الساحة الأدبية مجموعة كبيرة من الآراء القائمة المشوشة حيناً، أو المغلوطة المنحرفة حيناً آخر. ومن أبرز هذه الآراء:

(١) تحدث بعض النقاد عن أهمية اللفظة المفردة، والكلمة المجردة، وأعطوها ــ وهي وحدها مجردة كحبة الخرز ــ مزية وفضلاً من لون معيّن، وجعلوا يتحدثون عن مجموعة من الخصائص والصفات التي تتصل بها، وتدور حولها، حتى وجدت بعض البحوث والدراسات الخالصة لوجه اللفظ من حيث هو لفظ وصوت، ومن حيث هو جرس منطوق، وحرف مسموع.

(٢) وعنى بعض النقاد بالشكل والتركيب والعبارة، والجملة المنسقة المنظومة، وأوشكت أن تصبح دالة على الأسلوب عند بعضهم، ولكن مثل هذا الحديث لم يكن ذا عمق، ولم يتجه إلى شيء من الشرح أو التفصيل أو التمثيل على نحو ما سيفعل عبد القاهر مثلاً.

(٣) تركت آراء **الجاحظ** عن اللفظ والمعنى أثراً بعيداً في النقد العربي، وفي تفكير وكتابة جميع النقاد والبلاغيين الذين جاؤوا من بعده، فقد قرأ الناس ما كتبه أبو عثمان عن هذه القضية المهمة، ولكنهم أساؤوا ــ في أغلب الأحيان ــ فهم مراده، والنفاذ البعيد إلى رأيه، سواء ما تعلق من ذلك بحديثه عن الشكل، من مثل قوله عن الشعر مبرزاً أهمية الشكل فيه: «**وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك: فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير..**»[1].

أو حديثه عن المعنى بقوله في العبارة السابقة نفسها: «**والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن..**».

فماذا يعني الجاحظ بالشكل الذي يُعلي من شأنه هذا الإعلاء، ويعطيه من المزية والفضل هذا الذي أعطى؟ وهل أسقط من أجله حقاً قيمة المعاني؟ وأية معان هذه التي تلقاها مطروحة على قارعة الطريق؟.

(٤) وبين النقاد الذين سبقوا عبد القاهر

الجرجاني ما يشبه أن يكون إجماعاً حول مسألة تتصل **بالسرقة الأدبية**، أي بتناول المعاني الذي سبق إليها المتقدمون، والأفكار التي تواردوا عليها قبل من جاء بعدهم من الشعراء، وهذه المسألة هي أن من أخذ معنى من شاعر تقدَّمه، وجوَّد فيه، فأبرزه في صياغة جديدة، وكساه حلة أبهج وآنق من الحلة التي كان يكتسيها، فقد صار أحق به من صاحبه الذي ابتدعه وسبق إليه.

(٥) وافترق الناس منذ زمن بعيد شيعاً وأحزاباً في قضية (**اللفظ والمعنى**) هذه، فرأى بعضهم أن المزية في العمل الأدبي ترجع للشكل، وعليه المعوَّل، وإليه يُسند الفضل الأول في تقدير هذا العمل وتقويمه وتفضيله. ورأى فريق آخر غير هذا، فأرجع الفضل إلى المعنى، ورجح كفة الأفكار والمضامين. وهذان الفريقان كلاهما بين إفراط وتفريط، وقلما وجد فيهم من اعتدل أو أقسط فيما يأخذ فيه، فأنصار الشكل في العمل الفني لا يتوقفون فقط عند احتفائهم بالشكل وإيثاره، ولكنهم يشتطون، فيأبون إلا أن يسقطوا قيمة المعاني على حسابه، حتى ليوشك أن يتحول العمل عندهم إلى مجرد حلية لفظية، أو معرض لإبراز براعة الشاعر ومهارته في الصياغة، دون أن يكون فيما يقوله أفكار سامية، أو معان نبيلة راقية. وأنصار المعنى يقابلون إفراطاً بإفراط، وغلواً بغلو؛ فلا يكتفون كذلك بالانتصار للمعنى، وإعطائه قصب السبق، ولكنهم يذهبون إلى إهدار قيمة الشكل، حتى ليوشك أن يتحول الشعر عندهم إلى حكم ومواعظ، أو أمثال وفلسفة ومنطق على حساب حلاوة الشعر وطلاوته، وبالجور على جمال صياغته، وحسن تصويره.

وإلى جانب هؤلاء وأولئك من المشتطين المغالين فريق ثالث منصف عادل مقسط، فضل المعنى ولكنه لم يسقط قيمة اللفظ، أو فضل اللفظ ولكنه لم يهدر أهمية المعنى، أو يقدح في قيمته، بل أعطى كلاً ما يستحقه، ودعا إلى لون من التشاكل بين اللفظ والمعنى، ورأى أن أجود عمل أدبي ما حلا لفظه وحسن معناه، وما جمع بين أناقة الشكل ونبل المضامين والأفكار.

(٦) ولكن أغلب الفرق السابقة – على اختلاف اتجاهاتها ومنازعها النقدية – كانت ترعى ما يشبه أن يكون فصلاً بين اللفظ والمعنى، ولم يكن في كلامها ما يشعر إشعاراً عميقاً متميزاً بأنها تنظر إلى هذين العنصرين نظرة التلاحم والتطابق، أو نظرة الذوبان والانصهار، حتى ليتحول العمل الأدبي إلى كل مترابط أشبه بسبيكة الذهب أو الفضة التي لا ينفصل شكلها الخارجي عن محتواها.

(٧) وغلبت دولة اللفظ، ورجحت كفتها عند معظم النقاد الذين تقدموا عبد القاهر الجرجاني. ولعل **ابن سنان الخفاجي** المتوفى سنة (٤٦٦ هـ) والذي كان معاصراً لعبد القاهر (٤٧١ هـ) يمثل في كتابه (سر الفصاحة) ما بلغته دولة اللفظ، حتى أوشكت أن تكون كل شيء.

هذا ملخص موجز لمجموعة من المسائل والقضايا النقدية المهمة التي كانت تملأ الساحة الأدبية عندما أتى عبد القاهر، وقد سقتها دون أن أعيِّن أصحابها، أو أشير إلى دعاتها، لأن هذا ليس مهماً في حد ذاته. ومن الواضح أنها قضايا ومسائل مهمة تحتاج جميعها إلى بسط وبحث طويلين، بل كانت الضرورة ماسة ملحة للوقوف عندها وقفة أناة وروية، بعيدة عن الملحوظة المبتسرة، والعبارة السريعة الموجزة، كما كان واضحاً أن صورة هذه المسائل – بما داخلها من زيغ وانحراف وشطط – لم تكن تروق عقل ناقد كبير واع كعبد القاهر الجرجاني، فحاول – كما ذكرنا في مستهل هذا البحث – من خلال حديثه عن فكرة النظم أن يستوعب هذه المسائل جميعها، وأن يجيب عن التساؤلات الكثيرة حولها، ثم يتوصل إلى نتائج على درجة عالية من التألق والوضوح والعمق.


★ الجاحظ ★

وقد رصد لمثل هذا الحديث كتابين ضخمين يعدان من أجود وأنضج ما كتب في البلاغة والنقد العربيين، وهما: **دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة**.

★ ★ ★

استخدم عبد القاهر مصطلح (النظم) الذي لم يكن جديداً في الساحة الأدبية، ثم أرجع إليه حسن الكلام، وجعله مدار الفضل، وأساس التمايز والتفوق، وهو يعني به – باختصار شديد – صياغة الكلام وتركيبه في جمل متآزرة على جلاء الصورة الأدبية، فأنكر بذلك أن يكون مدار الحسن والتفاضل عائداً إلى المعنى في حد ذاته، أو عائداً إلى اللفظ في ذاته مجرداً؛ فالمهم دائماً تركيب الألفاظ في جمل، وتركيب الجمل بعضها مع بعض، ولذلك أحكم الرباط بين (نظم) الألفاظ في سياق صورة أدبية وبين المعنى الذي تكشف عنه هذه الصورة، فوضع الألفاظ في سياقها من الشعر وبليغ الكلام هو وحده وسيلتنا إلى الصورة الأدبية. وهذا الربط المحكم الوثيق بين تركيب الألفاظ على هيئة معيَّنة وما تدل عليه من المعنى عندئذ جعله ينكر أن يكون هنالك ترادف في الجمل؛ فكل تغيير في تشكيل الجملة أو صياغتها، وكل تبديل يطرأ عليها: بتقديم أو تأخير، وحذف أو ذكر، وإيجاز أو إطناب، وتعريف أو تنكير، وإلى غير ما هنالك يؤدي حتماً إلى تغيير في صورة المعنى الذي تدل عليه. وما يقوله العامة – في العادة – من أن فلاناً قد أتى بالمعنى عينه، أو أن شاعراً أخذ قول آخر فأداه على وجهه إنما هو من باب التجوّز في العبارة، والتسامح في الكلام، وإنما المقصود – في رأي عبد القاهر – «أنه أدى الغرض (أي غرض المعنى) فأما أن يؤدي المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه كلام الأول حتى لا تعقل ها هنا إلا ما علقته هناك، وحتى يكون حالهما في نفسك حال الصورتين المشتبهتين في عينك كالسوارين والشنفين في غاية

الإحالة ، وظن يفضي بصاحبه إلى جهالة عظيمة . . »[٢] .

هذا عرض مكثف موجز للخطوط العريضة لنظرية عبد القاهر الجرجاني .

ومن الواضح أن الصورة العامة لهذه الآراء تستطيع أن تحل لنا جميع المسائل والقضايا التي صدَّرنا بها هذا المقال .

الألفاظ المفردة

فاللفظة المفردة ـ على هذا ـ ليس لها كبير أهمية في الحكم على الكلام بالجمال أو القبح ، فهي لا تلعب في هذه العملية إلا دوراً ضئيلاً جداً ، يتجلى في الأمور التالية :

(١) خلوها من الغرابة .
(٢) ومن تنافر الحروف[٣] .
(٣) وارتفاعها عن العامية[٤] .

وبعد هذا فكل الألفاظ سواء عند عبد القاهر ، فلا قيمة لها فوق ذلك من حيث أصواتها مثلاً ، أو من حيث معانيها ، ولا تدخل في باب الفصاحة ، ولا يعوَّل عليها في الجمال الفني ؛ لأن المقياس الأول في حسن الكلام ـ كما مرَّ ـ هو نظم الألفاظ ، وضمها في سياق معيَّن يكوِّن الجمل والتراكيب ، ثم يكون الحكم بعد ذلك على هذه الصورة المتكاملة المتناسقة التي صارت مثل السِّوار أو العقد أو الخاتم ؛ فلا يُتصوَّر أن ينظر أحد إلى حبة واحدة من حباتها ، أو إلى جزئية مفردة من جزئياتها في الحكم أو المفاضلة . يقول : « هل تجد أحداً يقول : هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها . . . لأن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وإن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها . . »[٥] .

ورأي عبد القاهر في اللفظة المفردة موضع خلاف بين النقاد قديماً وحديثاً ؛ فقد رأينا في مطلع هذا الحديث كيف أعطى كثير من نقادنا العرب القدماء للفظة المفردة مزية وفضلاً ، وجعلها بعضهم مناط حسن وجمال . يقول **ابن**



الأثير على سبيل المثال : « اعلم أن الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر ، فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار ، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص من ذوي دماثة ، ولين أخلاق ، ولطافة مزاج . ولهذا نرى ألفاظ **أبي تمام** كأنها رجال قد ركبوا الخيول ، واستلأموا سلاحهم ، وتأهبوا للطراد ، وترى ألفاظ **البحتري** كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلي . . »[٦] .

واشتط ابن سنان الخفاجي كثيراً في الحديث عن الشكل الخارجي للفظة المفردة من حيث هي حروف وأصوات ، وقد صرف في ذلك جهداً كبيراً في كتابه سر الفصاحة . . كما رأى بعض الدارسين المحدثين أن عبد القاهر الجرجاني لم يعط اللفظة المفردة حقها من الدراسة ، واتهمه بعضهم بأنه لم يفسح المجال لدراسة الجانب الصوتي في اللغة ، ودلالته على المعنى بشكل إيجابي ، ويرى أن الموقف كان يحتم عليه أن يكشف علاقة الأصوات باللغة ، ووظيفتها في أداء المعنى ، وأن يعنى أكثر من ذلك بالحديث عن موسيقى اللفظة المفردة[٧] . وأصحاب هذا الرأي ـ كما هو ظاهر ـ يرون أن المعجم اللغوي للشعر غيره في النثر ، ومن ثم فهنالك ألفاظ شعرية ، وأخرى غير شعرية .

والحق أن الخلاف طويل حول هذه القضية ـ كما ذكرنا ـ بين النقاد القدماء والمحدثين على حد سواء ، وبين العرب والأوروبيين كذلك . ويؤيد عبد القاهر في وجهة نظره كثير من المحدثين ، فيرى بعضهم ـ مثله ـ أنه ليست هنالك ألفاظ أدبية ، وأخرى غير أدبية[٨] ؛ فالحركة **الرومانسية** ـ على سبيل المثال ـ لا تستبعد أية لفظة من الدخول إلى ميدان الشعر ، وترى اللغة كلها صالحة لذلك ، وقد كان هذا رداً على التمييز **الكلاسيكي** الذي قسم اللغة إلى ألفاظ شعرية وألفاظ غير شعرية تبعاً للتقسيم الطبقي في المجتمع .

وترى طائفة أخرى من المحدثين ما رآه من قبل نقادنا العرب القدماء من أن الكلمة المفردة لها قوة خاصة ، وأن مثل الألفاظ والكلمات في ذلك مثل حبات العقد ، فمنها الماس والياقوت والزمرد ، ومنها البراق والقاتم ، ومنها مختلف الألوان ، ولا شك عند هؤلاء أن صوت اللفظ جزء من معناه لو أردت المعنى كاملاً ، فلفظة جميلة الوقع في المسامع تخلع على مسماها نوعاً من الجمال لمجرد حسن وقعها في الأذن ، وجمال رنينها ، فلو أسمعت رجلاً هذه الألفاظ : ورد ، وسوسن ، وقلقاس ، وبطيخ ، لأدرك من فوره أن اللفظتين الأوليين تدلان على شيء أجمل مما تدل عليه اللفظتان الأخريان ، وهو لا يحتاج في هذا الحكم إلى رؤية هذه الأشياء ، لأن في رنين الألفاظ ما يهديه[٩] .

ولكن هذه المسألة تتصل ـ في حقيقة الأمر ـ بمسألتين خلافيتين حول أصل اللغة . أخضعت اللغة في نشأتها الأولى لمحاكاة أصوات الطبيعة والحيوانات ، وبالتالي فهناك صلة بين صوت اللفظ ومعناه ، أم أن اللغة مجرد مواضعة واتفاق بين الناس ؟ .

يبدو أن عبد القاهر من أنصار النظرية الثانية ، وبالتالي فهو لا يرى وجود هذه الصلة بين صوت اللفظ ومعناه ، يدل على ذلك قوله : « إنه لو وقعت المواضعة على جعل (ربض) مثلاً للدلالة على الضرب مكان (ضرب) لما كان هنالك ما يمنع من هذا . . »[١٠] .

ومهما يكن من أمر فإن عبد القاهر الجرجاني لم يهمل تماماً قيمة اللفظ المفرد ـ كما اتهمه بعضهم ـ بل تحدث عن بعض مزاياه ، وأرجع الحسن في الكلمة إلى ثلاثة أمور هي : تلاؤم حروفها ، وارتفاعها عن الغرابة ، وبعدها عن العامية . وصحيح أنه لم يتوقف عند ذلك كثيراً ، لأنه كان مشغولا عنه بالحديث عن النظرية العامة الأساسية (**نظرية النظم**) إلا

أن هذا الحديث ــ على اختصاره ــ لا يخلو من اعتبار ونظر لموسيقية اللفظة المفردة، وحسن وقعها في الأذن، لابتعادها عن الغرابة والسوقية والابتذال.

ثنائية اللفظ والمعنى

وقضت نظرية النظم على ثنائية اللفظ والمعنى. هذان العنصران اللذان كانا باستمرار موضع خلاف بين النقاد العرب كما قدمنا، واللذان راح الكلام يدور حولهما ــ في أغلب الأحيان ــ وكأنهما مستقلان عن بعضهما بعضاً، أو كأن بينهما انفصاماً حاداً، أو استقلالا تاماً، فما أوثقه عبد القاهر من صلة بين الصياغة اللغوية، وما تؤديه من معنى؛ يقود تلقائياً إلى توحيد اللفظ والمعنى، أو الشكل والمضمون في التعبير الدال على الصورة، فالعمل الفني لا يتصور فيه أبداً أي لون من ألوان الفصل بين مضمون الصورة والتعبير عنها سواء في الشعر، أو في الرسم، أو في النحت.

وبذلك توصل عبد القاهر بفكره الواعي إلى ما ينادي به النقد الأدبي الحديث اليوم من وحدة العمل الأدبي، وصعوبة تقسيمه إلى لفظ ومعنى، لأنهما في الأسلوب كل لا يتجزأ، ووحدة لا تتعدد. وقد برهن عبد القاهر على ذلك ــ كما مرَّ بنا قبل قليل ــ بنفي الترادف في الجمل والتراكيب، وأشار إلى أن أي تغيير في شكل التركيب يؤدي ــ بالضرورة ــ إلى تغيير في الفكرة، وأي تغيير في الفكرة يستتبعه ــ في المقابل ــ اختلاف في صورة التعبير. «فقولك: أعنيك، غير قولك: إياك أعني.


★ أبو تمام ★

وقولك: كل ذلك لم يكن، غير قولك: لم يكن كل ذلك. فترتيب الألفاظ في النطق لا يكون إلا بترتيب المعاني في الذهن..»[١١] كما أنه «لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر، أو فصل من النثر، فتؤديه بعينه وعلى خاصيته ووضعيته بعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا أمر من الأمور..»[١٢].

وهكذا يهتدي عبد القاهر إلى ما اهتدى إليه **النقد الحديث** في هذه المسألة، وخاصة أصحاب **المدرسة التعبيرية**. **فكروتشه** ــ زعيم هذه المدرسة ــ يرفض فكرة الفصل بين الشكل والمضمون؛ فإنك إذ تستمع إلى قطعة من الموسيقى ــ على سبيل المثال ــ لا تسأل ماذا تعني؟ وما مضمونها؟ وما شكلها؟ وليست الموسيقى وحدها تتمتع بهذه المزية، فكل الفنون موسيقى[١٣]. وعند التعبيرية أن الفكرة لا تسبق التعبير، والمضمون لا يسبق الشكل، فهما يولدان معاً، وهما لا ينفصلان. يقول الرسام التعبيري (**هنري ماتيس** Henri Matisse): «يجب ألا تنظر إلى فكرة الرسام على أنها شيء منفصل عن الصنعة، وذلك لأن الفكرة لا تعمل إلا إذا لبست شكلاً ما، وكلما كان الشكل متقناً كانت الفكرة أكثر عمقاً، وإن الروح لتبدو من خلال الشكل..»[١٤].

تسديد آراء الجاحظ

والجاحظ الذي فهم الناس كلامه على غير ما أراد، ثم لعب على هذا المفهوم المغلوط ــ الذي لم يكن لأبي عثمان يد فيه ــ دوراً في توجيه الاهتمام الأدبي نحو مقاييس أدبية ضارة، تجلت في التركيز على الشكل وحده، وجعله محور الاهتمام، وموطن الفضل؛ تنصفه الآن نظرية عبد القاهر، وتحاول أن توجه آراءه التوجيه السديد الذي يُتوقع أن يكون الجاحظ قد أراده. اتُهم الجاحظ ــ حتى على أيدي بعض المحدثين[١٥] ــ بأنه أهمل شأن المعاني، وقال عنها: (إنها مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي) فأية معان هذه التي يتحدث عنها الجاحظ؟.

إن أبا عثمان ــ كما فهم عنه عبد القاهر وشايعه على ذلك ــ يميّز بين لونين من ألوان المعاني: اللون الأول هو (**المعاني الغُفْل**) أو الصورة العامة للمعنى. واللون الثاني هو المعاني التي برزت في قالب النظم، وفي معرض التأليف والتركيب.

فأما اللون الأول فهو الذي لا قيمة له، وهو المطروح في الطريق، يعرفه الناس جميعاً: العربي منهم والعجمي، والقروي والبدوي. وهذا اللون من المعنى يشبه ــ في معرض المقارنة بين عمل الأديب وعمل الصائغ أو صانع الحلي مثلاً ــ المادة الأولية للسوار أو للخاتم. إن هذه المادة الأولية في متناول أيدي الناس جميعاً، ولا شأن لها في حد ذاتها، وإنما تكتسب القيمة عندما تصاغ على شكل معين كالسوار أو الخاتم أو العقد أو ما شاكل ذلك. وكذا شأن المعاني، فهي لا قيمة لها، ولا يقع فيها تمايز أو فضل ما دامت لم تدخل في حيز التركيب أو الصياغة. وهو في هذه المشابهة التي يعقدها بين العملية الأدبية، وعملية صياغة الحلي والجواهر، يحس بما يتميز به العمل الأدبي من فنية وتقنية عاليتين من ناحية، وما يلوح فيه من اتحاد وذوبان بين شكله ومضمونه بحيث أنه لا يمكن تصور أي لون من ألوان الفصم بينهما.

يقول عبد القاهر: «معلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يُعبَّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب، يُصاغ منهما خاتم أو سوار. فكما أن محالا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم، وفي جودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة؛ كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه. وكما أنا لو فضلنا خاتماً على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود، أو فصه أنفس؛ لم يكن ذلك تفضيلاً له من حيث هو خاتم، وكذلك ينبغي إذا فضلنا بيتاً على بيت من أجل معناه أن لا يكون تفضيلاً له من حيث هو شعر



وكلام ، وهذا قاطع فاعرفه . . »[16] .

وهكذا حلّت قضية المعاني التي طرحها الجاحظ في الطريق ، فقد عرفنا ـ عن طريق صاحب النظم ـ أنها المعاني الغفل ، فهذه لم يعبأ بها الجاحظ ، كما لم يعبأ بالألفاظ في جانبها الصوتي المجرد ، وإنما كان اهتمامه منصباً ـ كما شايعه على ذلك عبد القاهر ـ على صياغة الكلام ، وصورة المعنى التي تبرز من خلال هذه الصياغة . وهذا تفسير لقوله عن الشعر : إنه صياغة ، وضرب من النسج ، وجنس من التصوير . فهذه الصياغة لا تقع في الألفاظ المفردة ، وإنما هي الصور التي تحدث في المعاني . فالعلماء ـ كما يقول ـ « لم يوجبوا للفظ ما أوجبوه من الفضيلة وهم يعنون نطق اللسان ، وأجراس الحروف ، ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا : اللفظ ، وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى ، والخاصة التي حدثت فيه ، ويعنون الذي عناه الجاحظ حيث قال : وذهب الشيخ إلى استحسان المعاني ، والمعاني مطروحة وسط الطريق ، يعرفها العربي والعجمي والحضري والبدوي ، وإنما [illegible][17] .

وهكذا أنصفت نظرية النظم الجاحظ ، ووجهت آراءه التوجيه الشديد ، فأسقطت عن كاهله وزر ما حمَّلَه بعض الذين لم يفهموا أقواله .

قضية السرقة والأخذ

وحلت نظرية النظم ما أثير حول السرقة من آراء ، ووجهت ما استقر في أذهان الناس حول هذه القضية من أن من أخذ معنى ممن تقدمه ، ثم كساه لفظاً جديداً صار أحق به من صاحبه الذي سبق إليه[18] ، بل مضى النقاد أبعد من ذلك ، فراحوا يعلمون الشاعر كيف يتأتى للمعاني القديمة فيكسوها حلة جديدة تجعله أولى بها ممن ابتدعها[19] . ماذا يُقصد بهذا ؟ هل نضب معين المعاني ، أو جف نبعها حتى [illegible] الشعراء المتأخرون إلى معاني المتقدمين ، ثم لا يكون منهم إلا أن يحتالوا عليها بلفظ جديد ، أو صياغة مونقة ، أو تعبير رشيق حتى يكونوا أحق بها ممن سبق إليها ، وفتق بجدتها ؟ أهكذا أصبحت السرقة مشروعة إلى هذا الحد ؟ أيكون السارق الذي لم يفعل شيئاً سوى أن وضع لفظاً على لفظ أحق بالمعنى ممن وقع عليه أولا ؟ .

إن الناظر إلى اللفظ المجرد هو الذي يحسب هذا ، وتخطر على باله هذه الأسئلة التي توقفنا عندها . ولكن نظرية عبد القاهر تقدم مدلول اللفظ المقصود ها هنا ، إنه ـ في الحقيقة ـ ليس إلا الصياغة والنظم والتركيب ، وهذه الصياغة الجديدة هي معنى جديد . ألم نقل قبل قليل ـ على لسان **الجرجاني** ـ إن أي نظم جديد للألفاظ والتراكيب هو في الوقت نفسه معنى جديد . وإذن فالصياغة الجديدة هي صورة أخرى يحدثها الشاعر في المعنى[20] . وهذا يعني أن اللاحق قد أضاف إلى معنى السابق جديداً ، أو طرح منه شيئاً ، فصورة المعنى ـ في جميع الحالات ـ قد تغيرت وتحورت وتبدلت ، والمعاني عندئذ في اتساع وازدياد ، وهي في تطور وتبدل دائمين بفضل الصياغات الجديدة ، إنها لا تتوقف ، ولا تعرف الجمود أو النضوب أو الجفاف .

وبهذا يكون عبد القاهر ـ كما قال مندور ـ قد فطن إلى أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ ، بل هي مجموعة من العلاقات ، وهو أوضح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه[21] .

الهوامش

(١) الحيوان : ٣/١٣١ .

(٢) الشنف : القُرط (حلية تعلق في أعلى الأذن) .

(٣) دلائل الإعجاز : ٣٦ ، ٤٧ ، ٤٠١ .

(٤) أسرار البلاغة : ٩ .

(٥) دلائل الإعجاز : ٧٨ .

(٦) المثل السائر : ١/٢٥٣ .

(٧) انظر على سبيل المثال : (قضايا النقد الأدبي والبلاغة) لمحمد زكي العشماوي : ٣٣٣ ، ٣٧٢ ، و (الميزان الجديد) لمحمد مندور : ١٩٤ ، و (نظرية العلاقات) لمحمد نايل : ٧٤ ، وبحث سيد حجاب عن عبد القاهر في مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود ، العدد التاسع (١٣٩٩ هـ) : ٣٣٥ ـ ٣٣٩ .

(٨) انظر على سبيل المثال كتاب (الأدب وفنونه) لعز الدين إسماعيل : ٣٥ .

(٩) فنون الأدب لتشارلتن (ترجمة زكي نجيب محمود) : ٦٨ .

(١٠) دلائل الإعجاز : ٤٠ .

(١١) المصدر السابق وصفحته .

(١٢) المصدر السابق : ٢٠١ .

(١٣) انظر المجمل في فلسفة الفن لكروتشه : ١١٥ .

(١٤) Grohmann, M, Expressionists, P.2 .

(١٥) شوقي ضيف في الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ٢٩٣ .

(١٦) دلائل الإعجاز : ٢٥٦ .

(١٧) المصدر السابق : ٢٤٦ .

(١٨) انظر عيار الشعر : ٧٦ ، والوساطة : ١٨٨ ، وأخبار أبي تمام : ٥٣ .

(١٩) انظر عيار الشعر : ٧٨ ، والصناعتين : ٢٠٤ .

(٢٠) دلائل الإعجاز : ٤٠٧ .

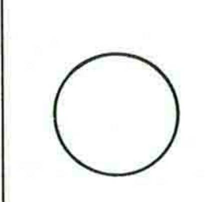
(٢١) النقد المنهجي عند العرب : ٣٢٦ ، ٣٨٤ .



بين شاعرين

فيكتور هوجو ●● أحمد زكي أبو شادي







أوراق الخريف

للشاعر الفرنسي الشهير **فيكتور هوجو** الذي ولد عام ١٨٠٢ م ، وتوفي عام ١٨٨٥ م ، ونشر أول ديوان له في سن مبكرة ، وكان قد صمّم على أن يكون مثل **شاتوبريان** ، وعلى هذا الأساس كتب هوجو مقدمة لمسرحيته « **كرومويل** » عام ١٨٢٧ م ، جعلته في مقدمة الشعراء الرومانسيين .
أهم قصائده « **الشرقيات** » ١٨٢٩ م ، و « **أوراق الخريف** » و « **الأصوات الداخلية** » ١٨٣٧ م ، و « **الأشعة والظلال** » ١٨٤٠ م ، و « **العقوبات** » ١٨٥٣ م ، و « **التأملات** » ١٨٥٦ م ، و « **أسطورة القرون** » ١٨٥٩ م . ومن أشهر مسرحياته « **هرناني** » ١٨٣٠ م ، و « **ري بلاس** » ١٨٣٨ م ، ومن أشهر رواياته « **البؤساء** » ١٨٦٢ م ، التي **ترجمها الشاعر حافظ إبراهيم** إلى العربية ، هذا وقد أجمع النقاد على أن فيكتور هوجو من الشخصيات الهامة في الأدب الفرنسي بعامة والشعر الفرنسي بوجه خاص ، وعدّه كثير من معاصريه أعظم الشعراء الفرنسيين الرومانسيين ، وكان لرومانسيته صداها وأثرها في المدرسة الرومانسية المصرية والعربية ، فنجد هذا الصدى عند **ميخائيل نعيمة** ، **وإيليا أبو ماضي** ، كما نجده عند **أحمد زكي أبو شادي** ، **وإبراهيم ناجي** .

وليس أدلّ على ذلك من هذه الترجمة الشعرية لقصيدة هوجو الشهيرة « أوراق الخريف » التي قام بترجمتها الأديب والشاعر المهجري ميخائيل نعيمة ، حيث راح ينظم :

أوراق الخريف

للشاعر **أحمد زكي أبو شادي** الذي ولد في عام ١٨٩٢ م ، وتوفي عام ١٩٥٥ م ، وكان شاعراً وطبيباً ، سافر إلى إنجلترا في سن العشرين ليدرس الطب ، وهنالك أتقن اللغة الإنجليزية ، واطلع على آدابها ، وعاد إلى مصر عام ١٩٢٢ م ، وبقي بها مقسماً وقته وجهده بين تخصصه الطبي ، البكتريولوجيا ، وهوايته العلمية « النحالة » وبين نشاطه الأدبي والشعري . ولكنه أصيب بخيبة أمل في أواخر عمره ، لقسوة النقد الذي وجّه إلى شعره ، ولاضطراب الأحوال السياسية في مصر فهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأقام بها حتى توفي .

غلب على شعره التغني بالحب وجمال الطبيعة ، واتخذ من **الشاعر خليل مطران** ، إماماً له ، **وأصدر مجلة أبولو** عام ١٩٣٢ م ، التي كانت ميداناً لكثير من المواهب الشعرية المتفتحة في مصر ، والعالم العربي .

صدر له أكثر من ديوان شعري ، من أهمها : « **الشفق الباكي** » ١٩٢٦ م ، و « **أشعة وظلال** » ١٩٢٨ م ، و « **الشعلة** » ١٩٣٣ م ، و « **فوق العباب** » ١٩٣٥ م ، كما كتب المسرحية الشعرية مثل « **أردشير وحياة النفوس** » عام ١٩٢٨ م ، في أربعة فصول بالشعر ، و « **إحسان** » عام ١٩٢٧ م ، في ثلاثة فصول بالشعر ، و « **الزباء ملكة تدمر** » عام ١٩٢٧ م ، في ثلاثة فصول بالشعر ، تأثر بالشعراء الرومانسيين ، وبخاصة الشعر الفرنسي الرومانسي ، وقد عارض فيكتور هوجو في قصيدته المشهورة « **أوراق الخريف** » .

قصيدة ○ قصيدة



أوراق الخريف

هل كان نثرك غير إيذان بعمر قد تقضى
هل كنت إلا رمز أحلام نفضن اليوم نفضا

★ ★ ★

مصفرة شأن المهات بجمرة تحكي النجيع
فكأنما قتلتك أحكام الخريف بلا شفيع

★ ★ ★

يرثيك قبلي الطير كم أنقذته يا قانيه
كم كنت ظلاً يتقي فيه العوادي القاسيه

★ ★ ★

ترثيك آلاف الأشعة من غرام كم تجلّت
متكسرات في دلال بالزمرد قد تحلّت

★ ★ ★

يرثيك باكي الطل كم أرضاك من بعدالندى
كم كنت باسمة لتحييه وتعطيه اليدا

★ ★ ★

تناثري تنـاثري يـا بهجـة النـظر
يا مرقص الشمس ويا أرجوحة القمر
يا أرغن الليـل ويـا قيثـارة السـحر
يا رمز فكر حـائر ورسـم روح ثـائر
يا ذكر مجد حـائر قـد عـافك الشـجر
تناثري تناثري !

★ ★ ★

تعـانقي وعـانقي أشـباح مـا مضى
وزودي أنـظارك مـن طلعـة الفضـا
هيهات أن ! هيهات أن يعود ما انقضى
وبعد أن تفـارقي أتـراب عهـد سـابق
سيري بقلب خـافق في مـوكب الفضـا
تعانقي تعانقي !

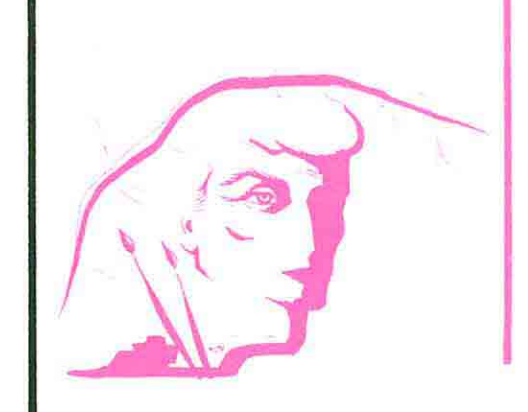
★ ★ ★

سيري ولا تعاتبي لا ينفع العتـاب
ولا تلومي الغصن والريـاح والسـحاب
فهي إذا خاطبتها لا تحسن الجـواب
والدهر ذو العجـائب وبـاعث النـوائب
وخـانق الـرغائب لا يفهـم الخـطاب
سيري ولا تعاتبي

★ ★ ★

عودي إلى حضن الثرى وجددي العهود
وانسي جمالا قد ذوى مـا كان لن يعـود
كم أزهرت مـن قبلك وكم ذوت ورود
فلا تخافي ما جـرى ولا تـلومي القـدرا
من قد أضاع جوهراً يلقـاه في اللحـود
عودي إلى حضن الثرى !

★ ★ ★



(نقـلاً عـن كتـاب « الشـعر العربي في المهجر » ، **للأستاذ محمد عبد الغني حسن**) .

يرثيك ذاوي العشب محزوناً لما يجني الخريف
يرثيك لا خل يـواسيه وقـد غـاب الخفيف

★ ★ ★

ترثيك أفئـدة لعشـاق وهبـت نقـابهم
واليوم لا ترضى الطبيعة أن تجيب طلابهم

★ ★ ★

يرثيك عقل الفيلسوف يـراك لغـزاً مـذهلا
العيش والموت المعجـل والـرجاء المقبـلا

★ ★ ★

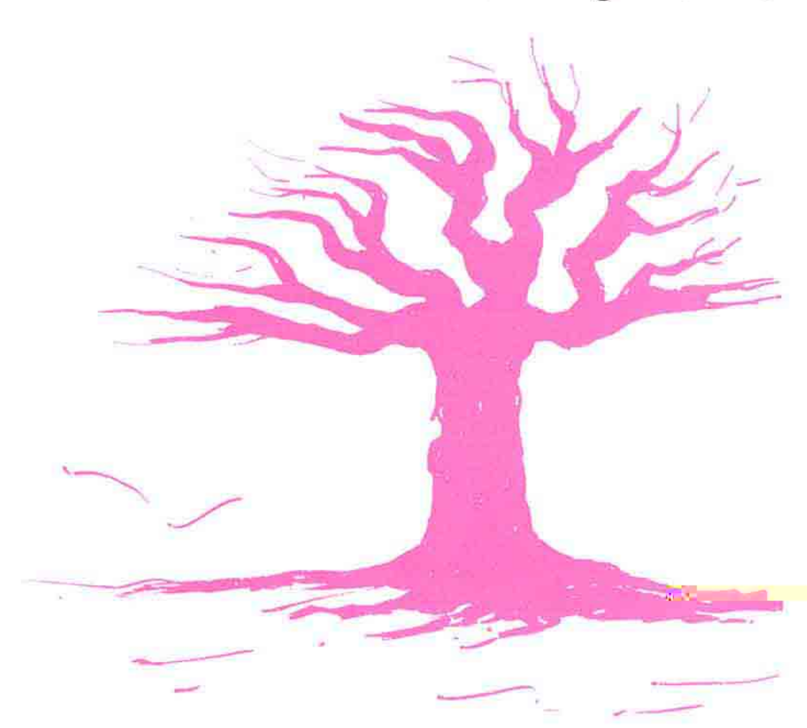
يرثيك شعر النحل كم غنت لـديك مـرنحه
بين الأزاهـير السـخيّة والغصـون الفـرحه

★ ★ ★

يرثيك أنا[illegible] من الجداول في الحرير
قـد كن أنغـام السرور فصرن آلام الـزفير

★ ★ ★

ترثيك دنيا قد تركت وأنت سكرى راضيه
لا تأسفن فـإن روحـك روح دنيـا ثـانيه



(من ديوان « الشفق الباكي » **للشاعر أحمد زكي أبو شادي**) .

جاوزت طيبتي مداها

شعر: سعيد فياض

جَاوَزَتْ طيبتي مَداها ، فَهَاجَتْ   شَكَّ حُسْنِ الظُّنونِ . . حتى ظنوني
وَجَزَتْني على براءة قلبي   بعذاب مُسَهَّدٍ يُضْويني
فإذا حِلْتُ دونها باحتراس   وانكفاء عن مجلس أو خدين
دفعتْني للشك حتى بذاتي   واستغلَّتْ تشككي بيقيني
وأرتْني في الصمت والبعد عيباً   ليس يَخفى على الأديب الفطين
لكأني بها صديقٌ لدودٌ   بابتسامات مكرهِ يُغريني
حيث أبدو أمامها مثل طفل   يتحرَّى ظلال أمٍّ حَنون
واثباً نحوها بشوق مُثار   طالباً عذرها برفق ولين
وبعَوْدي لها ، تعود همومي   بين آهٍ وأنَّةٍ تَطْويني

★ ★ ★

كم حديث داعبتُ فيه عشيراً   عادني منه تهمةٌ بالمجون
وخدين خسرتُهُ إثر نُصْح   خال فيه انتفاض غِلٍّ دفين
وجليس صدقْتُه السمع أذناً   وَجَناناً . . تَنِمُّ عني عيوني
ظنَّني ماكر المشاعر أخفي   عنه خُبثي بيقظة المفتون
فاحتواني العتابُ من كل حدبٍ   واستثيرَتْ من كل صوب شجوني
والتق صاحبي بدربِ عَذُولي   في ملام قليلُهُ يُشجيني
مرةً أتَّقي الملام بصبر   ومراراً بغض طرف حزين
وكثيراً ما هالني نقدُ ذاتي   حين أبدو أمامه كالظَّنين
غير أني ، مهما فعلتُ أراني   عائداً في مرارة المغبون
. . عبثاً أدفع الشكوك بهزلٍ   أو بجدٍّ . . . ولو بحلف اليمين
فقليلٌ من يحسن الظنَّ بالناس   وكُثْرٌ أهلُ الغوى والطَّعون
إنْ تجاهلتُ ريبة بنُزوع   لابتسام . . بنَبْلهمْ أمطروني
فإذا ما سكتُّ ، قالوا : جبان   وإذا ما حَجَجْتُهُمْ . . . بَهَتوني
وإذا ما ادَّعيتُ بالمكر ، لاحتْ   طيبتي بين منطقي وجبيني
لتُريْهِمْ كذابَ قولي . . كما هم   كذَّبوها ، رغم الوضوح المُبين !

★ ★ ★

ليت شعري ؟ هل طيبة الذات تُجدي   غير لوم اللاَّحي وعتب القرين
وَهْيَ بالقرب من ذوي المكر غَمٌّ   وعلى البعد ، مَطْعَنٌ للظنون ؟!
. . أبلغُ الظن إنها للمعاناة وقودٌ   . . . يمتدُّ عبْرَ السنين
لا يبالي بها جهولٌ بليدٌ   وَهْيَ للفن توأم التكوين
يلتقيها الفنَّانُ بالحبِّ والصبر   . . فتلقاهُ بالشذى المكنون
ولهذا . . عَشِقْتُها . . وأذاها ؟   فيقيني بالله ، منه يقيني !!!

★ ★ ★







بمناسبة العام الدولي للكبار

المراهق في البيت والمدرسة

●● لا شك أن مشكلة التكيف مع البيت والمدرسة تعد من أكبر المشكلات التي يواجهها الإنسان في مرحلة المراهقة . وسنحاول فيما يلي أن نلقي الضوء على هذه المشكلة وأبعادها ، مستعرضين أهم الآراء والدراسات حول هذا الموضوع .

بقلم : د. مالك سليمان مخول

● أولا : المراهق في البيت

تشغل مسألة إقامة علاقات سليمة مع الأهل والراشدين مكاناً بارزاً بين المهمات النمائية الأساسية للمراهق . وليس من السهل على المراهق الذي اعتاد طيلة حياته السابقة أن يكون اتكالياً ، واستغرق مع أهله في علاقات أعطته دوراً ثانوياً ، أن يتحول إلى ذات مستقلة قادرة على تحريك الأشياء بإرادتها . ولا بد له ــ من أجل ذلك ــ أن يحقق أولا **استقلاليته عن والديه وعن الراشدين ، وأن يقيم اعتباره المتكامل لذاته** . إن عليه ، بلغة مجازية ، **هجر أرض والده ، والبحث لنفسه عن أرض جديدة يبني عليها وجوده الخاص** .

يعني فطام المراهق عن والديه بلوغه مكانة يقف فيها على قدميه ، ويختار ولاءاته وقيمه بنفسه ، وينساق مع أفكاره الفردية ، ويبني نظراته الخاصة عن الحياة . وإذا ما مشت الأمور في مساراتها الطبيعية وتمكن المراهق من إثبات وجوده في عالم الراشدين ، فإنه سيكون قادراً على ممارسة اختياراته الخاصة ، وستنفتح أمامه فرص كبيرة لتحقيق ذاته ومجابهة السلسلة اللامتناهية من المشكلات التي تنتظره على درب حياته الطويل .

وعي المراهق لميزات الأسرة

يعي أغلب الناشئة بدخولهم مرحلة المراهقة ميزاتهم الخاصة وميزات أعضاء الأسرة الآخرين . . تلك الميزات التي ترشدهم إلى إحساسهم بالاعتبار والفخر أو بالازدراء والذل . فيشعر الصبي بالخجل لارتكابه أفعالا لم يكن من قبل يدري أنها مشينة . وقد يشكو من أسرته ومن تصرفات أفرادها ويوجه ملاحظاته وانتقاداته المريرة إلى **أخته** التي تبدي المزيد من الترتيب لهندامها ، وإلى **أخيه** الذي لا يتوقف عن الصراخ المرتفع ، وإلى **الوالد** الذي يضحك بصوت مرتفع لنكتة تطلق ، وإلى **الأخت** الشابة التي تقرأ المجلات والروايات المبتذلة .

ويمتد انشغال بال المراهق بمظهره الجسمي الخاص إلى المظهر الخارجي لأفراد الأسرة ، فتغدو أخته التي كانت مجرد أخته **ليلى** ، جميلة أو

قبيحة ، كما يغدو سعيداً أهوج متمرداً بعد أن كان سعيداً فحسب .

وقد تمتد الروح الإصلاحية للمراهق الناشئ إلى عدد من مجالات الحياة ، فيصر على إبدال الكراسي في قاعة الجلوس بسبب قدمها وعدم تناسقها مع ذوق العصر ، **عصره هو بالطبع** . وقد تمتد عين الفتاة الناشئة إلى مائدة الطعام وتلاحظ تدهور سلوك الأسرة بصدد آداب الطعام ، أو تنافر أدوات الطعام بعضها مع بعض .

والواقع أن الروح الإصلاحية لا تعم جميع المراهقين ، إلا أنها تكون من العنف والقوة بحيث يغدو من الصعب على الراشد معايشة المراهق الثائر المتمرد . فإن مسَّت الروح الإصلاحية للناشئ نقاط ضعف يتحسس لها الوالدان أو أحد أعضاء الأسرة ، انقلب الجو الأسري كارثة لكل من يعنيهم الأمر . ولا يفيد سوى النصح ومرور الزمن في دفع المراهق إلى الإحساس بوجود حدود للإصلاح . فالزمن والنصح وحدهما كفيلان باقناع « **مصلحنا المتمرد** » بأن للآخرين الحق في أن يكونوا مختلفين وأن تكون لهم وجهات نظرهم الخاصة .

الاهتمامات المشتركة بين المراهق والأهل

يستمر المراهق في طلب النصح والمشورة من والديه ، في الوقت نفسه الذي يجهد فيه للاستقلال عنهم . وعلى الرغم من رغبة المراهق في تأكيد استقلاليته ، فإنه لا ينى يسعى إلى الراشد يطارحه همومه وآماله ومشاكله . ويبدو أن الاستقلالية الحرة تتكامل مع قدر من الدعم النفسي من جانب الآخرين . وإنه لمن دواعي الغبطة للوالدين أن يريا مخلوقاً جديداً يتفتح بعيداً عنهما تفتحاً يحتفظ بالكثير من سمات الماضي . **فيسعد الوالد إذ يرى طفل الأمس النحيل القصير يطول بحيث تزيد قامته الشابة عن قامة والده ، وقد تشتد سعادة الوالدين على وجه الخصوص عندما يلح الناشئ على تأكيد حقوقه وامتيازاته ، وعلى أن يكون له صوت مسموع في الأمور المالية للأسرة ، وعلى أن يطرح خططاً للمستقبل تقذف به بعيداً عن جو الأسرة .**

ولا بد من الإشارة إلى أن نزعة الناشئ إلى تأكيد ذاته قد تبعث السرور في قلب الوالد الذي تتصف شخصيته بواقعية تدفعه لتقبل مجريات الحياة . إلا أن بعض الأهل ، أو جميعهم أحياناً ، يشعرون بالضيق والقلق ، ويعجزون عن تقبل التغيرات الكبيرة في شخصية الناشئ . **فقد يخصص الوالدان المال لإرضاء الحاجات المتزايدة للمراهق** ، لكنهما يجدان نفسيهما في حال من التمزق والعجز عن إفساح المجال له لشراء الأزياء الجديدة ، وقد لا تسبب تلك التفاصيل المتاعب المالية للأسرة ، لكنها قد تجر الأسرة إلى القلق بصدد القيم الخلقية التي تخشى تدهورها .

إن **بعض الراشدين الذين يضعهم القدر في موقع الإشراف على المراهق مراهقون أنفسهم ، ويعانون الكثير من ضروب الصراع والمشاكل المعلقة المترسبة من مرحلة طفولتهم ومراهقتهم هم** . فقد يجد الوالد نفسه أن عليه في فترة مراهقة ابنه ، التساؤل عما إذا كان هو استقلالي الرأي والتفكير ، أو عما إذا كان يشك في صحة أحكامه ويحس بالحاجة للتعلق كالأطفال بالآخرين ، أو يسعى إلى دعم الآخرين ، وعلى الراشد في محنته مع ناشئه أن يحاول فهم نفسه بعد أن كان قد أغلق أبوابها فترة طويلة . وعلى أية حال فإن محاولة التعرف على مشكلات المراهق الواقعية وتجربته في تحقيق الذات ، قد تمكن الراشد من رؤية نفسه في مرآة جديدة وتعمق فهمه لذاته وللآخرين من حوله .

أثر الرفض والتقبل الوالدي

مما لا شك فيه أن تقبل الوالدين للناشئ ، أو رفضهم له ، يلقيان أثراً كبيراً على شخصيته . وقد يكون تقبل الناشئ خير غذاء لنمو ذاته ، على حين أن الرفض **يعرقل عملية النمو وقد يقضي على تطلعات الناشئ ومطامحه الشخصية** . إلا أن التقبل ليس بلسماً يشفي كل مشاكل الطفل . فالكثير من المعلمين والأهل يرغبون في تقبل الناشئ **لكنهم يجهلون كيف يحققون التقبل المشار إليه** . وقد ينتهي الراشد في محاولته لتقبل الناشئ ، إلى الوقاية المفرطة أو التدليل **المفرط** اللذين يعبِّران في جوهرهما عن تسلط أعمى ورفض أخرق .

ومن المعلوم أن للرفض أكثر من سبيل أخطرها التدليل المفرط الذي يعطي الناشئ الحق في أن يكون دوماً على صواب ، وفي أن يدير شؤون البيت ، والتدليل المفرط يعيق تصحيح أخطاء الناشئ ويؤدي بالنتيجة إلى خضوع الوالدين لنزوات طفلهم المدلل .

وما من شك في أن التعاطف الذي يقبع في أساس التدليل المفرط هو تعاطف مزيف يجده الأهل ذريعة للتسلط على الناشئ والتحكم بمصيره . وهذا التسلط يجبّر الناشئ المدلل وينزل به أبشع صنوف الغبن . فإن رفض الأهل طفلهم صراحة أو تسلطوا عليه تجبراً ، وجد الناشئ مسوغاً للثورة عليهم . أما إن ارتبط التسلط بالتقبل المزيف والحب المرضي ، كان من الصعب على المراهق محاربته .

الأهل الثقاة

لا شك أن بعض الآباء والأمهات ينجحون في أن يكونوا موضع ثقة أولادهم . وقد يجد الأبناء والبنات أن بمقدورهم الثقة بأمهاتهم أكثر من ثقتهم بآبائهم . وعلى العموم تزيد نسبة البنات على نظيرتها من الصبيان الذين يثقون بوالديهم وخاصة بأمهاتهم . وقد وجد « **تين** » (١٩٣٤ م) أن الصغار الذين أبدوا ثقة كبيرة بوالديهم حققوا تكيفاً أفضل من أندادهم ضعيفي الثقة ، وذلك عندما حدد التكيف بالخضوع ، والاستقرار العاطفي ، وسمات الطبع المستحسنة والطاعة في المدرسة . واستخلص « تين » من دراسته أن الناشئ الواثق بوالديه أميل لأن يكون خضوعياً من نظيره المتشكك بوالديه . كما وجد أن معظم المتمردين والثوار في المدرسة قد تحدروا من أسر تغلب فيها علاقات الشك بين الوالدين .

إن المسار النمائي السليم للناشئ يتطلب منه أن يجد من يثق به . إلا أن أقرباء الناشئ قد لا يكونون قادرين على فهم مصاعب المراهقة والنجاح في حلها والتصدي لها . فلا بد أن يكون من يثق به المراهق شخصاً قادراً على التعاطف مع الآخرين ، وكسب احترامهم وثقتهم . وعلى الأهل أن يعملوا ، ومهما كانت الظروف ، على تعزيز ثقة أبنائهم بهم ، هذه الثقة التي تعد ضرورية للثقة بالآخرين في المجتمع الكبير والتعايش معهم .

فطام المراهق وخروجه

إذا كان مهماً لطفل الأمس أن يفطم من اتكاليته العضوية على ثدي الأم ، فمن المهم أيضاً لمراهق اليوم أن يفطم من اتكاليته النفسية والعاطفية على والديه . **ويسمى الفطام النفسي الأخير بالخروج** ، وهو من المهام الصعبة

التحقيق سواءً بالنسبة للآباء أو للأبناء . فمن الأبناء من لا يرغب في الفطام والتخلي عن اتكاليته السابقة ، **ومن الآباء من لم يفطم بعد ، فبقي في رشده يتكل على الدعم العاطفي للراشدين الآخرين ، ويسعى إلى جذب انتباههم واستحسانهم** ، ومن لم يفطم من الآباء فهو عاجز في كل الأحوال عن مجابهة مشكلة فطام ابنه وتحوله إلى شخصية مستقلة قادرة على اتخاذ القرارات الصعبة عند تعرضها للمآزق والمشكلات .

ولا بد من الإشارة إلى أن **الفطام يختلف اختلافاً كبيراً عن الثورة والتمرد** . فالثورة والتمرد على الوالدين لا يستتبعان بالضرورة فطام الناشئة وتخليهم عن اتكاليتهم السابقة . وقد يثور الناشئة ممن لم يفطموا بعد ، ويتمردون على والديهم ويفعلون نقيض ما يعتقدون أن والديهم يرغبون منهم أن يفعلوه بهدف التعبير عن رفضهم لتسلط الوالدين وغضبهم منهم . ومن يثور ليغضب والديه ليس رجلاً استقلالياً على الإطلاق .

إن الفطام ليس خروجاً نهائياً عن الوالدين ، وقد وجد **شيرمان** (١٩٤٦ م) أن فئة كبيرة من عينته التي تخطت الأربعة آلاف طالب جامعي كانت تسعى إلى معونة الأهل وتضحياتهم ، وكانت تغلب عليها الأحلام النهارية « بالرجوع إلى البيت » .

وعلى العموم يبدو أن مدى تحقيق المراهق « لخروجه » يتوقف على تعريفنا للخروج ، إذ يمكن تضبيق معايير « الحرية » وتحديد مصير الذات إلى درجة تبقي معها غالبية الراشدين « غير خارجة » .

ولا شك أن في البيئة الاجتماعية العديد من المصاعب التي تعيق تحقيق خروج كامل . ولا نستطيع التأكيد أن من ألفته الظروف المادية تحت سلطان والديه « لم يخرج بعد » ، أو أن من مكنته الظروف من الاستقلال المادي قد حقق أعلى درجات « خروجه » ، فالخروج الحق يتمثل **بالاستقلالية والقدرة على اتخاذ القرارات وتحمل المسؤولية ، وليس هو ثورة على الوالدين أو فعلاً تشوبه مشاعر الإثم والندم ، ويتعارض مع المعايير والقيم الاجتماعية . وعلى الوالدين أنفسهم أن يعملوا على تنمية الاتجاهات الاستقلالية لدى أبنائهم لكي يتمكن هؤلاء من الخروج إلى ساحة المجتمع الكبير ومجابهة المشكلات التي تعترضهم بصلابة وحزم .**

مصاعب الأهل « في خروج » الناشئ

لا يعد « **الخروج** » مشكلة للمراهق فحسب ، بل إنه يؤدي إلى قلق الوالدين أيضاً . فمن العسير على الوالدين ترك الطفل يخرج وحده ويختار طريقه في الحياة بعد سنوات من السيطرة بدأت بالرضاعة . ومن المعلوم أن عادة الأهل في مراقبة الناشئ قوية عميقة الجذور ، ولا يقوى الأهل على مغالبتها إن هم **لم يفكوا تدريجياً القيود التي وضعوها على الناشئ بحيث يتدرج في تحقيق الحرية والتوجه الذاتي .**

وتعمل ظروف الوالدين الشخصية على زيادة مصاعبها في تقبل خروج الناشئ . فالأم التي كرست كل وجودها لولدها الوحيد ، ينتابها القلق عندما تشعر أنها فقدت رسالتها في هذه الحياة . والوالد الذي حقق أسمى لذاته في تنشئة ولده يضطرب عندما ينطلق هذا الأخير في دربه وحيداً . وهذا الأمر نفسه يصح على الوالد الذي يلاحقه شعور مرير بالإثم لاعتقاده أنه كان مقصراً تجاه ولده ولم يتمكن من تلبية مطالبه .

ومن المؤكد أن الوالدين اللذين اعتادا أن يتلقيا الدعم العاطفي من ولدهما ، ستسوء حالهما كثيراً من جراء خروجه ، وسيتعرضان للضياع والتمزق بعد أن فقدا « **أملهما الوحيد** » في هذه الحياة .

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن من الوالدين من يحس بتدهور شبابه إزاء تفتح شباب ابنه فيأكل الحسد قلبه دون أن يجرؤ على التصريح بذلك . وفي هذه الحالة يؤدي خروج الولد عن إرادة والده وخضوعه لإرادة الشريك من الجنس الآخر (زوجته) إلى ازدياد خيبة الوالد بولده .

أساليب الوالدين في الإبقاء على تسلطهم

في متناول الوالد الذي يرفض خروج ولده الكثير من الأساليب التي تفيد في إبقاء « قبضته » عليه . ومن هذه الأساليب نذكر ما يلي :

(١) استجداء الوالد ولاء ابنه وشهامته ، ويتمثل الاستجداء بقول الوالد « **لقد فعلت الكثير من أجلك ، ضحيت بحياتي في سبيلك ، فعليك أن تبقى إلى جانبي تساعدني** » .

(٢) التقليل من قدرة الناشئ وإضعاف ثقته بنفسه ، الأمر الذي يجره إلى الإحساس بالقصور والقعود متكلاً على الوالد .

(٣) اللجوء إلى كسب عطف الولد بادعاء العجز والوحدة .

(٤) رشوة الولد بالإغداق عليه إن هو بقي إلى جانب والديه في البيت .

وعلى العموم قد تكون تلك الأفعال حكيمة ومفيدة أحياناً للوالد والناشئ معاً ، لكن جودة تلك الأفعال ومردودها على الناشئ لا توازيان قدراً ضئيلاً من الدمار الذي يعيق بشخصيته النامية .

وفي جعبة الوالدين أساليب أخرى لمساعدة الناشئ على الفطام وشق دربه النمائي الاستقلالي الفريد والمميز له . إلا أن الكثير من الآباء يخدعون من نزعة الولد إلى الاستقلالية ويعجزون عن رؤية الرضا والطمأنينة المصاحبة لنضج الناشئ وتمتعه بذاته النامية . وربما أدى تبصير الوالدين بالمحرضات اللاشعورية التي تدفعهم إلى التمسك بتسلطهم على أولادهم إلى استخدام ما عندهم من أساليب لإطلاق الناشئ لتحقيق ذاته . ولا شك أن هذه المهمة صعبة للغاية ، وقد يعجز الوالدان عن تحقيقها دون مساعدة المحلل النفسي .

ماذا يحب المراهقون أو يكرهون في أهلهم ؟

لا تختلف الصفات التي يحبها المراهق في والديه عن نظيرتها التي أحبها فيهم في عمر مبكر . فالمراهق يحب أن يتقبله والده كما هو ، وأن يعامله بعدل ويحترم شخصيته المستقلة . وعلى الرغم من تشعب اهتمامات المراهق خارج المنزل ، وتعدد خططه المستقبلية والخاصة ، فإنه يتلهف إلى المناسبات التي يستطيع فيها أن يؤكد ولاءه العائلي ويحققه بشكل حي مشخص ، كالمشاركة في الاحتفالات العائلية وتبادل الهدايا مع أفراد الأسرة وغيرها .

إلا أن المراهق قد يرفض أموراً كثيرة في أهله . وقد أشار « **بلوك** » (١٩٣٧ م) في دراسته التي تناولت الصراع بين المراهقين وأمهاتهم ، إلى أن ٦٠٪ **من المراهقين قد اعترضوا ، أو كرهوا في الأم ما يلي :**

(١) تأنيبها الولد لعدم مراعاته آداب المائدة ، (٢) انتقادها للعادات الشخصية ، (٣) مقارنتها أحد الإخوة بالآخر ودعوته إلى التشبه به ،

(٤) متابعة نتائج امتحانات ولدها وتوبيخه بسبب علاماته المنخفضة، (٥) اعتراضها على المسيرات الليلية مع الزملاء، (٦) تدخلها في الشؤون المالية لولدها، (٧) إكراهها الولد على تناول أطعمة لا يحبها.

هذا بالإضافة إلى صراعات أخرى تتعلق بتدخل الأم في اختيار مهنة الناشئ، وإصرارها على متابعته دراسته.

ومن الطريف أن دراسة «بلوك» قد أظهرت أن تذمر الفتيات من الأمهات فاق تذمر الفتيان. فبالإضافة إلى النواحي المذكورة تذمرت الفتيات من تدخل الأم في طريقة لباسهن وفي علاقاتهن الشخصية مع الأصدقاء والصديقات. وقد وجد «**كونور**» ورفاقه (١٩٥٤م) أن أغلب صراعات المراهقات مع أمهاتهن دارت حول شريك الحياة.

تشير الدراسات السابقة إلى ميل الأمهات للاهتمام بمشاكل البنات أكثر من اهتمامهن بمشاكل الصبيان. وربما رجع قلق الأمهات على بناتهن إلى خوفهن من عجز الفتيات عن اختيار الزوج الملائم. وعلى العموم **لا تبدي الأمهات ثقة كبيرة ببناتهن، ولا بقدرتهن على تحمل مسؤوليات ذواتهن بحرية.**

أثر اتجاهات المراهق نحو والديه

تتأثر اتجاهات المراهق نحو معلميه وغيرهم ممن هم في موقع السلطة باتجاهاته من والديه. وفي حالات كثيرة قد يسقط المعلم الذكر في دور الأب، والأنثى في دور الأم. وعلى العموم تنعكس في استجابة المراهق لرجل السلطة اتجاهاته نحو أهله على الرغم من أن سلوكه قد يناقض الاتجاهات المذكورة. **فيبدو الصبي، الذي اعتاد طاعة والده وإخفاء مشاعر العصيان ضده، جريئاً أمام معلمه بحيث يعصيه ويتمرد عليه.** وعصيان المراهق المشار إليه لا مسوغ له إن لم يكن في سلوك الراشد أو فيما يفعله ما يدعو إلى العصيان.

ولا بد من الإشارة إلى أن المراهق يجهل عادة أن إدراكه للراشد يتأثر تأثراً كبيراً بإدراكه لوالده، ويجهل بالتالي تشوه مشاعره نحو ذلك الراشد أو تلونها بألوان اتجاهاته من والده. ويبدو أن في كل علاقة مع الآخرين تحولا للمشاعر والاتجاهات من موقع سابق إلى موقع راهن، بحيث يعكس الموقع الراهن بعض ملامح الموقع السابق.

وقد يجد المراهق نفسه مع أناس يحس أنهم يتقبلونه أو يرفضونه، يمدحونه أو يلومونه، يتسلطون عليه أو يتسامحون معه دونما محاولة منهم للرفض والتقبل والمديح والذم والتسلط والتسامح. فكأن الأمر بجملته مجرد إحساس ظاهر عند المراهق، إحساس قد لا يكون له أي أساس من الصحة.

إن الحقيقة الثابتة بصدد علاقة المراهق بالراشدين هي أنها تطفح بالمشاعر والاتجاهات التي يحملها نحو والديه وتنطبع بطابعها. ومن الطبيعي، تبعاً لذلك، أن تتحدد استجابات المراهق لمعلميه وغيرهم من ذوي السلطة باستجاباته لوالديه. فإن كان المراهق في عملية البحث عن استقلاليته، ودياً واقعياً نحو أهله، عامل ذوي السلطة بضرب من الواقعية، وبدا دافئاً حيادياً، أما إن احتفظت علاقته بوالديه بالكثير من الاتكالية، والجزع، والكراهية، والعدوانية، والتمرد، كان من الصعب عليه أن يكون واقعياً مع ذوي السلطة الراشدين، بصرف النظر عن سلوكهم نحوه، أو اتجاهاتهم منه. فمن الواضح أن مصاعب المراهقين مع أهلهم تلحقهم إلى رشدهم. وهذه الحقيقة الهامة لا بد أن يعيها الأهل جيداً أثناء تنشئتهم لولدهم ووضعه على مفترق طريق الحياة.

● ثانياً: المراهق في المدرسة

مما لا شك فيه أن للمدرسة تأثيراً قوياً في تشكيل مفهوم المراهق عن ذاته و«**عمن هو**» و«**من سيكون**». فمنذ السنة السادسة من العمر توفر المدرسة للناشئ فرصاً لاختبار قواه واكتشاف قدراته وجوانب عجزه وقصوره. وفي المدرسة قد يتعرض الناشئ للفشل أو النجاح، وقد يتقبل شخصيته كما هي، أو يرفضها برغم ما لها من خصال وسمات. ولا شك أن **نتائج العمل المدرسي تنعكس على مجمل حياة الناشئ**، وقد تجعله يشعر بالاعتزاز بنمو قدراته ومهاراته، كما قد تعرفه على مرارة الهزيمة، وتخلق لديه إحساساً بالخجل من نفسه ومن الآخرين لعجزه عن استغلال فرص العمل المتاحة له في المدرسة.

وليس الراشد هو الذي يسقط المدرسة في الدور الفعال المشار إليه. بل إن الناشئة أنفسهم يعرفون دور المدرسة ويقدرون أثره في حياتهم. وقد وجد «**جيرسيلد**» (١٩٥٥م) أن التلاميذ بدءاً من الصفوف الابتدائية الأولى، وانتهاء بالجامعة، يشيرون باهتمام بالغ إلى عملهم المدرسي، ويعدون تقدمهم أو تخلفهم في هذا العمل أمراً حيوياً ومصيرياً بالنسبة لهم.

ومن الطريف أن أبناء الصف الثالث الابتدائي لم يختلفوا عن طلاب الجامعة في الإشارة إلى ما يحبون أو يكرهون في أنفسهم في إطار المدرسة والعمل المدرسي. واختلفت نسب طلاب الجامعة اختلافاً قليلاً وغير ذي دلالة عن نظرائهم من تلاميذ المرحلتين الإعدادية والثانوية في النواحي المشار إليها.

ينظر أغلب الناشئة إلى المدرسة بوصفها مكاناً يذكرهم بصورة مزعجة بنقاط ضعفهم. وإنه لمن المستحيل ترتيب الأمور في المدرسة بحيث يتجنب الناشئة الفشل، وبحيث تكون المدرسة مكاناً مفرحاً لكل الناس في جميع الأحيان. فمتطلبات المدرسة بعض من وقائع الحياة التي يتوجب على المرء مواجهتها. إلا أن المرء يستطيع أن يسأل بكثير من الجدية عن جدوى حشر أعداد كبيرة من الناس، سنة بعد أخرى، في مواقف يسيطر عليها المعلمون والإداريون ويعرفون مسبقاً بفشل الناس، وبعجزهم عن الإفادة من الفشل، ووقوعهم ضحيته مرة إثر مرة.

المستوى الذهني لطلبة الثانوية

بدأ الشباب في العقود القليلة الماضية، وعلى الخصوص منذ عام ١٩٤٥م، دخول المدرسة بأعداد تتزايد عاماً بعد عام، وقلّت، في الوقت نفسه، نسبة المتسربين من المدرسة قبل نهاية المرحلة الثانوية. والمجتمع الطلابي، الذي أصبح يضم الآن أعداداً هائلة من الطلاب، يعكس إلى حد كبير، بنية المجتمع الأصلي ويكاد يكون عينة ممثلة له.

فهل صاحب تزايد عدد الطلاب في المدرسة تناقص في متوسط القدرة العقلية؟

إن أغلب الدراسات تنفي الشكوك التي يطرحها السؤال السابق، إذ لم يظهر أي تدن في مستوى القدرة العقلية للطلاب وخاصة في المرحلة الثانوية. وثبات مستوى القدرة العقلية للطالب الثانوي يحيّر الباحثين خاصة وأن المدرسة تضم

طلاباً من كل مستويات الذكاء .

ويشير بعض الباحثين في هذا الصدد إلى أن الدراسات السابقة لا يمكن التعويل عليها بصورة كلية على اعتبار أنها لم تقم على تعيين عشوائي لكل طلبة المدارس في أمريكا وأوروبا والشرق العربي . . إلا أن «**فينش**» يؤكد صحة نتائج الدراسات السابقة ، ويرجع ثبات متوسط الذكاء **إلى تحسن الوسط المحيط بالمدرسة ، وإلى ألفة تلاميذ اليوم بالاختبارات وشدة دافعيتهم للنجاح .**

وعلى أية حال يشير ثبات مستوى الذكاء والتحصيل ، على الرغم من الزيادة الهائلة في عدد متعلمي اليوم ، إلى قيام احتياطي عقلي هائل في السكان تعمل المدرسة والتعليم على شحذه وتقويته . وما على الأمة إن أرادت رفع مستوياتها العلمية والاقتصادية إلا أن تخرج احتياطها العقلي إلى النور وتتعهده بالرعاية . فلقد أصبحت مسألة استغلال الثروة العقلية القومية ، بهدف تحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي المنشود ، واحدة من أهم وأبرز الحقائق في عصرنا .

الأخلاقية المدرسية للمراهق

يرى المرء عند معاينته للمدرسة الحديثة الكثير من الجوانب المشرقة والأمور الباعثة على الاعتزاز بالناشئة ، إلى جانب الكثير من الجوانب المعتمة التي تفرض مجابهتها بواقعية . **فمن الجانب المشرق ، هناك آلاف المراهقين الذين يجدون متعة كبيرة في المدرسة ويعدون العمل المدرسي واجباً مقدساً ، ويستغلون أوقاتهم جيداً فيها بمعونة آلاف المعلمين القادرين الذين يضحون بوجودهم في سبيل تنشئة الأجيال** . إلا أن الأعداد الضخمة المتدفقة إلى المدرسة الثانوية تفرض عليها أن تحاول الاستجابة لفروق ضخمة في القابليات العقلية ولفروق مماثلة في سمات الشخصية . وعلى المدرسة الحديثة أن تعمل ، في الوقت نفسه ، على تشجيع فئة كبيرة من التلاميذ تُقسر على دخول المدرسة استجابة لرغبة الأهل .

ومن المعلوم **أن التلميذ المكره على دخول المدرسة شخص شقي ، وقد يسبب الشقاء لمعلمه** ، وخاصة إذا عجز هذا الأخير عن تكوين دوافع التحصيل لدى تلميذه . ويتصاعد التوتر من تلميذ أكره على دخول المدرسة إلى معلم أكره على تعليم تلميذ لا يرغب في التعلم . وتبقى الدائرة في حركتها الآثمة .

ولا بد من الإشارة إلى أن الأدلة العلمية المتوفرة تجمع على تدهور الأخلاقية المدرسية للتلميذ بانتقاله من الصفوف الابتدائية إلى الثانوية . ويغدو التلميذ المتقدم في صفوفه الدراسية أقل تلهفاً للأعمال المدرسية وأكثر ميلاً للتذمر ، وأكثر اهتماماً بفترات الراحة والألعاب والرياضة منه بالمدرسة والعمل المدرسي . ويبدي تلميذ الثانوية كرهاً للمعلم يفوق نظيره لدى تلميذ الابتدائية . ويمتد كره المدرسة إلى كل الفعاليات المرتبطة بها .

وليس عجيباً أن يكره المراهق المدرسة لعجزها عن تقبل الكثير من ميوله واهتماماته الصاعدة ، وأن يلجأ إلى التعبير عن تلك الميول والاهتمامات خارج جدران المدرسة . ولا شك أن المراهقة باعتبارها جسر الانتقال من الطفولة إلى الشباب **هي مرحلة نقدية حرجة ومشحونة بالمصاعب والأزمات** التي ترافق عملية تأكيد الذات في عالم الآخرين ، خلافاً للطفولة التي تتسم بأنها **مرحلة تقبلية خضوعية تلقفية** . ثم إن مطالب وفعاليات المدرسة الثانوية تتخطى كثيراً مطالب المدرسة الابتدائية ، وتذكّر الناشئ بالوقائع المؤلمة في حياته والمتمثلة في اختياراته المهنية ، والدراسية ، والاجتماعية ، وفي تصوراته العقلية والمادية .

وعلى العموم ، فإن المدرسة الثانوية ببرامجها التي قد تعجز عن إرضاء اهتمامات المراهق ومعلميها وإدارييها العاملين في إطار الأنظمة المدرسية الراهنة ، تفتقد إلى قيادة المراهق إلى رؤية المعاني والقيم الكامنة في «ما» يتعلم ، ولا تمكنه ، بصورة كافية ، من استخدام معارفه المكتسبة على أرض الواقع ، مما يبقيه عاجزاً عن مجابهة مشكلات حياته الواقعية ، المهنية والشخصية .

لقد دلت إحدى الدراسات على أن ٨٧٪ من التلاميذ أكدوا أن ما يرغبون في تعلمه **هو مواد تفيد في تنمية الذات ، وفي الإعداد للمهنة ، وألحوا على ضرورة اشتراك المعلمين في دراسة مشكلاتهم والتعرف على مصاعبهم المدرسية والعامة** . ومن الواضح أن التلميذ الذي يعاني من كراهية المدرسة يبحث عن شيء لا يجده فيها .

والنتيجة المستخلصة مما سبق هي أن نقطتي الضعف البارزتين في المدرسة الثانوية هما المنهاج القائم على تعليم المواد التقليدية التي تعجز عن مس الوجود الإنساني بصورة كافية ، والمعلم العاجز عن فهم المراهق وحاجاته وصعوباته في التكيف . وتبعاً لذلك فسيكون من الضروري بمكان **العمل على رفع مستوى الكفاية التربوية للمعلمين وتحسين المناهج المدرسية وتكييفها لاهتمامات المتعلمين المتنوعة .**

التسرب المدرسي

يشير الكثير من الباحثين إلى ارتباط ظاهرة «**التسرب المدرسي**» **بانحطاط القدرة العقلية العامة** ، ويعولون على معامل الذكاء المنخفض بوصفه واحداً من العوامل الهامة في ترك المراهق للمدرسة قبل تخرجه منها . غير أن انخفاض معامل الذكاء ـ على الرغم من أهميته الظاهرة ـ لا يشكل العامل الحاسم في هجرة المراهق للمدرسة . والكثير من المراهقين يهجر المدرسة للعمل ، أو لعجزه عن توفير المال اللازم لإكمال المدرسة ، أو لإعالة أسرته .

ومن الطريف أن «**سميث**» (١٩٤٤ م) يرفض الأخذ بما يعتقده الولد نفسه سبباً لترك المدرسة . وحجته في ذلك هي أن لأغلب تاركي المدرسة **تاريخاً طويلاً من الفشل المتلاحق** ، كما توحي سجلاتهم المدرسية بانعدام «المحرض للعمل المدرسي» في المنزل . ويضيف «**هيكر**» (١٩٥٣ م) معاناة تاركي المدرسة من العجز عن متابعة الفعاليات المدرسية والإضافية في المدرسة لفترة طويلة قبل تركها . ويلح «هيكر» على ارتباط ظاهرة التسرب المدرسي بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للتلاميذ على اعتبار أن **أكثر تاركي المدرسة من الفقراء .**

وبهدف تحديد دور «**الضعف في القراءة**» **في التسرب المدرسي** درس «**بينتي**» (١٩٥٦ م) عينة مؤلفة من ستمائة من تلاميذ الصف العاشر الذين كانوا ضعفاء في القراءة . وقد وجد الباحث أن **نصف هؤلاء هجر المدرسة** . مقابل ذلك فإن عينة مناظرة من الأقوياء في القراءة قد أكملوا جميعهم المدرسة . ويرجع السبب في ذلك في نظر «بينتي» إلى أن كون المراهق ضعيفاً في القراءة يجعله محط رفض معلميه مما يزيد في كراهيته للعمل المدرسي ويدفعه إلى ترك المدرسة .

ومما يلفت النظر في دراسة «بينتي» أنه لم يجد فرقاً بين ذكاء ضعفاء القراءة الذين هجروا المدرسة

وبين ذكاء نظرائهم الضعفاء في القراءة الذين تابعوا المدرسة حتى تخرجهم منها . إلا أن الضعفاء في القراءة الذين هجروا المدرسة كانوا أقل تقبلاً لذواتهم من نظرائهم الذين تخرجوا ، وكانوا يشعرون بالقصور والخجل في الصف . ولقد ذكر الضعفاء في القراءة الذين أصروا على التخرج أن ما دفعهم إلى الاستمرار في المدرسة إنما هو **رغبة شخصية قوية في التخرج ، واهتماماتهم الخاصة بمساق درسي معين وبالرياضة والفعاليات الأخرى التي توفرها المدرسة ،** هذا بالإضافة إلى **رغبتهم في الحصول على مهنة جيدة ،** وتلهفهم للبقاء مع بقية الناشئة ومساعدة المعلمين والمستشارين النفسيين لهم .

ولا بد من الإشارة إلى أن دراسة « بينتي » أبرزت دور الأسرة في الحد من ظاهرة التسرب المدرسي . فقد كان لاتجاهات الأسرة أثر كبير في استمرار الضعفاء في القراءة في المدرسة . وكانت أغلب أسر أولئك الضعفاء على درجة متوسطة أو عالية من الثقافة وعلى قدر لا بأس به من الاستقرار النفسي والمالي ، وفي موقع يمكنها من توفير التشجيع والدعم الخلقي للأبناء . من جهة ثانية ، فإن تفهم معلمي الصف لضعفاء القراءة الذين أنهوا دراستهم لعب دوراً حاسماً . فلقد ساعد تقبل المعلمين لأولئك البائسين على مجابهة نقاط ضعفهم وتطوير ما لديهم من إمكانات متواضعة . وكان الدعم الودي من جانب المعلمين أو الزملاء عاملاً حاسماً في حياة العديد من المراهقين الذين صمدوا بالرغم من مصاعبهم الخطيرة .

صفات المعلم الجيد

ليست لدينا فكرة واضحة عن صفات المعلم الجيد ولا عن كيفية صناعة مثل هذا المعلم . ولا يختلف أمرنا هنا عن أمر من يحاول وصف الطبيب الجيد أو القاضي ، إذ إن كل ما يستطيعه المرء في هذا الصدد هو أن يسأل المعنيين تعداد ما يعتقدونه ضرورياً للقاضي أو الطبيب أو المعلم الجيد .

لقد خلص « **سيموندز** » (١٩٥٥م) إلى أن المعلم الرفيع **هو من يستطيع حب الأطفال** . وتوصلت معظم الدراسات إلى تأكيد الملاحظة المذكورة ووجدت ترابطاً قوياً بين حب المعلم لتلاميذه ، وبين حبه لنفسه واعتباره لها . وبدا المعلم الرفيع في دراسة « سيموندز » مفعم الإحساس بالأمن والثقة بالذات ، وتكشفت مقومات شخصيته في تناسق منتظم . وأكد « **دودج** » (١٩٤٣م) ، في دراسة مفصلة ، أن المعلم الناجح أبدى في استبيان الشخصية ارتياحاً في العلاقات الاجتماعية وإرادة في تحمل المسؤولية ، كما كان أقل تعرضاً للخوف والجزع وأكثر استجابة لآراء الآخرين ، وأبطأ في اتخاذ القرارات من المعلم الأقل نجاحاً منه .

ولا شك أن لكل من الصفات السابقة أهميتها وضرورتها في تقويم المعلم الناجح ، إلا أن كل معلم ناجح يجمع قدراً من كل منها بنسب خاصة به . ثم إن نجاح المعلم لا يتوقف عليه وحده ، بل على ميزات من يعلمهم . فالتلميذ المجتهد المتحمس لدراسته **يتقبل ، بدفء تام ، معلماً « يعرف مادته ويتغلغل فيها بسهولة »** ، على الرغم من أنه قد لا يعيره اهتماماً كبيراً في المواقف التي لا علاقة لها بالصف والتعليم . **وتشير أغلب الدراسات إلى أن المعلم الجيد في نظر التلاميذ يجب أن يتمتع بالصفات التالية :**

(١) الصفات الشخصية : لطيف ، صادق ، متواضع ، مرح ، متعاطف مع الآخرين .

(٢) الصفات الانضباطية : متقيد بالنظام ، عادل ، موضوعي ، لا يحابي ، صارم .

(٣) الصفات الإنتاجية : يثير الاهتمام بالأشياء ، يعرف كثيراً ، يشرح جيداً ، يساعد الأفراد في دروسهم ، يعين التلاميذ على الإفصاح عن آرائهم ، دؤوب على العمل .

(٤) الصفات الترويحية : المشاركة في الألعاب .

(٥) الصفات الجسمية : المظهر الخارجي ، الزينة ، الصوت .

ليس من الصعب على المرء أن يلاحظ ، من خلال استعراض لائحة الصفات السابقة ، أن المعلم الجيد هو قبل كل شيء شخص متعاطف إلى أبعد حد مع تلاميذه ، ومن الواضح أن المعلم الجيد هو الذي يتقبل تلاميذه كما هم عليه بدلا من أن يسقط عليهم مجموعة من أحكام القيم المسبقة . ولا يعني التقبل المؤقت للناشئة على ما هم عليه الإذعان للواقع بمعزل عن القيم . بل إن التقبل ، في جوهره ، محاولة لتبصير الناشئ بذاته على أمل أن يدرك هو نفسه المسافة الفاصلة بينه وبين تلك القيم ، وينطلق ليتجاوز تلك المسافة ويحقق تلك القيم .

ويلزم المعلم لتقبل الناشئ كما هو وتبصيره بما هو عليه ، قدر كبير من العفوية والثقة بالذات التي تتيح له أن يبقى كائناً مفكراً لا يخشى أن يترك الآخرين ينطلقون لتحقيق ذواتهم . بالإضافة إلى ذلك يتسم المعلم الناجح بأنه شخص متواضع ، والتواضع صفة متأصلة عند القوي ويفتقدها الضعيف . ولتواضع المعلم ضرب من معاني « العجب » الذي يلازم المكتشفين العظام عندما يحسون بضآلة ما يعرفون عن واقع فسيح عميق مجهول . فالمعلم المتواضع يتعرف على ناشئته ويحس أن أمامه الكثير ليعرف . فتراه ينصت ويجمع الأدلة ويعدل مواقفه ويطور معارفه وثقافته دون أن يشعر أن ذلك يسيء إليه أو ينتقص من قيمته . ولا نضيف شيئاً إذا قررنا أن المعلم المتواضع يتبع منظومة قيمه وآرائه ومعتقداته النابعة من ذاته . إنه متواضع عن ترو ، وباستقلالية تامة .

وأخيراً فإن الحقيقة الثابتة بصدد المعلم الجيد هي أنه قبل كل شيء إنسان جيد وقادر على التأثير بصورة بناءة في حياة الناشئة . ومن الطبيعي ، تبعاً لذلك ، أن يؤدي المعلم الجيد دوره في توجيه المسار النمائي للناشئ ويساعده على اكتشاف قدراته العقلية وتحقيقها . هذا بالإضافة إلى مساعدة الناشئ على الصمود أمام صعوباته الخاصة في التكيف ، وعلى مواجهة الاتجاهات الشاذة والعادات المدمرة وغيرها من المعوقات التي تعرقل صيرورته كائناً سوياً وشخصية نامية .

المصادر

1- Block, V.L., 1937, «Conflicts of Adolescents with Their Mothers», Journal of Abnormal and Social psychology, 32, 193-206.

2- Connor, R., T.B. Johnnis, Jr., and J. Walters, 1954, «Parent-Adolescent Relationships». J. Parent-Adolescent Conflicts: «Current and Retrospect», Journal of Home Economics, 46, 183-186.

3- Dodge, A.F., 1943, «What are the Personality Traits of the Successful Teacher?» Journal of Applied Psychology, 27, 325-337.

4- Jersild, A.T., 1955, When Teachers Face Themselves. New York: Bureau of Publications, Teachers College, Columbia University.

5- Penty, R.C., 1956, Reading Ability and High School Dropouts. New York: Bureau of Publiations, Teachers College, Columbia University.

6- Sherman, A.W., Jr., 1946, «Emancipation Status of College Students», Journal of General Psychology, 68, 171-180.

7- Symonds, P.M., 1955, «Characteristics of the Effective Teacher Based on Pupil Evaluations», Journal of Experimental Education, 23, No. 4, 289-310.

شراعات

شعر: فاطمة حداد

مرهفات جزن الهوى والرغابا
وارتقين المدى يغرن السحابا

عاشقات الأرواح والروح سر
حيّر الفكرَ والنهى والصوابا

سافرات القلوب يحجبن لكن
كل حرفٍ منهن شفَّ الحجابا

إي لعمري وما الذبول فناء
لزهور منها العبير استطابا

ما غفا العندليبُ إلا استفاقت
تتولى الأصداءُ عنه الربابا

يصدحُ الطيرُ والصدى عنه يروي
ويرد الملأ هناك الجوابا

إي بني الشعر والخلود التزام
فاستجيبوا لمن إلينا استجابا

ولنهبه من التراث عيوناً
صافيات الشراب تروي اللبابا

إي بني الشعر كل شيء لدينا
هو حي ينسابُ فينا انسيابا

نحن روحٌ والكل ينبضُ فيها
يا جناحاً ضم العِدى والصحابا

وشراعاً خضمه انداح ورداً
وشعاعاً في وهجه الشط غابا

قد ركبنا الخضمَّ نرقى الأماني
وامتطينا الرياحَ نعلو السحابا

واجتنينا من اليباب المجاني
واعتصرنا من السراب الشرّابا

وفَجّرنا من الضِرام السواقي
وابتدعنا من المَشيْبِ الشبابا

أصحيح يفنى الشبابُ بروح
تغزل الحبَّ والصبا والرغابا

تنسجُ العمرَ كيف شاءت وتحيي
بابتساماتها الأماني العِذابا

عزة الروح شاعري أن تُنَقَّى
من جمود أعيا الوَرَى وأعابا

لا على الطبع سيرنا وهوانا
كم بنى الطبعُ للتطبع بابا

بابتداع الأهواء تبق جديداً
فتجدد وجدد الأسبابا

كيّف النفسَ والفؤادَ وروّض
برقي الترويض نرقى الصوابا

ليس للحب وحده نتغنى
كل شيء بجدة النفس طابا

دم صبيًّا ما دام ينبض قلبٌ
بك حي لو قيل عنك: تصابى

وتحرر من القديم وعوّد
أُذْنك اللوم ما بغوا والعتابا

وليكن عالم لمجدك يأبى
أن يحب التقليد أو أن يُحابى

لا تقل لي شيخوخة وشباب
ذلك وهم كشفت عنه النقابا

لا تقل لي عن المشيب فحسبي
كم محبٍ من لوعة الوجد شابا

كم عجوز على الشبيبة يحيا
وفتى عن الشباب تغابى

وضعيف على التفاؤل يقوى
وقوي من عتمة السؤم خابا

رب ميت في الأرض حي وحي
ميت في الحياة يحيا سرابا

لا تكن عالة بأرضك تخبو
كن شعاعاً شقَّ الوجودَ التهابا

وتوهَّج تفتحاً واخضراراً
وتفجَّر تدفقاً وانصبابا

وابلغ الأوجَ مغنماً ومنالا
واغلب الحظَ والمرامَ غلابا

عامل في الحياة خير وأبقى
من ألوف عن الهدى تتغابى

مستحيل ترضي القوي مستحيلا
وحرامٌ في الأرض نَحيا هبابا

ميت في الحياة من ليس يبني
وخراب من ليس يحيي الخوابا

وجماد من لا يثير جماداً
وسجين من لا يعي الأبوابا

قلد الطير شدوه وصباه
ما عرفنا في الطير إلا الشبابا

وادرك الفجرَ صحوَه وسناه
واحجب الليل شعلة وشهابا

سابق النهر مورداً وعطاءً
واخرق البحر ثورةً وعبابا

وتعلم جريِ الغزال وراقب
كم سعى النحل واستمر ولابا

كم زها الورد بالربيع ولكن
كان أزهى ما بالخريف أجابا

كل فصل له زهورٌ ومنها
دائم الجود كلما طال طابا

هكذا الروض بالتقادم يحلو
وكذلك الحياة فيمن أصابا

فازرع النور في الحياة لتجني
كل فصل من قطفه ما استطابا

موسم الأرض كل عام يفينا
فلنكن مثله نوفي الحسابا

ولنعوض لمن على الأرض مما
نفحتنا مواهباً واكتسابا

نغدق الخير حيثما شاء يروي
رب ري لنبعه الأصل ثابا

السيولة الدولية وحقوق السحب الخاصة

بقلم: د. إلياس حداد

أولا: السيولة الدولية

يقصد بالسيولة الدولية الحجم المعروض من الاحتياطات سواء كان ذهباً أو عملات دولية أساسية قابلة للتحويل، فضلاً عن التسهيلات المتاحة لاقتراض مثل هذه العملات[1].

وطبقاً لهذا التعريف يمكن تقسيم العناصر المكونة للسيولة الدولية إلى قسمين رئيسيين:

(١) الاحتياطات الدولية.

(٢) تسهيلات الاقتراض الدولي.

فالاحتياطات الدولية تعتبر القسم الأهم والأكثر شيوعاً لمكونات السيولة الدولية وهي تشمل:

(أ) **الذهب**، والمقصود بالذهب هنا الذهب النقدي الذي تستخدمه الدول كاحتياطي لها أو كجزء من رصيدها لدى **صندوق النقد الدولي**. لكن إذا كان هذا العنصر قد لعب دوراً مهماً في هذا المجال في الماضي، فإن دوره قد تضاءل في الفترة الأخيرة.

(ب) **العملات الارتكازية الدولية القابلة للتحويل** كالدولار الأميركي والجنيه الأسترليني، التي تحتفظ بها الدول الأجنبية كرصيد احتياطي لها.

(جـ) **حقوق السحب الخاصة**، وهي العنصر الذي سيكون محور دراستنا وتركيزنا في هذا البحث.

أما تسهيلات الاقتراض الدولي فتشمل:

١ ـ الاقتراض من الحكومات الأجنبية أو المؤسسات التي تمثلها كالبنوك المركزية والتي لديها فائض.

٢ ـ الاقتراض من مصادر خاصة كمصرف أوروبي أو أميركي.

٣ ـ الاقتراض من الأموال التي تودعها الدول لدى صندوق النقد الدولي.

٤ ـ الاقتراض عن طريق ما يسمى **باتفاقيات المبادلة** Swap Agreements، وطبقاً لهذا النوع من الاقتراض تقوم مجموعة من الدول بإيداع مبلغ معين لدى الصندوق الذي يقوم بدوره بإقراض هذا المبلغ كله أو بعضه للدول الأعضاء الراغبين في ذلك بعد الحصول على موافقة الدول التي أودعت المبلغ.

٥ ـ الاقتراض من صندوق النقد الدولي وفق حصص أعضائه، أي وفق ما يسمى «**بحقوق السحب العامة**» General Drawing Rights. **إن من جملة أهداف صندوق النقد الدولي تقديم تسهيلات مالية إلى الدول الأعضاء فيه لمعاونتها في التغلب على العجز المؤقت في ميزان مدفوعاتها**. لكن إذا ما أقر الصندوق حاجة إحدى الدول إلى مبلغ ما من الدولارات لإصلاح العجز لديها، فإن هذه الدولة لا تستطيع أن تحصل على أكثر من ٢٥٪ من حصتها في الصندوق في عام واحد. ومقابل حصول الدولة على هذا المبلغ يتعين عليها أن تدفع القيمة المقابلة له بعملتها الوطنية، وأن تقوم بإعادة شراء عملتها مرة أخرى (أي رد الدولارات أو أي عملة ثانية قابلة للتحويل) عند انتهاء الفترة المتفق عليها، وهي فترة تتراوح بين (٣ ـ ٥) سنوات في الأحوال العادية. ويشترط إضافة إلى ذلك ألا يؤدي ما تسحبه أي دولة عضو إلى زيادة ما يحوزه الصندوق من عملتها عن ٢٠٠٪ من قيمة

حصتها في رأسماله .

أخيراً إذا كانت عناصر السيولة الدولية المشار إليها سابقاً تتشابه كلها من حيث كونها تمثل قوة شرائية دولية تستخدم لتسوية العجز في موازين مدفوعاتها ، أو في تسوية المعاملات الدولية التي تجريها ، فإنها تختلف فيما بينها من حيث قدرة الدولة على التصرف بها . فالدولة التي تمتلك احتياطات دولية تستطيع التصرف بها دون الرجوع أو الحصول على موافقة أي جهة كانت ، لذلك يطلق على هذا النوع من السيولة بـ « **السيولة غير المشروطة** » Unconditional Liquidity .

أما القسم الثاني من السيولة الدولية المشتمل على تسهيلات الاقتراض ، فالدول لا تستطيع السحب على هذه التسهيلات إلا بعد توافر بعض الشروط المحددة وموافقة الجهات المختصة ، ولهذا يعرف هذا النوع من السيولة بـ « **السيولة المشروطة** »[٢] Conditional Liquidity .

ثانياً : حقوق السحب الخاصة

في دراستنا لحقوق السحب الخاصة سنبحث في بنود متتالية : (١) نشأتها ، (٢) طبيعتها ، (٣) استخداماتها ، (٤) إصدارها وتخصيصها ، (٥) قيمتها ، (٦) الفائدة المترتبة لحائزيها .

(١) نشأة حقوق السحب الخاصة

لقد كان واضحاً في منتصف الستينات أن العالم يشهد فترة يواجه فيها نقصاً في السيولة الدولية . فمنذ عام ١٩٥١ م ، وحتى نهاية عام ١٩٦٦ م ، ارتفع **حجم التجارة الدولية** بمقدار ١٣١ بليون دولار ، بينما لم يزد حجم السيولة الدولية بأكثر من ٢٢,٢ بليون دولار[٣] . من هنا بدا الخوف من أن يؤدي هذا النقص في السيولة إلى أن تفرض الدول ذات العجز في ميزان مدفوعاتها قيوداً نقدية وتجارية تسفر عن انكماش غير مرغوب فيه في حجم التجارة الدولية . لذلك شغل رجال الاقتصاد ، وكذلك المنظمات الدولية بإيجاد الحلول المناسبة ، لتأمين المقدرة الكافية لبلدان العالم المختلفة من الأرصدة السائلة . وإذا كانت المصادر الأساسية المتاحة في ذلك الحين لزيادة احتياطات العالم من الأصول الدولية السائلة ترتكز على عنصري الذهب والعملات الأساسية وبخاصة منها الدولار ، فإنه كان من المؤكد أن الركون إليها لا يصح لتحقيق هذا الغرض .

فالذهب لن يتهيأ له أن يلعب غير دور ثانوي في تعزيز احتياطات العالم من الأصول الدولية السائلة نظراً للتقلبات التي تطرأ على إنتاجه من جهة ، وانسياب جزء آخر من هذا الإنتاج لأغراض الصناعة أو الاكتناز من جهة أخرى .

أما **العملات الارتكازية** ومن أهمها الدولار الأميركي ، فإن اطراد الاستزادة منه كأصل احتياطي يتوقف على عاملين رئيسيين هما قوته من ناحية ، واستمرار عجز ميزان المدفوعات الأميركية من ناحية أخرى ، فالعامل الأول قد تصدع نتيجة الأزمات المتلاحقة التي ألمت بالدولار وأدت إلى إضعاف مركزه المالي . أما بالنسبة للعامل الثاني ، فقد كان من المعتقد آنذاك أن ميزان المدفوعات الأميركي سوف يعود عما قريب إلى التوازن .

لهذا كله ، اتجه التفكير إلى استحداث أصل احتياطي جديد يتسنى بمقتضاه تزويد العالم بعنصر أساسي في السيولة الدولية ، فكان لهم بإيجاد حقوق السحب الخاصة . **لقد وافقت الدول الأعضاء في صندوق النقد الدولي خلال الاجتماع الذي عقد في عاصمة الأرجنتين (ريو دي جانيرو) في شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٦٧ م ، على إنشاء حقوق السحب الخاصة :** Special Drawing Rights ، ويرمز لها اختصاراً بالحروف (SDR) .

(٢) طبيعة حقوق السحب الخاصة

تعتبر حقوق السحب الخاصة الوحدة الحسابية لصندوق النقد الدولي . ولذلك فإنها تتخذ شكل عملة دولية مستقلة تماماً عن أية عملة وطنية . وهي **تتمتع بالخصائص التالية** :

(أ) تعتبر حقوق السحب الخاصة أصلاً احتياطياً مكملاً للمصادر الأخرى للسيولة الدولية وليست بديلاً عنهم ، علماً إن صندوق النقد الدولي يعمل على أن تصبح هذه الحقوق الاحتياطات الدولية الرئيسية في المستقبل .

(ب) تعتبر عنصراً من عناصر السيولة غير المشروطة ، فكل دولة عضو في الصندوق لا تستطيع رفض ما يقدم لها من هذه الحقوق مقابل تقديم عملتها القابلة للتحويل طبقاً لقواعد محددة .

(جـ) تتمتع حقوق السحب الخاصة بقوة شرائية معينة ، فتعتبر بذلك أداة للوفاء بالديون ، ولهذا أطلق عليها « **الذهب الورقي** » Paper Gold .

(د) تعتبر حقوق السحب الخاصة كذلك أداة ائتمان ، وذلك في أنها تتخذ في الواقع شكل حقوق تلقائية للحصول على العملات الأجنبية بمجرد تحويل الدولة لحقوق السحب التي تحوزها إلى دولة أخرى يحددها الصندوق لهذا الغرض .

(هـ) إن حقوق السحب الخاصة هي بمثابة وحدات حسابية دفترية ، ليس لها وجود ظاهر ، بل تخلق إدارياً ولا تعتمد على عجز في ميزان مدفوعات دولة ما (كما في حالة الدولار الأميركي) أو على إنتاج سلعة مثل الذهب[٤] . بتعبير آخر ، إن حقوق السحب الخاصة لا تحميها أية ضمانات ، بل تستمد قوتها من التزام يقع على عاتق كل عضو في الصندوق يقبل الاشتراك بها ، بأن يزود غيره من الدول الأعضاء بعملات قابلة للتحويل مقابل حقوق سحب خاصة يتلقاها منهم بمجرد أن يصدر الصندوق قراراً بتسميته لأداء هذه المهمة . وهكذا نرى أن السحب على تسهيلات حقوق السحب الخاصة لا يكون من مصادر الصندوق المالية ، بل من المصادر الخاصة للدولة التي يتم تقديم هذه الحقوق إليها .

(٣) استخدامات حقوق السحب الخاصة

تقضي **اتفاقية ريو دي جانيرو** بأن للدول الأعضاء المشتركة حق استخدام حقوق السحب الخاصة لقاء عملات قابلة للتحويل بغرض تسوية العجز في ميزان مدفوعاتها[٥] ، أو إعادة تكوين احتياطاتها ، ولكن ليس لتغيير مكونات هذه الاحتياطات .

وعندما تقرر دولة استخدام حقوق سحبها الخاصة ، فإن الصندوق يقوم كمخطط بتعيين دولة أخرى لقبول هذه الحقوق ، وتقديم ما يقابلها من عملات قابلة للتحويل . ويتم اختيار هذه الدولة استناداً إلى متانة ميزان مدفوعاتها ، ورصيدها الاحتياطي . ويتمثل التزام الدولة الأخيرة بتزويد الدولة صاحبة العرض ، في حدود ثلاثة أمثال ما يخصها من حقوق السحب الخاصة ما لم توافق هي والصندوق على تجاوز هذا الحد .

لقد كان لكل دولة عضو أن تستخدم ٧٠٪ من مخصصاتها من حقوق السحب الخاصة للحصول على عملات قابلة للتحويل ، مقابل التزامها بالاحتفاظ بنسبة ٣٠٪ الباقية ثابتة . لكن النسبة الأخيرة خفضت إلى ١٥٪ في عام ١٩٧٩ م ، ثم ألغيت نهائياً اعتباراً من ١٩٨١/٥/١ م ، بموجب قرارات الصندوق الأخيرة التي صدرت بتاريخ ١٩٨١/٤/٢٤ م[٦] . هذا ويعتبر إلغاء التزام الدول بالاحتفاظ لدى الصندوق بأية نسبة من مخصصاتهم في حقوق السحب الخاصة بمثابة عون مالي مقدم لدعم اقتصاديات بلدان العالم النامية .

إن استخدامات حقوق السحب الخاصة تزداد يوماً بعد يوم بين الدول الأعضاء المشتركة بعضها مع بعض من جهة ، وبينها وبين صندوق النقد الدولي نفسه من جهة أخرى .

فالدول المشتركة تستخدم حقوق السحب الخاصة فيما بينها بطرق مختلفة : كأن تتفق دولتان على أن تحول إحداهما إلى الثانية مقداراً معيناً من حقوق السحب الخاصة مقابل الحصول على ما يعادلها من العملات القابلة للتحويل ، أو أي أصل احتياطي آخر غير الذهب ، بشرط إعادة هذا المقدار مستقبلاً وبسعر صرف متفق عليه ، أو أن تتفق دولة مع أخرى على عمليات مستقبلية تلتزم بموجبها بشراء أو بيع مقدار محدد من حقوق السحب الخاصة مقابل عملات قابلة للتحويل أو أي أصل احتياطي غير الذهب ووفقاً لمعدل صرف متفق عليه ، أو أن تقترض دولة من أخرى مقداراً محدداً من حقوق السحب الخاصة لقاء فائدة متفق عليها .

كذلك إن الدول الأعضاء في الصندوق تستخدم حقوق السحب الخاصة في علاقاتها مع الصندوق بغرض دفع مديونيتها تجاهه ، أو دفع الفوائد المترتبة عليها نحوه ، أو دفع حصتها في رأسمال الصندوق[٧] .

وبالمقابل فإن الصندوق نفسه يستطيع أن يحول حقوق السحب التي بحوزته إلى أعضائه من أجل سداد الديون المترتبة عليهم ، أو من أجل تمكينهم من دفع حصتهم في رأسمال الصندوق .

هذا وقد بلغ مجموع ما استخدم من وحدات حقوق السحب الخاصة منذ تاريخ إصدارها في عام ١٩٧٠ م ، حتى نهاية عام ١٩٨٠ م ، مقدار ٣٣٥٥٨ مليون وحدة موزعة على الشكل التالي[٨] :

الجدول رقم (١)

حجم استخدامات حقوق السحب الخاصة

منذ ١٩٧٠/١/١ حتى ١٩٨٠/١٢/٣١م

	مليون وحدة حقوق سحب خاصة
تحويلات بين الدول الأعضاء بعضهم مع بعض	١١٣٣٩
تحويلات من الصندوق إلى الأعضاء	٠٨٣٩٩
تحويلات من الأعضاء إلى الصندوق	١٣٨٢٠
المجموع	٣٣٥٥٨

نشير أخيراً إلى أن استخدام حقوق السحب الخاصة كوحدة حسابية عالمية شاع استعمالها حالياً لتسوية الكثير من العقود التجارية الخاصة ، وللوفاء كذلك بالالتزامات الناشئة عن الاتفاقيات الدولية[٩] .

(٤) إصدار حقوق السحب الخاصة وتخصيصها

يتم إصدار وحدات حقوق السحب الخاصة بقرارات من **مجلس محافظي الصندوق** بناء على اقتراح من مجلسه التنفيذي . وتؤخذ هذه القرارات بأغلبية ٨٥٪ من القوة التصويتية للأعضاء المشتركين في التصويت ، وبعد التأكد من أن هناك حاجة ماسة وواضحة لإصدار مثل هذه الوحدات . فالنشاط الاقتصادي الدولي يحتاج إلى مقدار معين من السيولة الدولية لتمويله وتأمين اضطراد نموه ، لهذا إذا زادت هذه السيولة عن المستوى المطلوب تولد عن ذلك آثاراً تضخمية وارتفاعاً في الأسعار وبعض المشكلات الاقتصادية الأخرى غير المحمودة النتائج .

إن إصدار حقوق السحب الخاصة يتم لفترات محددة في المستقبل غالباً تكون لمدة خمس سنوات ، وقد أعطت الاتفاقية لسلطات الصندوق الحق في توزيع هذه الحقوق على السنوات المختلفة لكل فترة[١٠] . ومنذ أن استحدثت حقوق السحب الخاصة صدرت منها دفعتان : الدفعة الأولى كانت بمقدار ٩,٣ بليون وحدة ، والدفعة الثانية بلغت ١٢,١٥ بليون وحدة ، أي بمجموع قدره ٢١,٤٥ بليون وحدة يمثل ٧٪ من الاحتياطي العالمي غير الذهب[١١] . وقد تم توزيع هذه الوحدات على الشكل التالي :

الجدول رقم (٢)

توزيع وحدات حقوق السحب الخاصة

على السنوات التي تلت استحداثها

عام ١٩٧٠م	٣,٣	بليون وحدة حقوق سحب خاصة

عام ١٩٧١م	٣	بليون وحدة حقوق سحب خاصة
عام ١٩٧٢م	٣	بليون وحدة حقوق سحب خاصة
عام ١٩٧٩م	٤,٠٥	بليون وحدة حقوق سحب خاصة
عام ١٩٨٠م	٤,٠٥	بليون وحدة حقوق سحب خاصة
عام ١٩٨١م	٤,٠٥	بليون وحدة حقوق سحب خاصة

ويبين الجدول رقم (٣) التالي مقدار الحصص التي وزعت على بعض الدول الرئيسية المشاركة في الصندوق حتى تاريخ ١٩٨٠/١٢/٣١م، من مجمل الوحدات التي أصدرت ووزعت حتى هذا التاريخ والبالغة (١٧٣٨٠ مليون وحدة)[١٢].

الجدول رقم (٣)
حصص بعض الأعضاء من وحدات حقوق السحب الخاصة حتى تاريخ ١٩٨٠/١٢/٣١م

الولايات المتحدة	٤٠٤٢,٢ مليون وحدة حقوق سحب خاصة
بريطانيا	١٦١٤,٧ مليون وحدة حقوق سحب خاصة
المانيا الغربية	٠٩٩٠,٩ مليون وحدة حقوق سحب خاصة
فرنسا	٠٨٨٤,١ مليون وحدة حقوق سحب خاصة
اليابان	٠٧٢٢,٨ مليون وحدة حقوق سحب خاصة
المملكة العربية السعودية	٠١٢٤,٨ مليون وحدة حقوق سحب خاصة

نشير إلى أن مقدار ما يخصص من وحدات حقوق السحب الخاصة للدول الأعضاء المشاركة في اتفاقية ريو دي جانيرو[١٣]، يحدد بنسبة الحصص المقررة لهم في رأسمال الصندوق، وهذا يعني أن الدول الغنية سوف تستأثر بالحصص الكبرى من حقوق السحب الخاصة.

يتكون رأسمال صندوق النقد الدولي من الحصص[١٤] (Quotas) التي اكتتبت بها الدول الأعضاء. وقد حددت اتفاقية Brettn Woods لعام ١٩٤٥م، التي أحدث الصندوق بموجبها، أسلوب تعيين حصة كل دولة بشكل يتناسب وحجم دخلها القومي، ومتوسط صادراتها ووارداتها، ومقدار ما تملكه من الذهب والعملات الحرة. ويبين الجدول التالي مقدار حصص بعض الدول الرئيسية في رأسمال الصندوق البالغ ٥٩٥٩٥,٥ مليون وحدة حقوق سحب خاصة حتى تاريخ ١٩٨٠/١٢/٣١م[١٥].

الجدول رقم (٤)
حصص بعض الدول الهامة في رأسمال صندوق النقد الدولي حتى تاريخ ١٩٨٠/١٢/٣١م

الولايات المتحدة	١٢٦٠٧,٥ مليون وحدة حقوق سحب خاصة
بريطانيا	٤٣٨٧,٥ مليون وحدة حقوق سحب خاصة
المانيا الغربية	٣٢٣٤ مليون وحدة حقوق سحب خاصة
فرنسا	٢٨٧٨,٥ مليون وحدة حقوق سحب خاصة
اليابان	٢٤٨٨,٥ مليون وحدة حقوق سحب خاصة
كندا	٢٠٣٥,٥ مليون وحدة حقوق سحب خاصة
المملكة العربية السعودية	١٠٤٠ مليون وحدة حقوق سحب خاصة

وتجدر الإشارة إلى أن مجلس محافظي صندوق النقد الدولي قد أقر حديثاً[١٦]، وبالتحديد بتاريخ ١٩٨١/٤/٣٠م، زيادة حصة المملكة العربية السعودية في رأسمال الصندوق من ١٠٤٠ مليون وحدة حقوق سحب خاصة إلى ٢١٠٠ مليون وحدة. وبهذا تصبح المملكة سادس الأعضاء الأكثر تأثيراً في الصندوق بعد اليابان بدلا من كندا.

هذا وتعتبر حصة أية دولة في رأسمال الصندوق على درجة بالغة من الأهمية: فهي تحدد مقدار القروض والمساعدات التي يمكن الحصول عليها من الصندوق؛ وعلى أساسها يتعين مقدار ما تخصص به من وحدات حقوق السحب الخاصة كما رأينا؛ كما أنها ــ وهذا هو الأهم ــ تدل على مقدار القوة التصويتية التي تتمتع بها. لقد اتفق على أن يكون لكل عضو ٢٥٠ صوتاً بالإضافة إلى صوت واحد عن ١٠٠,٠٠٠ دولار. **وعلى ذلك فإن الدول التي تملك الأغلبية في الأصوات هي التي تتحكم في رسم سياسة الصندوق وتوجيهها.**

بقي علينا القول إنه **إذا كان إنشاء نظام حقوق السحب الخاصة قد ساعد على إيجاد حل لمشكلة السيولة الدولية لمختلف بلدان العالم، فإن أسلوب توزيع هذه الحقوق على الأعضاء المشتركين بنسبة الحصة المقررة لهم في رأسمال الصندوق يجعل الدول الرأسمالية المتقدمة تستأثر بنصيب الأسد من جملة الحصص، ولن يتهيأ كذلك للبلدان النامية أن تحقق سوى زيادة متواضعة في احتياطاتها الدولية.** وهذا يعني أن أسلوب اتفاقية (ريو دي جانيرو) لم يعد ملائماً وتدعو الضرورة إلى تعديله بحيث يتوجب الربط بين الحجم من السيولة الذي تنشئه هذه الحقوق، وبين احتياجات الدول النامية من المساعدات الاقتصادية. أي يتعين توزيع الجزء الأكبر من وحدات حقوق السحب الخاصة عند إصدارها على الدول الأعضاء النامية لا لتستخدمه فقط في تسوية العجز في موازين مدفوعاتها بل لدعم مشاريعها الإنمائية أيضاً.

(٥) قيمة حقوق السحب الخاصة

إن ثبات أسعار صرف أية عملة، وتمتعها بالتالي بقوة شرائية مستقرة، يعتبر عاملاً كبير الأثر في تشجيع النشاط الاقتصادي للدولة صاحبة هذه العملة. وحيث كان الهدف من إنشاء وحدات حقوق السحب الخاصة جعلها بمثابة عملة دولية، فقد أريد لها أن تتمتع بقيمة مستقرة أو متغيرة بحدود ضيقة. ولهذا فقد ربطت قيمتها عند استحداثها بالذهب، وبما يعادل القيمة الذهبية للدولار الأمريكي قبل تخفيضه في عام ١٩٧١م. أي**حددت قيمة وحدة حقوق السحب الخاصة بما**

يساوي ٠,٨٨٨٦٧١ غراماً من الذهب الخالص.

لكن نظراً للتقلبات التي تتالت على الدولار الأمريكي ، فقد وافق صندوق النقد الدولي على تعديل طريقة تقييم حقوق السحب الخاصة بما ينهي العلاقة الثابتة بينها وبين الدولار ، وجعلت قيمة وحدة حقوق السحب الخاصة تساوي ، منذ ١٩٧٤/٧/١ م ، المعدل المتوسط لأسعار صرف (١٦) عملة دولية لدول لا تقل تجارة كل منها عن ١ ٪ من حجم التجارة الدولية . ويحسب هذا المعدل يومياً على أساس متوسط أسعار صرف العملات الست عشرة مقابل الدولار في **سوق لندن** . وعلى سبيل المثال ، لقد كان هذا المعدل ١,٠٢٦٣٧٥ بتاريخ ١٩٧٤/٧/٢ م[١٧] ، أي كانت قيمة وحدة السحب الخاصة تساوي ١,٠٢٦٣٧٥ دولاراً بذلك التاريخ . إلا أن الصندوق عاد من جديد وأقر تبسيط سلة العملات التي يحتسب معدل أسعار صرفها بالنسبة للدولار كمعيار لتحديد قيمة وحدة حقوق السحب الخاصة . **فقد وافق في شهر سبتمبر (أيلول) من عام ١٩٨٠ م ، على إنقاص هذه السلة من ١٦ عملة إلى خمس عملات هي : الدولار الأميريكي ، المارك الألماني ، الفرنك الفرنسي ، الين الياباني والجنيه الاسترليني** ، وعلى أن يبدأ بتنفيذ هذا التقييم اعتباراً من ١٩٨١/١/١ م ، وأنه يجوز إعادة النظر بالنسبة لاختيار العملات الخمس مرة كل خمس سنوات بدءً من ١٩٨٦/١/١ م . لقد أفادت نشرة صندوق النقد الدولي الصادرة في ١٩٨١/١/٢٦ م ، بأن قيمة وحدة حقوق السحب الخاصة بالنسبة للعملات الخمس المذكورة بلغت ١,٢٦٤٩٧٣ دولاراً في ١٩٨١/١/١٦ م[١٨] .

لا شك أن ربط قيمة وحدة حقوق السحب الخاصة بقيم سلة من العملات الرئيسية يجعلها أكثر استقراراً من ربطها بقيمة عملة واحدة كالدولار . وهذا مما يعطيها قوة شرائية مقبولة في التعامل ويطمأن إليها .

(٦) الفائدة على حقوق السحب الخاصة

كانت تدفع الدولة العضو التي استبدلت حقوق سحبها الخاصة بعملات قابلة للتحويل إلى الدولة التي قبلت التحويل فائدة مقدارها ١,٥ ٪ . وقد رفعت هذه النسبة إلى ٥ ٪ اعتباراً من ١٩٧٤/٧/١ م ، على أن تعدل بعد ذلك كل ستة أشهر تالية بالزيادة أو النقصان بما يعادل ٨٠ ٪ من متوسط معدل الفائدة في الأسواق العالمية . وقد أقر الصندوق حديثاً أن معدل الفائدة على حقوق السحب الخاصة سيصل بدءً من ١٩٨١/٥/١ ، إلى ١٠٠ ٪ من متوسط معدل الفائدة القصيرة الأجل في كل من الولايات المتحدة والمانيا الاتحادية وفرنسا وبريطانيا واليابان[١٩] .

في الواقع إن رفع معدل سعر الفائدة بهذا الشكل جاء تمشياً مع سعر الفائدة على الأصول الاحتياطية الأخرى من العملات وتشجيعاً بالتالي للدول على استخدام وقبول حقوق السحب الخاصة[٢٠] .

الهوامش

(١) انظر في هذا التعريف : د . وجيه شندي : المدفوعات الدولية وأزمة النقد العالمية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ، ص ١١٩ .

(٢) د . عبد الرسول سلمان : حقوق السحب الخاصة ، مجلة البحوث الاقتصادية والإدارية ، بغداد ، السنة الخامسة ، آب (أغسطس) ١٩٧٧ م ، ص ٢٣ .

(٣) د . وجيه شندي : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٤) د . محمد عبد العزيز عجمية : الاقتصاد الدولي ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٥٤ .

(٥) لكن المجلس التنفيذي للصندوق ألغى في أغسطس (آب) ١٩٧٦ م ، هذا الشرط بحيث تتمكن أية دولة من استخدام حقوق السحب الخاصة مقابل عملات قابلة للتحويل دون أن تكون بحاجة إلى تحسين ميزان مدفوعاتها ، انظر الأهرام الاقتصادي ، أبريل (نيسان) ١٩٧٧ م ، ص ٨٨ .

(٦) انظر جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٨٧٩ تاريخ ١٩٨١/٤/٢٥ م ، ص ٥ .

(٧) قضى التعديل السابع المتعلق برأسمال الصندوق بأن يدفع كل عضو ٢٥ ٪ من مقدار الزيادة التي تقررت له في رأسمال الصندوق بوحدات من حقوق السحب الخاصة .

(٨) International Monetary Fund (IMF) Survey, January 26. 1981, p. 20.

(٩) حددت اتفاقية هامبورغ الدولية المبرمة في شهر مارس (آذار) ١٩٧٨ م ، والمتعلقة بالنقل البحري للبضائع مسؤولية الناقل البحري عن الخسارة الناتجة عن هلاك البضاعة أو تلفها بمبلغ يعادل (٨٣٥) وحدة حسابية من حقوق السحب الخاصة عن كل طرد أو وحدة شحن أو ٢,٥ وحدة حسابية عن كيلوغرام من الوزن القائم للبضائع يهلك أو يتلف ، أيهما أكبر (المادة ٦ من الاتفاقية) .

(١٠) د . محمد زكي شافعي : مقدمة في العلاقات الاقتصادية الدولية ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، ص ٢٧٠ .

(١١) IMF Survey, January 26. 1981, p. 19.

(١٢) International Financial Statistics, February 1981, p. 12.

(١٣) إن الدول الأعضاء في صندوق النقد الدولي البالغ عددها (١٤١) دولة هي جميعها مساهمة في الوقت الحاضر في النظام الخاص بحقوق السحب الخاصة .

(١٤) تلتزم كل دولة عضو بأن تقدم ٢٥ ٪ من حصتها بالذهب أو الدولارات الأميريكية ، أو ١٠ ٪ من أرصدتها من الدولارات أو الذهب ، أيهما أقل ، على أن تفي القدر المتبقي من حصتها بعملتها الوطنية .

(١٥) International Financial Statistics, February 1981, p. 12.

(١٦) جريدة الشرق الأوسط ، العدد رقم ٨٨٥ تاريخ ١٩٨١/٥/١ م ، ص ٥ .

(١٧) فؤاد سلطان : حقوق السحب الخاصة وسلة العملات : الأهرام الاقتصادي ، أول أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٤ م ، صفحة ١٥ .

(١٨) IMF Survey, January 26. 1981, p. 18.

(١٩) جريدة الشرق الأوسط ، العدد رقم ٨٧٩ تاريخ ١٩٨١/٤/٢٥ م ، ص ٥ .

(٢٠) د . وهبه غبريال : الأزمة النقدية الدولية ومشاكل التنمية بعد حرب اكتوبر (تشرين الأول) ، القاهرة ١٩٧٧ م ، ص ١٤٩ .

رحلة في كتاب

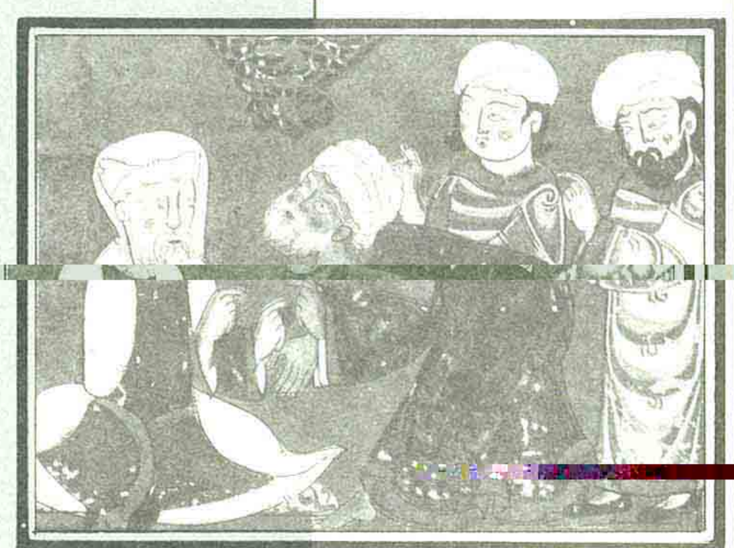




مقامات الحريري المصورة

تأليف :
ناهدة عبد الفتاح النعيمي

عرض وتحليل :
محمد رجب السامرائي



لكن نصيب تراثنا الفني الأصيل فيما يُبعث يكاد يكون ضئيلاً إذا ما قارناه بما يُنشر ويحقق من كتب الأدب والشعر والتاريخ . . . وتجيء إسهامة الأستاذة الفاضلة **ناهدة عبد الفتاح النعيمي** في نشر (مقامات الحريري المصورة . . .) كلبنة صحيحة وثابتة في صرح الثقافة الفنية والتاريخية من أجل أن يرتفع البنيان وتُزاد الدراسات بالمتابعة والمشاركة لكي تُغني وتُغذي المكتبة العربية بكتب التراث العربي والإسلامي .

أما مقامات الحريري فهي لا تحتاج إلى تعريف لأنها شائعة بين الناس . وقد خضعت لعدة دراسات ومتابعات وكتابة بحوث متنوعة ومتشعبة الاختصاص . ولكننا نجد في دراسة الباحثة العراقية ناهدة النعيمي والتي جعلتها دراسة تاريخية للمقامات وأثرية وفنية . . جديرة بالبروز والتقدير . . لمبدعها المصور والرسام محمود الواسطي ، الذي تزعم رئاسة مدرسة بغداد للتصوير في العراق . . في القرن الثالث الهجري .

بعد المقدمة القصيرة التي أشارت فيها المؤلفة إلى جهودها المبذولة في تأليف هذا الكتاب والحصول على الصور من المكتبات العالمية ، فإنها قد قسّمت الكتاب إلى خمسة فصول . ويقع الكتاب (مقامات الحريري المصورة . .) في (٣٦٣) صفحة من القطع الكبير المربع . . ويحتوي على (١٤٩) صورة قسم منها بالألوان والآخر غير ملون . . وصدر الكتاب عن **دار الرشيد للنشر ـ وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية ـ ١٩٧٩ م** .

ابتدأت المؤلفة كتابها من خلال فصله الأول بوصف المقامات وذكرت لنا عدة تعاريف لها منها : « المقامات جمعُ مقامة ، ومعناها الخطبة أو العِظة ، وهي نوع من المحاورات الأدبية التي انتشرت خلال القرن الثالث الهجري . وإن الشحاذون أخذوا يقولونها بشكل بُجملٍ مسجوعة » .

وتضيف المؤلفة ناهدة عبد الفتاح بأن هذه المقامات لم تصل إلى درجة الكمال إلا في مقامات الحريري . إذ قام الأخير بتأليف خمسين مقالة اختار لها بطلاً أسماه : « أبو زيد السروجي » .

وبعد استقرائها للمصادر العربية القديمة الموثوقة عن السروجي ، إذ أوردت من خلال النصوص بأنه رجل حقيقي واسمه : المطهر بن سلام ، وهو من أهل البصرة واشتهر بالنحو واللغة ودرس عند الحريري . . . ونتعرف من خلال الفصل الأول على الحارث بن همام وهو راوي مقامات الحريري ، ونُسب للحارث الذكاء الخارق وكان يكتشف حيل السروجي وخُداعه دون بقية الجالسين . . !

وعن أسباب تأليف مقامات الحريري وقيمتها الأدبية ، فإن النعيمي في الفصل الأول تعرفنا على تلك العوامل . إذ تناولت جوانب مهمة من الحياة الاجتماعية والدينية والأدبية بأسلوب مُنمق جميل يظهر فيها بلاغة العرب وفصاحتهم . وذلك لأن المقامات أيضاً تظهر محاسن ومساوئ المجتمع وعاداته لكونها مرآة تعكس حياة أهالي البصرة . وقد قال الزمخشري عنها :

أقسِمُ باللهِ وآياتهِ ومشعر الحج وميقاتهِ
إنّ الحريري حريٌّ بأن نكتب بالتبرِ مقاماتهِ !
معجزة تُعجز كل الورىٰ ولو أسروا في ضوء مشكاتهِ

وتحدثنا المؤلفة أيضاً عن مؤلفها أبو محمد القاسم بن علي الحريري وولادته ودراسته وعاداته وسنة وفاته . . .

وأما الفصل الثاني فقد أطلقت عليه الباحثة : « المقامات وفن التصوير » فقد أشارت فيه لما للمقامات من دور كبير في حفظ التراث الفني العربي والإسلامي ، نظراً لاهتمام المصورين وعنايتهم بها . كما أنّ الرسامين قد أقبلوا على رسم حوادث المقامات بأسلوب فنيٍّ وفَهْم للنص . وكان هؤلاء الفنانون ، على قدر واطلاع كبيرين في اللغة والأدب .

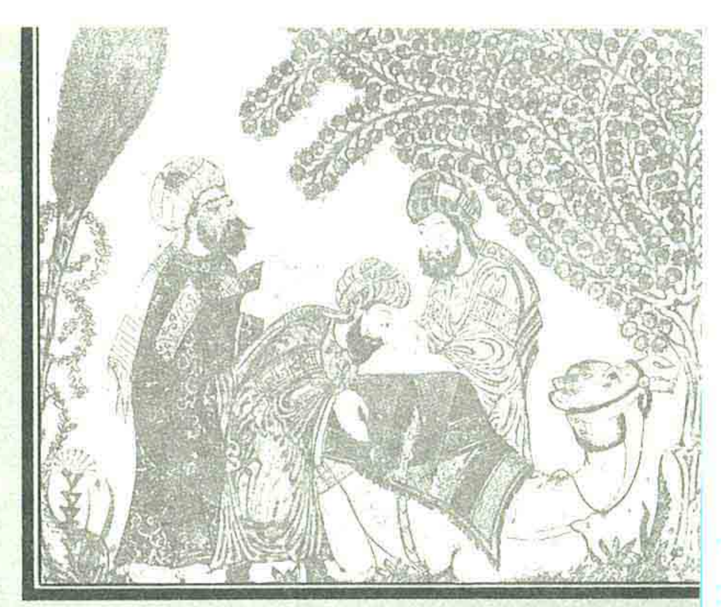
وبيّنت المؤلفة في هذا الفصل أنّ هناك من المصورين ، الذين عنوا بجزءٍ من حوادث المقامات ، وهناك مَنْ رسم المقامات صفحة صفحة كالفنان والمزوّق الواسطي ما عدا المقامة (السابعة والعشرون ، والخامسة والثلاثون) . . ومقامات الحريري التي صورت حوادثها وهي الغزيرة بموضوعاتها . . فإننا نجد هناك وصفاً عن المقامة الصنعانية والحلوانية والدينارية والدمياطية والكوفية . . . حتى المقامة الخمسون وهي : (البصرية) .

في حين حدثتنا الأستاذة ناهدة عن مصوري المقامات ومنهم الرسام يحيى بن محمود الواسطي ، وأحمد بن جلبة الموصلي ، وأبو الفضل ابن أبي إسحق ، وغازي بن عبد الرحمن الدمشقي . ثم عددت لنا المؤلفة المخطوطات المصورة المؤرخة للمقامات ، وهي إحدى عشرة مخطوطة ، موزعة على مكتبات ومتاحف مختلفة في أنحاء العالم .

بعدها تساءلت الباحثة في نهاية الفصل الثاني . هل وفق المصورون في تصوير حوادث المقامات ؟ وأجابت بالإيجاب ، ولكنهم بدرجات متفاوتة في تصويرهم للحوادث ، وقد اقتصرت على نماذج من المقامات بيّنت فيها نجاح الفنانين في إبراز هذه المصورات ، وتجسيد الشاعرية في الشكل الفني ، وإنهم قد عكسوا الواقع الحيّ ، وذلك بإيجاد خاصية المبدأ الديكوري في إظهار التكوين العام في الإنتاج الفني ، ولم يقتصروا على الشكل الخارجي فقط .

وعن مدى علاقة الدين الإسلامي الحنيف بفن التصوير ، فإن الباحثة قد أفردت الفصل الثالث للحديث عن (الدين الإسلامي وفن التصوير) . إذ ابتدأته عن تقدير المعاصرين لصور المقامات . ثم عرضت عن المسلمين وفن التصوير ، وقسمته : « في عصر النبوة » ، وأشارت إلى أن العرب قبل الإسلام كانوا يستعملون الدنانير البيزنطية والدراهم . . ولما جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم برسالته التي أنزلها الله عليه ليعلنها للناس والملأ . . ونجد أنه صلى الله عليه وسلم لم يمنع تداول تلك الدنانير .

والقسم الثاني بعد عصر النبوة ، عنونته الباحثة « في عصر الخلفاء الراشدين » : إذ نجد الدراهم في هذا العصر قد تغيرت عنها في عصر النبوة ، وأن الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قد ضرب دراهماً شبيهة بالدراهم الكسروية ، وهي تحمل صور الملك ، ولكنه أي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أضاف إليها بعض الكلمات نحو : « الحمد لله » أو « محمدٌ رسول الله » ، ليطبعها بالطابع الإسلامي . وأشارت إلى أن المسلمين عندما قاموا بفتح العراق في معركة القادسية



فإنهم أدوا صلاة الفتح في إيـوان كسرى الـذي كـان مُـزداناً بـالصور العديدة .

« وفي عهد بني أمية » ، فنجدهم قد سكوا وضربوا النقـود ، وعليها صور بشرية ، وقام بضربها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان . في حين نجد « في العصر العباسي » ، وهو القسم الرابع في هذا الفصـل ، نمـاذج مختلفة مصورة من النقود والأقمشة ، كما أن ذلك نجده واضحاً في الميدالية التي تحمل صورة رجل ذو لحية طويلة تنقسم نهايتها إلى قسمين منذ زمـن الخليفة العباسي المتوكل على الله . وأيضاً ما عُثر من عهد المطيع بـالله وأم المستعين بالله التي عملت له بساطاً فيه صور الحيوانات وجميعهـا مشغـولة بالذهب !

وللصور الجدارية في قصور الخلفاء نصيب في الفصـل الثـالث مـن مقامات الحريري المصورة نحو وجود مواد مصورة في حفـريـات مـدينـة (سامراء) التي بناهـا الخليفة المعتصم بالله سنة ٢٢١ هـ ــ ٨٣٦ م ، وقـام بتصويرها « هرتسفيلد » ونشرهـا . وتناولت البـاحثة أيضاً عن التصوير في العراق ، فذكرت مـا حـدث للقصر الجوسق الخـاقاني وهـو مـن أعـظم قصور سامراء وصور راقصتين في وضع متماثل يفصل بينهما طبق فاكهة .

التصوير بين القرآن الكريم والأحاديث الشريفة :

وقبل أن تنهي المؤلفة الفصل الثالث مـن كتـابها . . . تعـرض عـن القرآن والتصوير .

تطرقت إثر ذلك إلى رأي العلماء في الأحـاديث النبـوية . . بشـأن التصوير . وموقف الفقهاء المسلمين مـن فـن التصـوير ، وآراء العلماء في تحريم التصوير ، وعرضت للدوافع الرئيسية لتحريم التصوير في الإسلام ، ونتائج كراهية التصوير في الإسلام .

خصّت الأستاذة ناهدة عبد الفتاح . . الفصـل الـرابع مـن كتـابها الموسوم بـ « مقامات الحريري المصورة . . » ، في : « تحليل صور المقـامات من الناحية الفنية » استعرضت فيه أولا عن « الألوان في صـور المقـامات » و « العمارة » وتناولت فيها : الأعمدة والعقود نصف الدائرية ، والمنفرجة ، والمدببة ، والسقوف والشُرفات والنوافذ السـقفية (الهـوائيات) والمحـاريب والمـآذن والسلالم والأبواب . وتناولت أيضاً العنـاصر الفنية والـزخرفية في عمائر صور المقامات ، و « والأزيـاء في صـور المقـامات » وذكرت منهـا : العمامة وبيان أهميتها وانتشارها ، ومن الأزيـاء الأخـرى اللثام والقلنسـوة والخمار (المقنعة) والنقاب (البرقع) والـطيلسان ومنـه المحنـك والمقـوّر ، وكذلك الجلباب والشملة والـربطة والسروال والإزار أو المئـزر . وعـددت من الأزياء الكثير . . نحو الحلة والجبة والفروة والنطاق والبجاد والجـوارب والـخُـف . . .

وبعد الأزياء تناولت في القسم الرابع مـن الفصـل الـرابـع بيـان : « الأشخاص والحيوانات والأشجار والنباتات في صور المقـامات » والقسـم (الخامس) فذكرت فيه : « المواكب والاحتفـالات والآلات الموسيقية في صور المقامات » . والسـادس « المراكب والسـفن في صـور المقـامات » . والسابع فخصته « للأثاث والأدوات المنزلية في صـور المقـامات » ومـن الأثاث ذكرت : المنبر والإضـاءة ، وتقسـم إلى المسـارج والمشكـاة أو النبراس . وقد ختمت المؤلفة الفصل الرابع بذكر مجموعة مـن السيـوف والأسلحة ، وهي الحربة التي يمسكها الوالي بيده ، أو التي يحملهـا غـلام يقف خلفه أو يحملها بعض الفرسان .

وأنهت البـاحثة ناهدة النعيمي الفصل الخامس مـن كتـابها بـالحديث عن : « تاريخ المخطوطات » غير المؤرخة . ذكرت فيه أسماء عدد مـن تلك المخطوطات ، وأماكن وجودها في المكتبات العالمية . إضافة إلى خاتمة بحثها مع بيان أسماء الكتب المشار إليها في البحث وأعقبتها بصور المقـامات بلـغ عددها (١٤٩) صورة ، وتمثل أشكالا متنوعة من المقامات . . .

وبعد . . فكتاب البـاحثة العراقية الأستاذة ناهدة النعيمي كتـاب ذو مكانة جيدة ، قـد أسهمت في تأليفه في إغناء المكتبة العربية لهـذا السِفـر الذي رحلنـا معـه عبر مقامات الحريـري الـتي كانـت ضربـاً مـن ضروب النثر العربـي ، ولكن بأناقـة وتهذيب ، إضافـة إلى مجيء رسامين وفنانـين قـد نقلوا الكتـابة المدونـة إلى صور ناطقـة تحكي كـل واحـدة منهـا قصـة معينة .

نأمل من الله أن نجد الإسهامات الوافرة مـن أجـل تعـزيـز وبعـث كنوز تراثنا ، لـكي تشع عبر سـطورها المطمـورة بما أضـاء بـه الأجـداد بالنور وتكون نبراساً مضيئاً يشع من جنباته بشذى وعطر التاريـخ والتراث المجيد .

كتاب .. أخطاء لغوية



بقلم: عبد الحق فاضل
عرض: أحمد متفكر



* عبد الحق فاضل *

صدر عن وزارة الثقافة والإعلام ـ كتاب (**أخطاء لغوية**) للأستاذ الكبير البحاثة **عبد الحق فاضل** ـ أطال الله عمره ـ وقد تكرم بإهدائي نسخة منه ، أشكره عظيم الشكر على هديته الثمينة ، وأعتبر أن إهداء تحف العقول النيرة ، وغرر القرائح المشرقة هي أثمن وأغلى من تقديم الجواهر والأحجار الكريمة .

لم يكن الأستاذ عبد الحق فاضل أول من كتب وألف في اللغة ، فقد سبقه إلى ذلك كثير من العلماء الأعلام ، إلا أنهم مع الاعتراف بغزارة فضلهم وعلو كعبهم في الأدب والعلم ، لم يتمكنوا من إزاحة اللثام عن المعضلات اللغوية ، ولم يتوصلوا إلى ما وصل إليه الأستاذ الجليل من تحقيق وتدقيق ، وتمحيص ، وصبر على العمق في الاستقراء والاستنتاج والقياس .

وسنظل نسمع بين يوم وآخر دعوة إلى **استعمال العامية** على نطاق واسع ... سنرى انخفاضاً في مستوى التعليم ، وسنظل نرى حيلولة بيننا وبين اللسان العربي ، وفجوة بين التعليم ولغة التعلم .

وأنا على يقين أن أي مثقف عربي مسلم سيستفيد من هذا الكتاب ، وهذا الطبق الشهي الذي يقدمه لنا أستاذنا الكبير ـ بأسلوبه البليغ المبسط ـ الذي قضى حياته كلها في الدرس والبحث ، وحببت إليه العربية وعلومها منذ شرخ الشباب ، فعكف على درسها ، وأعد لذلك العدة اللازمة .

وقد سبق لمجلة « **الفيصل** » الغراء ـ في عددها الثاني عشر السنة الأولى ، ص ٢٦ ـ أن نشرت الاستجواب الذي أجريته مع فضيلة الأستاذ حول اللغة العربية ، وآفاق مستقبلها .

يستهل الأستاذ كتابه بعنوان : (**ملاحظات عامة**) يقول فيها :

« تكاثرت الأخطاء اللغوية في الأعوام الأخيرة إلى حد صار الباحث لا يحتاج معه إلى طويل عَناء لاستحضار عدة كبيرة منها على البديهة . فما كدت ألجأ إلى الذاكرة لاستحضارها حتى جعلتْ تنثال على ذهني ، فاجتمعتْ لي منها طائفة صالحة . ثم عنَّ لي أن أشفعها بما أقرأ كل يوم في الصحف وأسمع كل يوم وليلة من الإذاعات . وإذا بجمهرة كبيرة من الأغلاط اللغوية تحتشد أمامي مما انحدر إلينا من الجيل الماضي وما سبقه من أجيال مع ما ابتكره الجيل الحاضر ، وهو أكثر . فبعد أن كنت أتقصَّى الأغلاط وأتصيدها صرت لغزارتها أتخير منها ما يصلح أن يكون نموذجاً لغيره . وأنبذ الباقي الوفير تجنباً لما لا ضرورة له من الإطالة .

إن الكثيرين من اللغويين حاولوا تصحيح الأغلاط اللغوية قديماً وحديثاً حتى أصبحت الكتابة في الأمر أشبه بفرض الكفاية لا حَرَج على من أسقطه عن نفسه ، وما كنت لأتصدَّى له لولا تكاثر الأخطاء الجديدة التي ابتدعها الجيل الجديد ولم يسبق أن نبَّه عليها الأسلاف لأنها لم تظهر في زمانهم .

انظر ما يقول هذا الكويتب : « ليس هناك معدى (بأن) أتوهم (بأني) حُرّ في عقيدتي » ـ في مجلة (**أدبية**) **عربية** جد مشهورة ، تباع ألوف النسخ منها ـ أي ألوف النسخ من أغلاطها ـ ولإزالة كل هذه الركاكة والغلط كان ينبغي أن يقول : « لا مَعْدى عن أن أتوهم أني ... » .

وقرأت في **صحيفة عربية** : « السكان يطالبون السلطات (كي) تضع حداً للمنحرفين » . ونحن نرى أن الغياري يطالبون بوضع حد لهذا التخريب اللغوي .

عنوان في جريدة عربية : « ٣٠٠٠ كتاباً و ٥٠ رجل » ! . . لم يعرف جهابذة اللغة في هذه الجريدة أن قواعد النحو تفرض عليها أن تقول (٣٠٠٠ كتاب و ٥٠ رجلاً) .

وانظر إلى هذا العنوان الآخر في جريدة عربية مسؤولة : « إقامة سوقاً ثقافياً فنياً في القنيطرة » . فأية مسؤولية يشعر بها مديرها (المسؤول) ومحررها ؟ كيف يعلم القارئ الناشئ أن هذا غلط ليتجنبه ؟ وما فائدة ما يتعلمه في المدرسة من قواعد اللغة إذا كان التطبيق اليومي على هذا الغرار .

الكلام الصحيح سليقة أكثر منه تعلُّم والسليقة إنما تتكون من كثرة ما يسمعه المرء من الفصيح الصحيح **فما جدوى دروس العربية النظرية الجافة إذا كانت (الدروس) التطبيقية في الإذاعة والصحافة والقصص المترجمة ، وغير المترجمة يجرف من ذهنه كل ما تعلمه على رحلة الدرس** ؟ حتى أنا الذي كانت سليقتي منذ أيام الحداثة سليمة قديمة لكثرة ما قرأت من لباب الأدب العربي في أحسن أساليبه ـ أراني الآن قد ألفتُ الأخطاء لكثرة ترديدها عليَّ سماعاً من الإذاعات وقراءة في الصحف والمجلات حتى صار بعضها ـ الأخطاء ـ يغافلني فيندسّ في كلامي . . . يجري على قلمي حين أكتب أو على لساني حين أقرأ أو أتحدث .

وليس بالإمكان استقصاء كل الأغلاط فإذا كان المرء جاهلاً باللغة فكل الأخطاء ملك يمينه . لهذا سنتناول فيما يلي أهمها وأكثرها شيوعاً .

وإذا تسنى توزيع هذه النشرة على أوسع نطاق ممكن ولا سيما على منتسبي الإذاعة والصحافة ـ في طول الوطن العربي وعرضه ـ أمكن إصلاح الحال ، إلى حد لا بأس به فيما أرجو . ولا يكفي في التوزيع إعطاء نسخة لكل صحيفة وإذاعة بل الواجب أن تكون لدى كل موظف في إذاعة أو صحيفة نسخته الخاصة يتأملها ويحفظ ما فيها . وعلى كل دولة عربية أن تبدي نفس الاهتمام لأن الثقافة العربية مستطرق بعضها إلى بعض . وحبذا لو أمكن أن يتزود بها كل إذاعي وصحفي في أقطار الوطن العربي كلها . وسنرى فيما يلي أن الأغلاط سارية معدية يظهر بعضها في بلد عربي ثم تسري العدوى فتعم .

وقد أهملت الكثير من أغلاط القدامى التي أصبحت اليوم فصيحة ـ جداً ـ بالقياس إلى أغلاط حاضرنا ، من قبيل مطالبتهم بأن نقول (أسس الجامع) بدل (تأسس) . . و (أمور شتى) بدل (شتى الأمور) . . و (تعرفته) بدل (تعرفت إليه ، أو تعرفت عليه) . . . فهذه وأمثالها مما اعترض عليه الأقدمون أصبحت اليوم غير ذات موضوع بالقياس إلى التدهور اللغوي الذي تعانيه عربيتنا اليوم » .

وقبل الدخول في التصحيح أعرض في مواجهة هذه الكارثة بضعة مقترحات :

● **أولا** : بعد توزيع هذه النشرة على كل المذيعين والمحررين الصحفيين ، تحدد مدة للمستجدين[1] منهم لامتحانهم بها ، تشجيعاً لهم على تعلمها .

● **ثانياً** : امتحان كل من يراد تعيينه في المستقبل لوظيفة إذاعية أو صحيفة ، بهذه الأغلاط وغيرها مما سهوت عنه وتيسر جمعه لغيري ، بالإضافة إلى امتحانه بقواعد النحو والصرف على مستوى التعليم الثانوي على الأقل .

● **ثالثاً** : طبع كل الكتب المدرسية من أدنى درجة حتى الدرجات الجامعية العليا ، مشكولة بالحركات الكاملة على الحروف ، ليعتاد قراؤها النطق الصحيح .

● **رابعاً** : تخصيص كتب المطالعة للتلاميذ من الأساليب الجزلة المتينة ولا سيما من الأدب القديم المختار من القصص الجاهلية والإسلامية الطريفة والأخبار الجذابة التي يقبل عليها الناشئة ويشغفون بها ، **من كتاب الأغاني** وغيره من مؤلفات السلف الحافلة بكل ممتع ومفيد .

● **خامساً** : تعيين مصححين إذاعيين لتصحيح المكتوبات المعدة تحريرياً للإذاعة ، وضبط حركات الإعراب والحروف التي يحتمل الغلط في قراءتها ولا سيما في الشعر الموزون تفادياً من إساءة نطقه وتكسير وزنه .

● **سادساً** : تعيين مصححين مماثلين في كل جريدة ومجلة لتصحيح ما ينشر فيها سواء بأقلام محرريها أو غيرهم من الكتّاب المساهمين من الخارج . ويكون هؤلاء المصححون مسؤولين عن كل غلطة يسمحون لها بالمرور .

● **سابعاً** : لما كان كل ذلك يذهب أدراج الرياح إذا قامت الأغلاط المطبعية التخريبية المشهورة ، فيجب تحميل المصححين المطبعيين مسؤولية جدية عن إهمالهم وتهاونهم في التصحيح ، لأن الكاتب الذي يهتم بصياغة العبارة المناسبة والبحث عن اللفظة اللغوية الدقيقة في المعاجم أحياناً ، ويسهر الليالي مفكراً أو منقحاً ، كثيراً ما يجد أن المصحح المطبعي قد قلب الأمور عقباً على رأس ، فنياً ، ونحوياً ، ولغوياً ، وفكرياً .

بعد هذه الملاحظات العامة يقسم الكتاب إلى قسمين :

١ ـ **أخطاء إذاعية** من صفحة ١٠ إلى صفحة ٣٣ .

٢ ـ **أخطاء صحفية** من صفحة ٣٤ إلى صفحة ٨٢ .

(١) أقصد بها الأخطاء التي لا نشعر بها حين نقرؤها بل حين نسمعها ، لأن عدم ضبط الألفاظ بالحركات على الحروف يجعل كلا من المصيب

والمخطئ ينطقها على طريقته ، وكل كلمة لم يتعلم المرء نطقها الصحيح فهو معرض لأن يخطئ فيها ، ناهيك بمن تلقّى نطقها مغلوطاً من معلميه . فعندئذ يكتبها صواباً ويقرؤها غلطاً .

فيما يلي ندرج بعض الأغلاط الإذاعية ـ أي النطقية ـ المتداولة ، مع تصحيحها ، آملين أن يساعد ذلك على مكافحتها والقضاء عليها :

ارتج عليه في الكلام : ينطقون (إرتج) بكسر الهمزة وتشديد الجيم ، زنة اشتدّ واهتزّ ، ظناً أنها من الإرتجاج . والصواب نطقها بصيغة المجهول أي بضم الهمزة وكسر التاء ، من (الإرتاج) أي الإغلاق . والمعنى المقصود : أغلقَ عليه الكلام مثلما يقال ، أحياناً : استغلَقَ الكلام على الخطيب .

اضطر إلى الشيء : فتح الطاء خطأ . والصواب (اضطُرّ) بالضم ، بصيغة المجهولية أيضاً ، أما (اضطَرّ) بالفتح ففعل مُتعَدّ تقول : اضطرني (بالفتح) هو إلى الدفاع عن نفسي ، فاضطُررتُ (بالضم) إليه .

آوى إلى الفراش : مَدّ همزة (آوى) خطأ . والصواب : أوى إلى الفراش أو الدار ، أي لجأ . وأما (آوى) بالمد ففعل متعدّ ، حيث يقال : آواه في داره : أي أنزله فيها .

بندق : بالضم أيضاً : ثمر معروف . وكان يطلق كذلك على كرات صغيرة صلبة من معدن أو خشب أو نحو ذلك يُرمى بها الهدف . ومنها أطلق الاسم حديثاً على البُنْدُقية ؛ آلة قذف البُنْدُق .

تعالي : نداء للأنثى ، ينطقونها بكسر اللام . والصواب (تعالَيْ) بفتحة . وقول **أبي فراس** في مخاطبة الحمامة :

بكسر لام (تعالي) الأخيرة ضرورة شعرية بدليل أن (تعالَيْ) الأولى تُنطق بالفتح ـ ومثلها (تعالَوْا) لجمع الذكور تُنطق بالفتح ، وكذلك (تعالَيْنَ) لجمع الإناث .

جلطة : يكثر الحديث عن الجلطة الدموية بالفتح ، والصواب كما تقدم (الجُلطة) بالضم .

حلويات : النطق الشائع فتح الحاء واللام مع تشديد الياء ، وهو غلط . والصواب أنها جمع الحَلوى أي (حَلْوَيات) بفتح الحاء وسكون اللام مع تخفيف الياء . وتجمع الحَلْوى كذلك على (حَلاوَى) زنة نوايا .

الدولي : ينطقونها بفتح الدال نسبة إلى الدولة ، بينما المقصود نسبتها إلى الدُوَل لهذا كان الأصوب نطقها (الدُّوَلي) بالضم . أما (الدَولي) بالفتح فمنسوب إلى (الدولة) مثل (الحكومي) المنسوب إلى الحكومة .

شحنة : ينطقها بعضهم بالضم وآخرون بالكسر . والصواب (شَحْنة) بالفتح لأنها تعني المرة من فعل الشَحْن أي الملء . أما (الشِحْنة) بالكسر فهي العداوة ، وقلَّ من يستعملها الآن . وكانت (شِحْنة البلد) تعني الشُرْطة ، لكنها أهملت .

قوى : إحدى الإذاعات : (ألعاب القِوى) بكسر القاف . والصواب أن جمع القُوَّة هو (القُوى) بالضم ، زنة الرُؤى .

الكليتان : ينطقونها في الغالب بكسر الكاف . والصواب هو الضم : الكُلْية والكُليتان ، والجمع كُلًى .

الأفعال : سمعت المذيع من إحدى المحطات الناطقة بالعربية يقول : «أما الذين نَجُوا من الحريق فقد بقوا بلا مأوى» ـ بضم جيم (نَجُوا) وفتح كاف (بَقَوْا) . وكلاهما خطأ والصواب العكس أي (نَجَوْا) بالفتح و (بَقُوا) بالضم .

فكل ما كان (ماضي) مفرده بالفتح زنة دَعَا ورَمَى ، يكون جمعه أيضاً مفتوحاً أي : دَعَوا ورَمَوا ونَجَوْا . لكن (مضارع) جمعه يكون بالضم : يدعون ويرمون .

وأما **الفعل المنقوص** مثل بَقِيَ ورَضِيَ ونَسِيَ فيكون مضارعه بالفتح أي يبقى ويرضى وينسى ، ويكون جمعه أيضاً بالفتح : يبقَوْن ، يرضَوْن .

زيادة في الإيضاح إليك بعض الأمثلة ، ويجب تكرارها وحفظها عن ظهر قلب ليعتادها اللسان وعندئذ لا يأتي نطقها صائباً فقط بل يقيس المرء عليها أشباهها حتى بدون تكلف أو تعمُّد .

يعتمد على السليقة لا على التعلم ، فما من أحد منا يفكر في ماضي (ينجُون) ومضارع (بَقُوا) حين ينطقهما . لهذا كان من الضروري كل الضرورة أن تُضْبط الكتب بالحركات على الحروف ولا سيما في الكلمات التي يقع فيها الخطأ .

أما الكتب المدرسية فيجب شكلها كلها بدون استثناء وبجميع حركات الإعراب على أواخر الكلمات لترسيخ الصواب في الأذواق والأذهان فيصبح عادة لا يستطيع اللسان أن يحيد عنها . وبذلك وحده نضمن للناشئة السليقة السوية التي تقود ألسنتهم إلى الصواب دون أن يبحثوا عنه أو يحسوه عند الكلام .

على أن حفظ هذه النماذج التي سقناها ، عن ظهر قلب ، يساعد المتعلم كثيراً على تكوين ما فاته من تلك السليقة .

مترجمو القصص وبعضها من الروائع العالمية صاروا يحملون لواء إشاعة الأخطاء وإفساد سلائق الناس . إنهم وباء اللغة يجب مكافحتهم قبل غيرهم وإلا فعفاء على التعبير السليم والسليقة المعافاة .

ومن الغريب أن الكثير من الأخطاء التي ابتكروها يتكرر عند كل منهم كأنهم قد تعلموها على أستاذ جاهل واحد . صحيح أن التطور اللغوي مستمر في كل لغة وكل زمان لكن جل هذه الأخطاء لا يصلح أن يكون تطوراً . إنها أغلاط سيئة وحسب .

ومسؤولية إفساد اللغة عن طريق الترجمة ولا سيما ترجمة القصص ، تقع بالدرجة الأولى على ناشرين معينين عرفت بعضهم ، يستأجرون أرخص المترجمين وهم الناشئون ، لينقلوا لهم الزاد الفكري بمختلف أنواعه وبضمنه القصص التي يتهافت عليها القراء الأحداث كالذباب . وبجهل هذا الصنف من المترجمين بأسرار العربية وطرائق التعبير فيها يتقيدون بتعابير اللغة الأجنبية المترجم عنها ، وهي الإنكليزية على الأغلب . وبذلك أضافوا أغلاطاً جديدة كثيرة إلى أغلاط من سبقهم . وقد كان المترجمون في أوائل هذا القرن بل حتى الثلاثينات وأوائل الأربعينات أرق وأصح لغة وأمتن أسلوباً من جيل المترجمين الجدد .

وأقولها مع الأسف الكبير .. إن الكثيرين من القصصيين والصحفيين المحدثين هم من خريجي هذه المدرسة ومروجي تلك الأغلاط الوافرة .

فإذا نحن جمعنا أغلاط القصص والصحف والمجلات والإذاعات كانت لدينا عدة كاملة للقضاء على أي أمل في تكوين سليقة صحيحة

...بيَّة عن الكبار أيضاً .

ومكافحة هذا البلاء لا ينجع فيه التنبيه على الأغلاط في كتب ومطبوعات لا يقرؤها المحتاجون إليها من ضعاف المترجمين والمحررين الصحفيين ، والقصاصين والشعراء ... لأن هذه الطائفة لا تقرأ الكتب اللغوية أصلاً ، وإنما يجب تعيين لغويين في كل قطر عربي لتصحيح الكتب المترجمة والمؤلفة والمطبوعات الدورية ، فهي لانتشارها ولإقبال القراء عليها أقدر على إفشاء طاعون الأخطاء اللغوية .

ومن رأيي أن الرقابة على المطبوعات المستوردة يجب أن تمنع الصحف والمجلات والقصص الكثيرة الأغلاط ، مثلما تمنع أي مطبوع مضر سياسياً أو اجتماعياً ... وبذلك نحاصر الأخطاء ونطردها ، ونضطر أصحابها إلى تصحيحها .

وحبذا فرض غرامة مالية على الناشرين عن الأغلاط اللغوية لكي يَعْمدوا إلى استئجار من يقرأ لهم ويصحح قبل النشر وتوزيع الأخطاء على الناس بغير حساب .

وندرج فيما يلي أهم ما يعن لنا من الأغلاط الكتابية :

أبهرني : هذا الفعل لا وجود له في العربية ، وصوابه بَهَرَني يَبْهَرُني ، زنة نفع ينفع ، تقول (بَهَرني) الأمر فهو (باهر) ، ومنه : ضوء باهر ، وعمل باهر ، ولا تقل أبهرني فهو مبهر .

أحنى رأسه : خطأ . صوابه : حَنَى يَحْني ، مثل ثنى يثْني ، وزناً ومعنى ، وزنة رمى يرمي ، كما تقدم .

ازدياد : يستعملها المغاربة بمعنى الولادة . وازداد الشخص بتاريخ كذا : وُلد ، وقد تكون عريقة في العربية ، لكن الأفضل استعمال الميلاد والولادة في الشؤون الرسمية من باب التنسيق بين الأقطار العربية .

استلم الرسالة : صوابها تسلم الرسالة . أما الاستلام فمعناه اللمس ، ومن ذلك استلام الحجر الأسود ، واستلام أركان الكعبة ، أي لمسها .

التراب الوطني : استعملها عرب الشمال الإفريقي بمعنى Territoire بالفرنسية أي Territory بالإنكليزية ، وكلتاهما من اللاتينية Terra التي تعني التراب والأرض معاً . أما في العربية فللتراب معناه وللأرض معناها ، ولا حاجة بنا إلى هذا التقيد بترجمة النص الأجنبي المشترك المعنى فنأخذ منه غير المطلوب أي التراب ، ونترك المطلوب وهو الأرض . لأن المقصود هنا هو الأرض الوطنية . وكان المشارقة يقولون (الأراضي الإقليمية) لكنهم أخذوا أخيراً يجارون المغاربة في استعمال التراب الوطني . وكان أجدر من ذلك أن يقولوا (الأرض الوطنية) . وكنت قد اقترحت (الثرى) الذي كثيراً ما استعمل بمعنى الأرض أيضاً ، ولا سيما في تسمية

ديارهم : ثرى الأجداد ، فبدلا من القول (التراب الوطني المغربي) مثلاً نقول : الثرى المغربي ، والثرى الفلسطيني . . . وخاصة أن كلمة Terra اللاتينية مقتبسة منذ القدم من (الثرى) العربية نفسها . وقد نبهنا إلى ذلك مراراً ، دون جدوى .

رد الفعل : لا ندري أي مترجم فقير اللغة ترجم كلمة (Reaction) بتعبير (رد الفعل) باعتبار (فعل Action) و (رد : Re) بترجمة لفظية . مع أن هذا اصطلاح ، والاصطلاح يترجم بمعناه لا بلفظه . فشاع وصار يستعمله حتى كبار كتاب العربية . وقد اقترحت لها كلمة (الرَّجْع) زنة الردع ــ وأراها تؤدي المعنى تماماً ، ومنها : رَجعُ الصدى . على أن **مجمع القاهرة** اختار كلمة (الركس) زنة الرَّفس ــ مقابلاً لها لمشاكلتها اللفظية الأجنبية دلالة وبناءاً ، ولا سيا إذا نُطقت بالسين كالفرنسية أي (رياكسيون Rection) وهي كلمة موفقة ، غير أننا نجدها شديدة الوقع لا تلائم مقتضى الحال دائماً ، لذلك نُؤثر (الرَّجْع) للمواطن الخفيفة وتبقى (الركس) للتعبير عن الارجاع الشديدة . جمع الركس أركاس ، وجمع الرجع ارجاع .

زموش العين : كلمة عامية مصرية يستعملها ضعاف الكتَّاب في مصر وصار يقلدهم أندادهم خارج مصر . والصواب : أهداب . وقرأت الآن قبل ثانيتين عينة أخرى أضيفها هنا هي : « يبددون في رمشة عين ما جمعه الأب في ثمانين سنة » الصواب : في طرفة عين . والطرفة زنة الطلعة هي حركة الطرف (زنة الحرف) أي العين .

معاش : كثر استعمال الواقع (المعاش) وهو تعبير مغلوط ، شاع إلى حد أننا لم نجده بصيغته الصحيحة حتى ولا عند مذيع أو كاتب واحد من أي مستوى . وصوابه (المعيش) زنة المتين والمبيع ، لأن (المُعَاش) هو الذي أعشناه ، مثل المعاد الذي أعدناه . . . بينما المقصود هو الذي عشناه أي المعيش ، على غرار المبيع الذي بعناه والمكيل الذي كلْناه .

مثل ذلك قولهم : المشاد والمزاد والمصاد والمعاب والمشان والمباع . . . فالصواب فيها كلها أن تنطق بالياء بدل الألف مع فتح الميم ، أي المَشيد والمَزيد والمَصيد والمَعيب والمَشين والمَبيع ــ لأن الفعل المضارع يأتي منها كلها بالياء أي : يشيد ويزيد ويقيس ويكيل ويبيع .

أما **ما كان (مضارعه) بالواو** فيكون المفعول منه بالواو أيضاً مثل : يصونه فهو مصون ، ويلومه فهو ملوم ، ويرومه فهو مروم ، ويقوله فهو مقول .

أما **ما كان مضارعه بالألف** فالمفعول منه سماعي بعضه بالياء مثل : مهابه فهو مهيب بفتح الميم ، وبعضه بالواو مثل : تخافه فهو مَخُوف (بفتحه أيضاً) .

وأما **(الماضي) المزيد** على وزن أعاش وأعاد وأفاد وأجاد وأراد وأباد وأعان وأصاب وأقال وأضاف . . . فيأتي مفعوله بالألف مع ضم الميم أي : مُعاش ومعاد ومفاد ومجاد ومراد ومباد ومعان ومصاب ومقال ومضاف .

من ، وفي : يقولون : تخرج من المدرسة ، والصواب استعمال (في) بدل (من) فتقول : تخرج في المدرسة . . عكس هذا يستعمل بعضهم (في) بدل (من) كالذي ذكرناه من قولهم متضلع (في) العلم ، والصواب : متضلع منه .

كأن بعضهم لم يكتفوا بكل هذه الفوضى اللغوية فزادوا الأمر بلبلة مذ حاولوا تخطئة ألفاظ كانت الأمة تستعملها على وجهها الصحيح ، وفرضوا من عند أنفسهم ألفاظاً واشتقاقات مغلوطة أشاعوها في الناس .

والغريب أن الكثير من ذلك شاع بسرعة مذهلة وشمول مطبق ، بينما هناك أخطاء ، حاول اللغويون تصحيحها بدأب واستمرار منذ ألف سنة وأكثر ، ولم يفلحوا حتى الساعة . من بعض الصواب الذي حاولوا تخطئته نذكر ما يلي :

بديهي : زعموا أن صوابها (بَدَهي)بفتحتين ، لأن البديهة يجب تجريدها من الحرف الزائد (الياء) قبل النسبة إليها . لكنهم يجيزون (الطبيعي) نسبة إلى الطبيعة دون تجريدها من الياء . والصحيح أن البديهي والطبيعي صحيحان كلاهما ، وهما من توليد عصر العلوم العباسي .

نفس الشيء : يقولون لك (لا تقل نفس الشيء وقل الشيء نفسه) ، وهذا خطأ فادح ممن روّج هذه الأزعومة ، لكنها شاعت حتى تأثر بها الكثيرون من الكتّاب . والصواب أنه يجوز لك أن تقول (نفس الشيء) و (الشيء نفسه) حسب مقتضى الحال . وقد صرحت بذلك المعاجم واستشهدت بتعبير (نفس الجبل مقابلي) . انتهى .

بعد هذه الجولة الممتعة التي عشناها مع بعض النماذج الحية التي طرحها الأستاذ عبد الحق فاضل على صفحات كتابه (أخطاء لغوية) ، أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم هذه النماذج التي ستكون حافزاً لكل غيور على العربية ، على اقتفاء آثارها . . وبلسماً لتلك الجروح التي أصابت لغة القرآن .

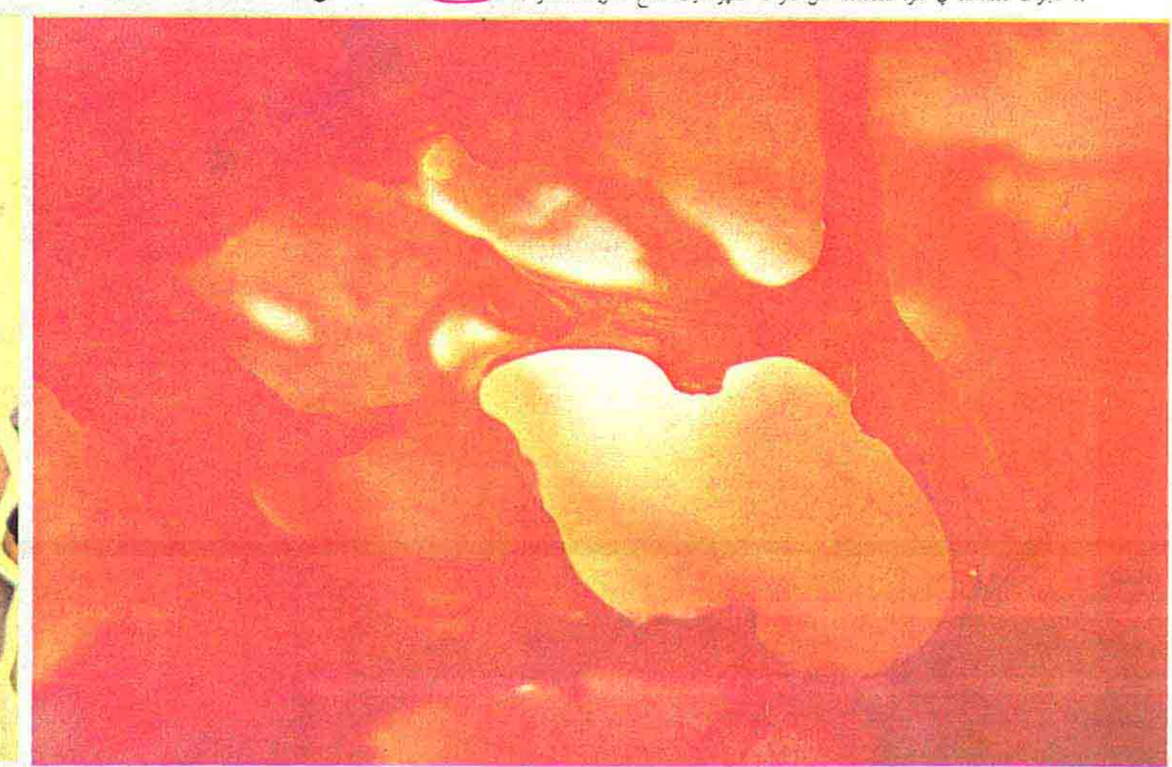
١ ــ المستجد لغة : ما صار جديداً . وقد استعملها المحدثون بمعنى : الحديث العهد ، ونحن نؤيد هذا اصطلاحاً ، لأننا لا نجد كلمة واحدة شائعة أخرى تؤدي هذا المعنى .



الدم .. كنظام نقل

الدم النسيج الوحيد السائل من بين جميع أجهزة الجسم ، يسلك طريقه دون انقطاع مدفوعاً بضربات القلب المنتظمة دون توقف إلى جميع أعضاء الجسم .. ومن ثم يعود ثانية

★ منظر داخلي من الشريان التاجي الذي يغذي القلب لرجل من عمره (٥٥) عاماً ★



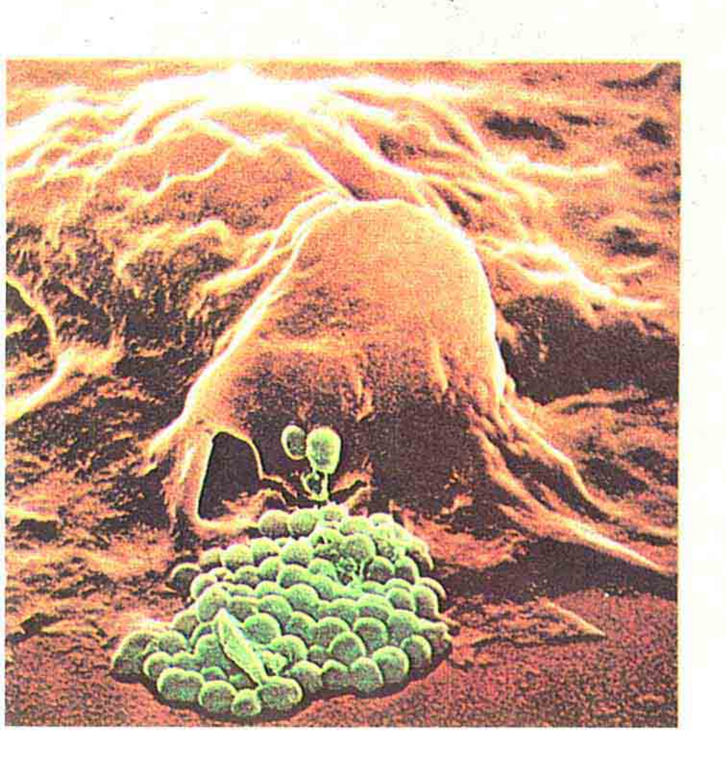
★ فجوات cavities في فقرة vertebra من فقرات الظهر حيث تصنع الكريات الحمر ★

للقلب ليبدأ دورة جديدة . وهكذا . . شبّه الدم ببحر يعوم فيه الجسم ، واعتبرت خلايا الجسم كجزر صغيرة يحيط بها الدم والسائل اللمفاوي المشتق منه من كل جانب .

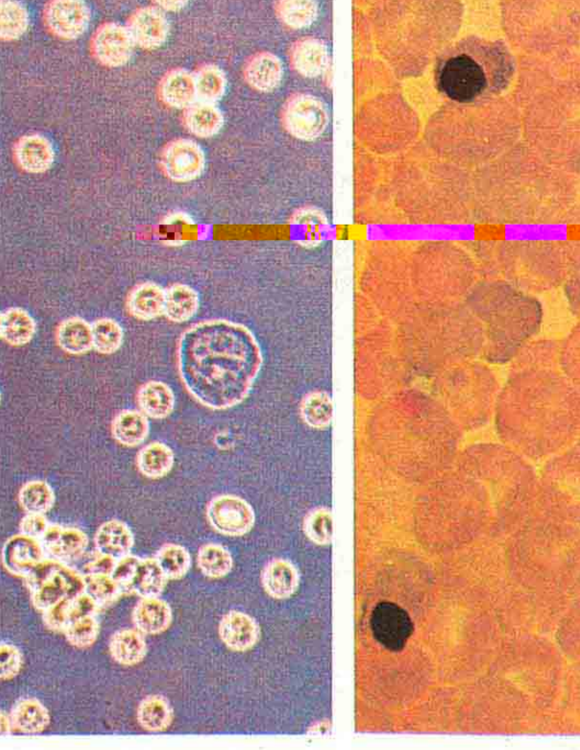
وبحر الدم الجاري هذا ليس فارغاً من أي شيء كما نراه بأعيننا التي لا ترينا إلا ما يلزم مدركاتنا من أشياء بسيطة محسوسة هي ببساطة عقولنا وتفكيرنا الذي نتملكه ، بل إن آلاف المركّبات والعضويات غير المرئية تعوم فيه وتؤدي الغرض الذي كوّنها الخالق (جلّ وعلا) من أجله غير آبهة ولا ملتاعة لعدم رؤية أحد لعملها الحيوي المتقن هذا . . **فخلاصات الغذاء المنقّى والمصفّى والمسحوب من جدر الأمعاء الدقيقة ينقلها الدم ويدور بها على جميع خلايا الجسم الجائعة من إصبع القدم إلى قمة الدماغ فيعطيها مؤونتها وكفايتها . .** في ذات الوقت **تحمل كريات الدم الحمراء** السابحة في الدم غاز الأكسجين الضروري لحياة المخلوق ، وتوزّعه بالقسطاس على جميع خلايا الجسم وتكفيها مؤونتها . . وناتج خلط الغذاء والأكسجين يؤدّي لآلاف العمليات الكيميائية التي تتكوّن من ملايين التركيبات لإنتاج طاقة وحرارة يتحرك بها المخلوق ويؤدّي بها كافة أعماله وشجونه وشؤونه .

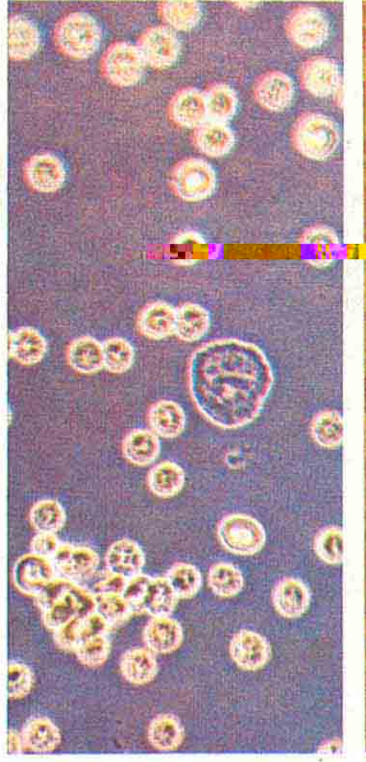
وفي دنيانا التي ابتلينا بها تجربة لخلاص لا بد أن يتبقّى من كل عمل مخلفات ونفايات يجب أن تطرح . . وأيضاً يقوم نهر الدم الجاري بتخليص الخلايا من نفاياتها وسمومها ويأخذها معه في سياحة طويلة تأخذ يمين الجسم وتصعد صعوداً إلى حيث الرئتين فيطرحها لتخرج عن طريق الفم

غازاً خانقاً هو غاز ثاني أكسيد الكربون . . وبما أن كل شيء قد أُحكم خَلْقه وترتيبه وجُعل له دوراً يؤدّيه ولا يحيد عنه . . فغاز ثاني أكسيد الكربون هذا الذي تطرحه الكائنات في هواء الزفير ويطرح أيضاً من عمليات التحلّل والاحتراق في الجو ، هو الأساس في عملية التمثيل الضوئي للنبات . . بمعنى أن الإنسان وباقي المخلوقات تطرح في الجو **غاز ثاني أكسيد الكربون** Carbon Dioxide وتأخذ **الأكسجين** اللازم



★ من اليمين إلى اليسار : (١) كريات حمر جديدة التصنيع . (٢) مزيد من كريات الدم الحمراء وقد اكتمل نضجها . (٣) كريات بيض متنوعة الأشكال ★





للتنفس وعمليات الأكسدة ، والنبات يقوم بالعمل المعاكس في **عملية التمثيل الضوئي** يأخذ غاز ثاني أكسيد الكربون ويطرح الأكسجين .. توازن رائع وبديع ومعجز لأصول تكوين وتثبيت الحياة على الأرض .. نظّمها وأبدع تكوينها وخلقها فاطر السموات والأرض الواحد الأحد .

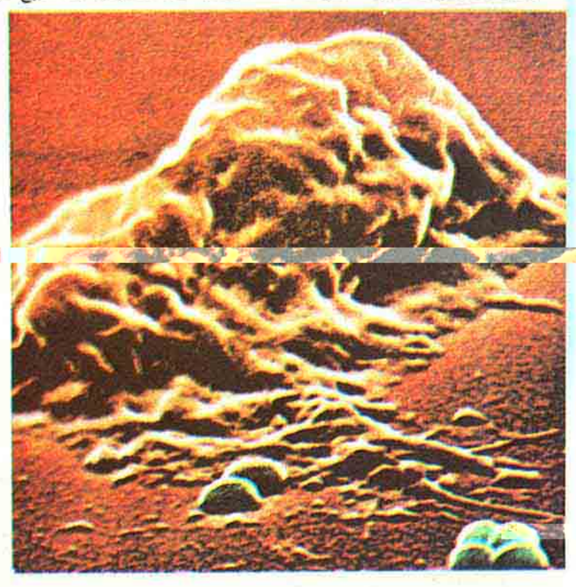
ويحمل الدم أيضاً الحرارة الزائدة التي تولّدها ميكانيكيات الاحتراق وتولد الطاقة ليوزّعها على مسام الجلد جميعاً حيث تتخلّص منها ببثها في الجو .. ولا زلنا بغنىً عن ذكر وتعداد آلاف المركّبات التي يحتويها الدم ، وتكفي نظرة واحدة لبطاقة طبيب محلّل لنرى عجباً من أمر هذه المركّبات التي توجد بنسب ثابتة مقدّرة وبمعايير لا خلل فيها ولا فوضى ، وأي خلل ولو بسيط في نسبة مركّب واحد يستدعي العلاج والدواء الذي يحمله تيار الدم أيضاً ليوزّعه على الخلايا المريضة .

كمية الدم في الإنسان من (٥,٥ ــ ٦) ليترات مليئة بحياة غير مرئية لعيوننا وما أكثر ما لا نرى ، تقوم بدورات كاملة مستمرة بلا توقف ، حيث يدخل الدم إلى القلب ويخرج منه إلى جميع أجزاء الجسم ، ثم يعود إلى القلب ثانية ليخرج منه . وهكذا .. والقلب يضخ الدم بقوة دفع وبانتظام ويتحمّل يبذل فيه جهداً كبيراً لأداء أكثر من (١٠٠٠) دورة كاملة في اليوم الواحد .

ويتكوّن الدم من أربعة عناصر رئيسية : **(١) البلازما** Plasma وهي الجزء السائل من الدم وتكوّن ٥٥٪ منه أو (٣) ليترات ، و ٩٢٪ من تركيبها ماء ، و ٨٪ مواد أخرى . **(٢) الكريات الحمر** Red corpuscles أو (Red blood cells) والتي يبلغ تعدادها (٥) ملايين كرية في المليمتر المكعّب (مم^{3}) . **(٣) الكريات البيض** White corpuscles أو (White blood cells) والتي يبلغ تعدادها (٧) آلاف كرية في المم^{3} . **(٤) صفائح الدم** Platelets أو (thrombocytes) والتي يبلغ تعدادها من (٢٠٠ ــ ٣٠٠) ألف صفيحة في المم^{3} .. وتصنع جميع أنواع خلايا الدم داخل **نخاع العظام** Bone Marrow الذي يقذف بـ(٢ ــ ٣) ملايين كرية في تيار الدم كل ثانية ، نوع واحد فقط من الأنواع الستة للكريات البيض لا يصنعه نخاع العظام .

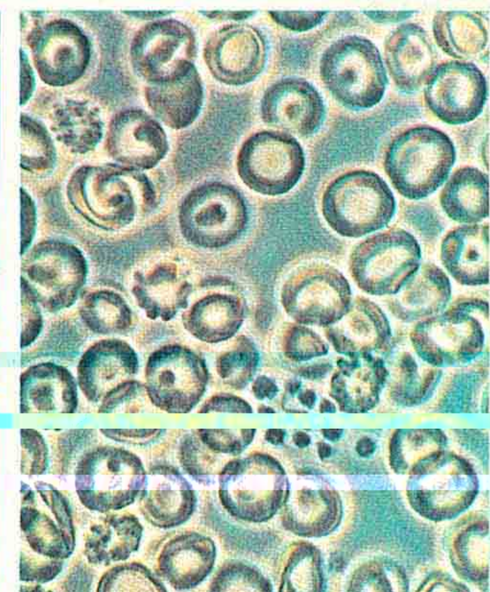
والبلازما التي تسبح فيها خلايا الدم سائل باهت اللون يميل إلى

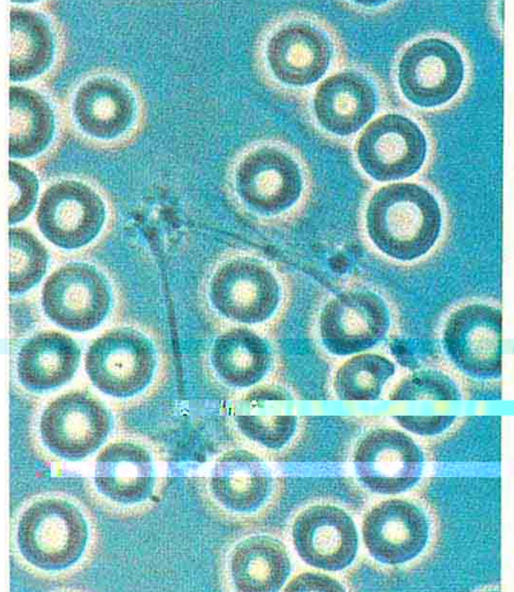
★ أعظم الصور الملتقطة لعمل الكريات البيض الدفاعي في الجسم ضد البكتريا الغازية ــ من اليمين إلى اليسار الكرية البيضاء اللمفاوية lymphocytes تقترب من عنقود (حشد) للبكتريا ــ الكريات المدورة الخضر ــ وقد أحاطت بها جميعاً واستوعبتها بعد صراع مرير ــ وقد ابتلعتها تماماً في عملية الهضم الخلوي ★

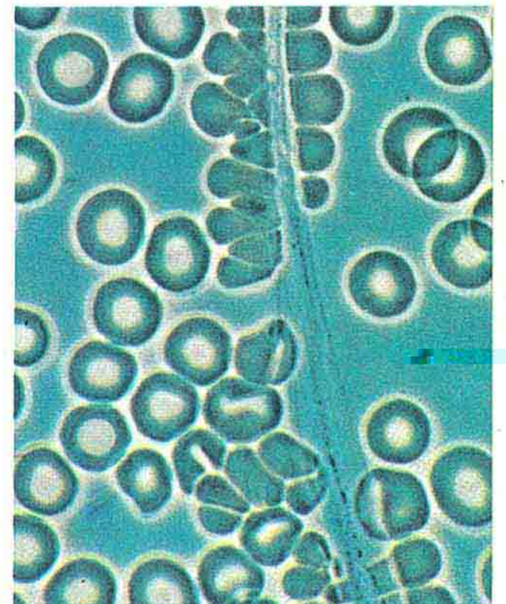




الدم شريان الحياة


١


٢

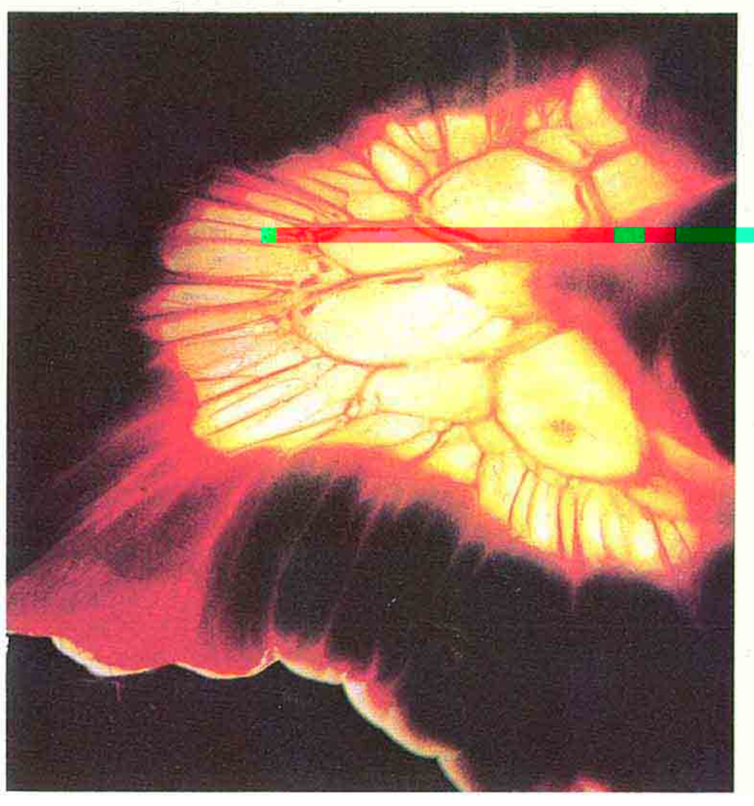

٣

الصفار مكوّن من ماء وأملاح Salts ، **وفيتامينات** Vitamins ، **وجلوكوز** Glucose ، **ودهون** Fats ، **وكربوهيدرات** Carbohydrates ، **ومواد بروتينية** Proteins كثيرة **وأحماض أمينية** Amino acid **وهرمونات** Hormones وأجسام مضادة Antibodies **والحامض البولي** Uric acid ومواد غير عضوية مثل (الصوديوم والبوتاسيوم والجير) .. وتحفظ الحرارة والتوازن الكيميائي للجسم ومحتواه من الماء .

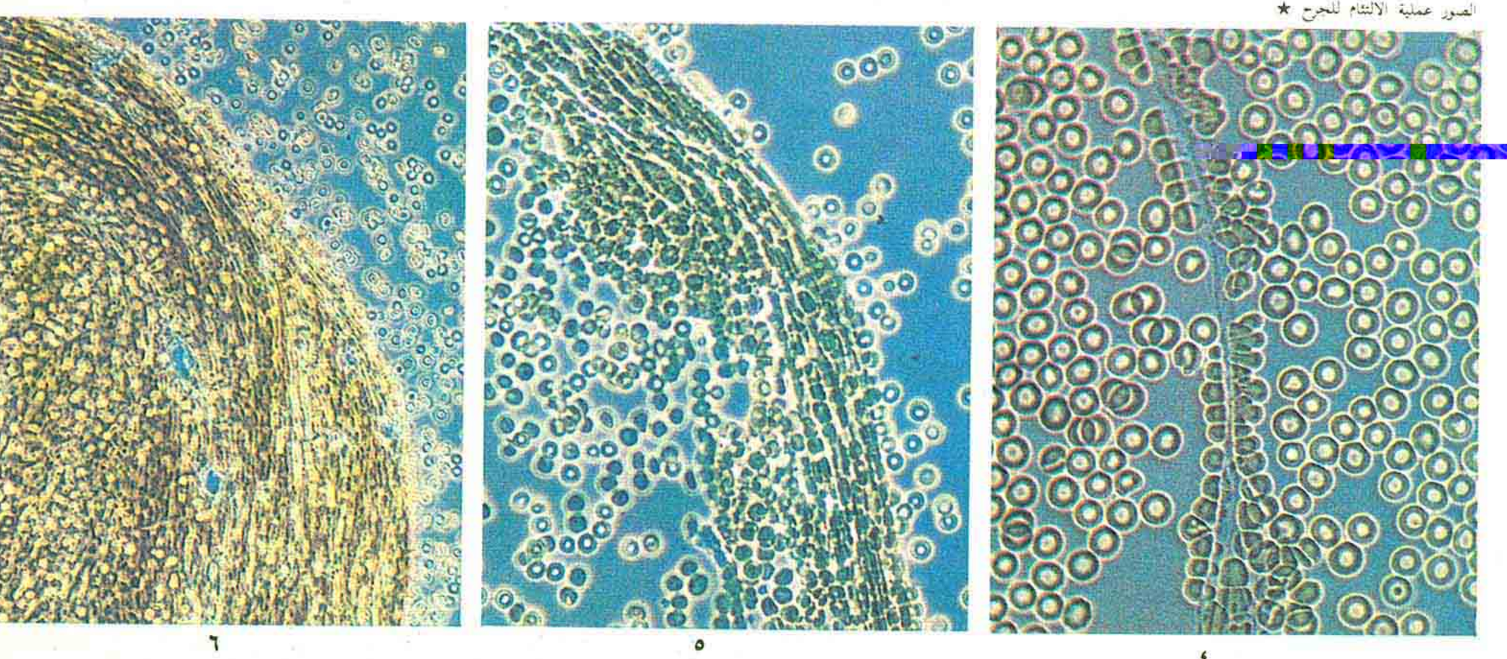
كريات الدم الحمراء
(erythrocytes) Red Corpuscles

قوارب تنقل (٦٠٠) ليتر أكسجين يومياً إلى خلايا الجسم ، وتنقل غاز ثاني أكسيد الكربون من الخلايا إلى حيث يطرح خارج الجسم ، عددها كبير جداً حوالي (٢٥) مليون مليون كرية تتخرّب جميعها ويتجدّد مثيلها كل (١٢٠) يوماً ، ذلك أن عمر الكرية الحمراء قصير جداً وتتداعى تدريجياً بمدة أقصاها (٣ ـ ٤) أشهر ، ويستبدل بها خلايا جديدة يصنعها نخاع العظام Bone Marrow الذي يصنّع في كل ثانية من (٢ ـ ٣) ملايين كرية ، وظيفتها الأساسية الهامة التقاط الأكسجين من **الرئتين** lungs وحمله إلى خلايا الجسم ، ثم تعود ناقلة ثاني أكسيد الكربون CO_2 في الطريق العكسي ، وترجع فاعلية الكريات الحمر كحامل للأكسجين إلى وجود **الهيموجلوبين** Haemoglobin (**خضاب الدم**) فيها والمركّب من بروتين وحديد والذي يعطي الدم لونه الأحمر القاني إذ يلتصق بالأكسجين ويتمسك به إلى أن يوصله لخلايا الجسم ، ونقص الهيموجلوبين من الكريات الحمر الذي يحدث إما بسبب نزيف غزير أو نزيف بسيط متكرّر (كمرض البواسير) أو بسبب نقص في إنتاج نخاع العظام من الكريات ، أو بسبب زيادة في معدّل تدمير الكريات الحمر ينتج عن مرض مينكوفسكي شوفارد حيث يكون غشاء الخلية ضعيفاً بالوراثة فتصبح الخلايا هشة ويزداد معدل تفتتها أو بسبب عجز في عوامل تكون الكرية الحمراء ذاتها (نقص في الحديد أو فيتامين ب ١٢) .. **نقص الهيموجلوبين هذا يؤدي للمرض المعروف بأنيميا الدم** anemia (**فقر الدم**) ، وينصح مريض فقر الدم بتناول

★ عقد لمقاوية في المساريق Mesentary ـ أغشية تغلف الأمعاء ـ وهي خط دفاع ثاني للجسم ـ



★ الصور الست من اليمين إلى اليسار تُرى كيف يتجلط clot الدم .. في (١) ترى الصفائح الدموية كنقاط صغيرة بين الكريات الحمر . وفي (٢) ، (٣) حدوث الجرح . وفي بقية الصور عملية الالتئام للجرح ★



٤ ٥ ٦

أغذية فيها حديد لأنه أساسي في تركيب الهيموجلوبين ، ويلزم الشخص من الحديد يومياً (١,٠) غرام .

والمصنع الرئيسي لإنتاج الكريات الحمر هو نخاع العظام كما أسلفنا ، وهناك مصانع احتياطية تشارك حين الأزمات مثل **الكبد** liver **والطحال** spleen **والعقد اللمفاوية** lymph nodes ، علماً بأن **الكبد هو الذي يصنع للجنين في بطن أمه الكريات الحمر ، ثم حين يولد يتولى المهمة نخاع العظام ، وأكثر المناطق إنتاجاً للكريات الحمر هي فقرات الظهر وأضلاع الصدر .**

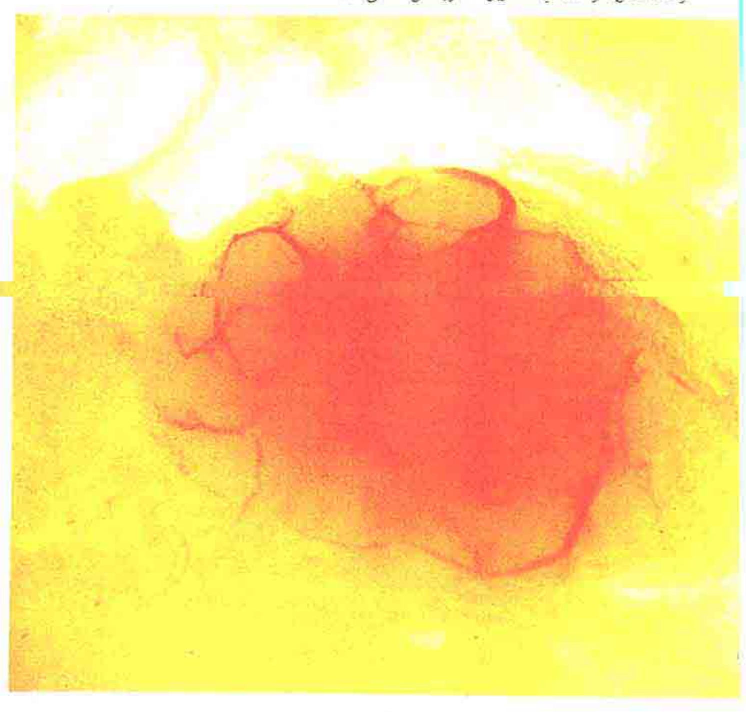
عدد الكريات الحمر في كل مم^3 (٥) ملايين كرية ــ وعند الجنين من (٧ ــ ٨) ملايين كرية في المم لأنه لا يتنفس من رئتيه في بطن أمه ــ ، وقطرها من (٧ ــ ٨) ميكرونات (الميكرون = ١/١٠٠٠ من الميلمتر) ، وسماكتها (٢/١٠٠٠) من المم ، وحجمها (٨٧) ميكروناً مكعّباً ، وكل كرية تدور في الجسم (١٥٠٠) مرة يومياً تقريباً ، وتقطع في مجمل حياتها أكثر من (١٢٠٠) كيلومتر ، ولذا فإن حياتها قصيرة من كثرة ما تلف وتدور ، وفي كل ثانية يموت حوالي (٥) ملايين كرية يصنّع عوضاً عنها آنياً ، ويتضاعف التصنيع إلى سبعة أضعاف أثناء الأزمات ، وعددها يزيد عن عدد الكريات البيض في الدم بنسبة (٧٠٠) إلى (واحد) .. والهيموجلوبين مكوّن من تراص وانتظام (٥٧٤) حامض أميني في أربع سلاسل كل اثنتين منها متشابهتان .

كريات الدم البيضاء

(leukocytes) White Corpuscles

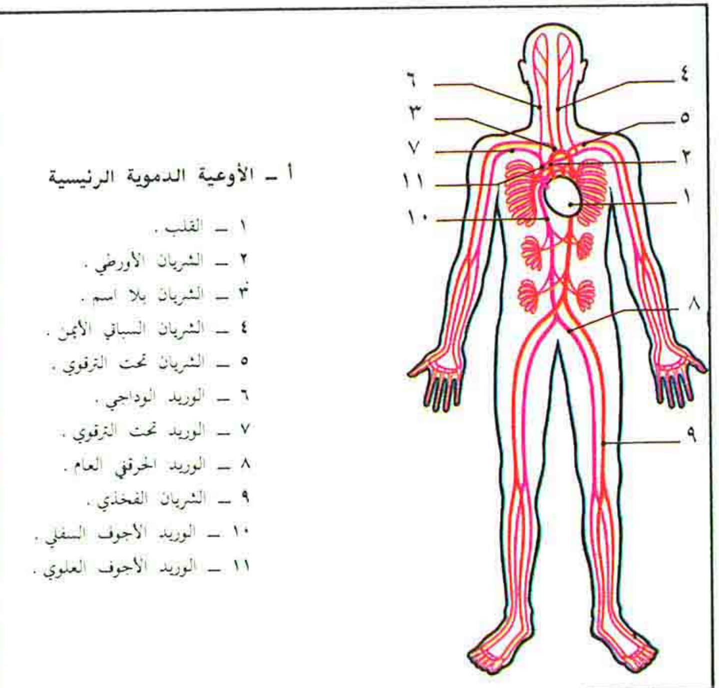
حرس متحرك يجوب جداول الدم في الجسم ليدافع عنه ضد الأمراض التي يسببها **غزو الجراثيم** Microbes والبكتريا المختلفة ، تتميز بخفة حركتها وتندفع على شكل امتدادات وحركات زاحفة تقطع بها واحد مم في الدقيقة ، ويزداد نشاطها كلما اقتربت درجة حرارة الجسم من (٤٠) درجة ، وتستخدم امتداداتها القدمية للإحاطة بالمواد الغريبة وخاصة البكتريا المغيرة التي تدخل الجسم بعدة طرق فتحتويها ثم تبتلعها ثم تهضمها ــ **الهضم الخلوي** Phagcytosis ــ .. وإذا حدث صراع مرير بين البكتريا المسبّبة للأمراض والكريات البيض المدافعة ، أحسّ

وعقدة لمفاوية واحدة في المساريق مصوّرة من الأعلى ★



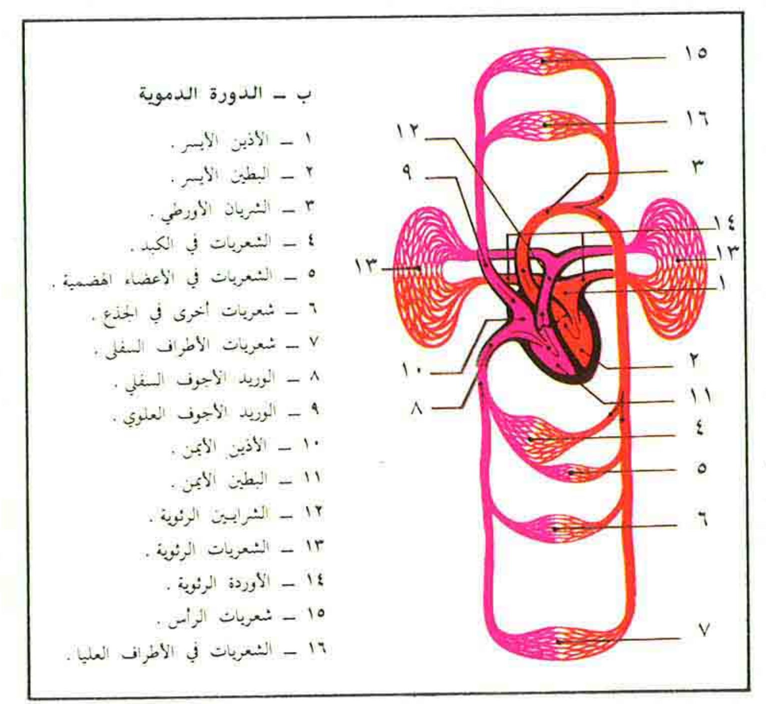


★ الماكروفاج Macrophage كريات بلعمية تغزو وتهاجم وتبتلع الأجسام الغريبة والكائنات العضوية الدقيقة مثل البكتريا ، نشاهدها في عدة أماكن من الصورة وخاصة في الزاوية العليا اليمنى حيث تبدو كدوائر بيضاء .. والخلايا الكبيرة هي خلايا نسيج خام ★



أ ــ الأوعية الدموية الرئيسية

١ ــ القلب .
٢ ــ الشريان الأورطي .
٣ ــ الشريان بلا اسم .
٤ ــ الشريان السباتي الأيمن .
٥ ــ الشريان تحت الترقوي .
٦ ــ الوريد الوداجي .
٧ ــ الوريد تحت الترقوي .
٨ ــ الوريد الحرقفي العام .
٩ ــ الشريان الفخذي .
١٠ ــ الوريد الأجوف السفلي .
١١ ــ الوريد الأجوف العلوي .



ب ــ الدورة الدموية

١ ــ الأذين الأيسر .
٢ ــ البطين الأيسر .
٣ ــ الشريان الأورطي .
٤ ــ الشعيرات في الكبد .
٥ ــ الشعيرات في الأعضاء الهضمية .
٦ ــ شعيرات أخرى في الجذع .
٧ ــ شعيرات الأطراف السفلى .
٨ ــ الوريد الأجوف السفلي .
٩ ــ الوريد الأجوف العلوي .
١٠ ــ الأذين الأيمن .
١١ ــ البطين الأيمن .
١٢ ــ الشرايين الرئوية .
١٣ ــ الشعيرات الرئوية .
١٤ ــ الأوردة الرئوية .
١٥ ــ شعيرات الرأس .
١٦ ــ الشعيرات في الأطراف العليا .

الجسم به فزاد من إنتاجه للكريات البيض لحد مضاعفة عددها العادي في بحر ساعات ، وكثرة الخلايا البيض في الدم يدل الطبيب على أن في الجسم عدوى خطيرة .

عدد كريات الدم البيضاء في الدم أقل بسبعمائة مرة عن الكريات الحمر وتبلغ من (٤٠٠٠ ــ ٩٠٠٠) كرية في المم^{٣} ، **وهي بخلاف الكريات الحمر لها نواة** nucleo وتخرج من الدورة الدموية بسهولة إلى حيث توجد البكتريا ، إضافة لكونها عامل فعّال في إزالة الفضلات ، وهي والعقد اللمفاوية التي تصطاد الجراثيم تعتبر الخط الدفاعي الأول للجسم ، وعمرها قصير يمتد لأيام فقط .

والكريات البيض ستة أنواع مختلفة جميعها أكبر من الكريات الحمر حجماً ، وكل نوع له وظيفة محددة ، وأهم هذه الأنواع :

(١) الكريات متعددة النواة granulocytes وهي أكثرها عدداً وتتميز بانقسام نواتها ، وتهاجم الأجسام الميكروبية (الجراثيم العنقودية) وتهضمها بفعل الأنزيمات الكثيرة التي تخزنها في بروزاتها ، وفي حالة الخطر الشديد والدفاع المستميت ضد الجراثيم والذي يموت فيه كثيراً من الكريات البيض يقوم نخاع العظم بزيادة إنتاجه منها لدرجة قد تصل إلى عشرة أضعاف معدل إنتاجها العادي ، وجثث الكريات البيض والأنسجة التلفة تكوّن الصديد الذي نراه على الجرح مكان الإصابة .

(٢) الكريات أحادية النواة monocytes وهي أكبر الكريات البيض حجماً ، يصنّعها **النسيج الشبكي الأدمي** eudothelial في الطحال ونخاع العظام ، مهمتها طرد الأجسام الغريبة وهضم الكريات البيض والحمر التالفة والميّتة والأنسجة الميّتة ، أي أن مهمتها تنظيفية أكثر منها قتالية .

★ صورة فنية رائعة التقطت من داخل إحدى الشعيرات Capillaries الدقيقة والضيقة جداً.. وترى هنا بعد تكبيرها لآلاف المرات، والكريات الحمر تتزلق فوق بعضها لضيق الشعيرة، وأحياناً تخرج الكريات الحمر من أغشيتها. قطر الكرية الحمراء من (١٠٠٠/ ٧ ـ ٨) من المم ★



(٣) **الكريات اللمفاوية** lymphocytes وتتكوّن في النسيج اللمفاوي lymphatic وفي الطحال والأجهزة شبه اللمفاوية في القناة الهضمية ــ النوع الوحيد الذي لا يصنّعه نخاع العظام ــ، لها دور أساسي في التفاعلات التحصينية للجسم بتحولها لخلايا بلازما وإفرازها الأجسام المضادة Antibodies التي تعادل الأجسام الغريبة (الفيروس. البكتريا. السموم)، والتفاعل التحصيني في الجسم الذي يولّد المضادات والأجسام المضادة يعتبر من وسائل الدفاع الأساسية في الجسم ضد العناصر المسبّبة للأمراض، ومعرفة مولدات المضادات هو الأساس الذي يقوم عليه التشخيص المصلي والعلاج بالأمصال.

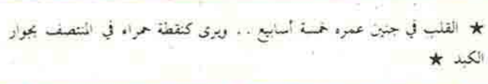
أمراض كريات الدم البيضاء

أهمها مرض أبيضاض الدم الخبيث **اللوكيميا** leukemia، ويتميز بكثرة عدد كريات الدم البيضاء في الدم، ويرتبط مع النمو الورمي للأنسجة شبه اللمفاوية أو النخاعية.. **ومرض الأنيميا** Anemia (فقر الدم) كما نعلم سببه تناقص عدد الكريات الحمر في الدم.

الصفائح الدموية

(thrombocytes) Platelets

أغرب مكونات الدم الخلوية الأربعة، اكتشفت منذ (١٠٠) عام فقط، وهي على شكل صفائح أو قشور مدوّرة، قطرها من (٢ ــ ٣)



★ القلب في جنين عمره خمسة أسابيع.. ويرى كنقطة حمراء في المنتصف بجوار الكبد ★





★ الحجم العادي لقلبي وقلبك بقدر قبضة الكف ★

ميكرونات وليس لها نواة ــ كالكريات الحمر ــ، وعددها من (١٥٠,٠٠٠ ــ ٣٠٠,٠٠٠) صفيحة في المم³ من الدم، وتتكون من تفتت خلايا كبيرة في النخاع العظمي، لها خاصية الالتصاق ببعضها بعضاً والالتزام بالسطح وهذا ما يجعل لها صفات ترميمية فعّالة ومدهشة، وحياة الصفيحة الواحدة لا تدوم لأكثر من ثلاثة أيام فقط.. فعندما يصاب نسيج صغير بجرح تتجمع هذه الصفائح وتكوّن خثارة صفائحية (**تجلّط**) thrombosis لسد مكان نزيف الجرح Wound،



هذا إذا كان الجرح قد سبّب نزيفاً بسيطاً كنزيف الشعيرات الدموية الدقيقة .. أما إذا كان الجرح في أحد الشرايين أو الأوردة الكبيرة ، فتتجمع الصفائح وتلتصق مع بعض وتكوّن على مكان ثغرة انبثاق الدم من الجرح تكتل ، ثم تطلق مواداً كيميائية تحدث تفاعلات عديدة في الدم المسال يتحول على إثرها أحد بروتينات بلازما الدم وهو **الفيبرينوجين** fibrinogen إلى شبكة خيوط تتصالب مع بعضها على شكل شبكة بدوائر أو حلقات ضيّقة من الفيبرين fibrin تحتجز فيما بين تصالباتها الكريات الحمر المتخثّرة وتتكوّن جلطة Clot تعيق انبثاق الدم .

وجميع هذه العمليات تخضع لسيطرة الجهاز العصبي المركزي الذي ينقل أوامره إلى الجسم عصبياً وكيميائياً (**راجع مجلة « الفيصل » العدد (٤٥) الدماغ البشري**) .. ولذا فإن التعرّض للضغوط والأزمات والانفعالات العصبية يزيد من عملية تخثّر الدم ، والأشخاص ذوي الانفعالات العصبية الشديدة هم أكثر الناس تعرّضاً للإصابة بجلطة تسد مجرى الدم في **الشرايين التاجية** coronocry arteries التي تغذي القلب بالدم ، فتمنع الجلطة وصول الدم إلى القلب وتحصل السكتة القلبية مرض العصر الذي يودي بحياة الملايين من البشر كل عام ، ومعدل التجلط عند المرأة يزداد في فترات دورية بمساعدة الهرمونات الأنثوية وذلك لتلتحم الأنسجة الداخلية للرحم عند التمزق والنزيف .

وبعكس التجلط هناك أمراض خاصيتها عدم القدرة على تجلط الدم ، مثل مرض سيولة الدم الهيموفيليا hemophilia وهو مرض وراثي سببه عدم وجود العامل المضاد للنزف Thrombin في الدم ، والمصاب بهذا المرض ينزف جرحه ولا يتوقف سيلان الدم إلا بصعوبة بالغة .

الجهاز اللمفاوي

lymphatic system

سائل مائي أصفر اللون شبيه باللبن يعمل بمثابة جسر يمر عبره الأكسجين والغذاء والنفايات في شبكة ممتدة في جميع أطراف الجسم ، ويحمل اللمف lymph فضل السوائل التي لم تمتصها الشعيرات الوريدية ويعود بها إلى مجرى الدم حيث يصبّها في وريد ما تحت الترقوة الأيمن Right subclavian vein ووريد ما تحت الترقوة الأيسر عند الرقبة .

وتحمل الأوعية اللمفاوية أيضاً المواد الدهنية التي تمتصها شعيراتها من الأمعاء ، والعقد الليفية lymph nodes وهي التي تعنينا تقوم بتطهير وتنقية وترشيح اللمف من الجراثيم والبكتريا والسموم والمواد الغريبة الأخرى وتمنعها من الوصول إلى مجرى الدم بواسطة الكريات البيض اللمفاوية التي تصدّها وتهاجمها وتفنيها ، وعلى هذا فتعتبر العقد اللمفاوية خط دفاع ثان للجسم ضد الجراثيم .

الدورة الدموية

The Circulation of blood

يتكوّن الجهاز الدوري من (القلب . الشرايين الكبيرة . الشرايين الدقيقة . الأوردة الكبيرة . الأوردة الدقيقة . الشريّنات الدقيقة . الشعريات) ، **وعلى عاتق الجهاز الدوري بالكامل يقع عبء نقل المواد الغذائية والأكسجين إلى جميع خلايا الجسم** ، فينقل خلاصات المواد الغذائية من الأمعاء والكبد وينقل فضلات الأنسجة ، ويلتقط الأكسجين من الرئتين ويوصلها إلى خلايا الأنسجة ، كما يحمل غاز ثاني أكسيد الكربون من الأنسجة إلى الرئتين ليطرح خارجاً .

وللجهاز الدوري The Circulatory system ثلاث دورات : (١) **الدورة العامة (الكبرى)** . (٢) **الدورة الرئوية (الصغرى)** . (٣) **الدورة البابية** .

(١) **الدورة العامة (الكبرى)** : تتمثل وظيفة الدورة الدموية في تزويد كل خلية في الجسم بالدم المحمّل بالغذاء والأكسجين ، وأخذ الفضلات المتخلفة عن عمليات أيض الخلية cell metabolism وإيصالها إلى الرئتين والكبد والكليتين حيث تطرح كفضلات أو تحوّل إلى مواد أقل سمّية .. ويشكّل القلب والأوعية الدموية blood vessels نظاماً مغلقاً تمام الغلق كدائرة لا نهاية لها ، حيث يضخ حوالي (٦٠) سنتي متراً مكعباً (سم٣) من الدم مع كل نبضة من نبضات القلب خارج البطين الأيسر left ventricle عبر **الشريان الأورطي الصاعد** Ascending Aorta أكبر شريان في الجسم والذي يبلغ اتساعه حوالي (٢,٥) سم تقريباً ، وبعض هذا الدم يغذّي القلب نفسه عبر الشريانين التاجيين Coronary Arteries .. والشريان الأورطي بعد أن يتقوّس تقوّسه الكبير صاعداً من القلب يتفرع منه ثلاثة شرايين كبيرة . (١) **الشريان اللا اسم له** Innominate artery الذي ينقسم بدوره إلى **الشريان السباتي الأيمن** Right carotid الذي يمد الناحية اليمنى من الرأس بالدم ، **والشريان تحت الترقوي الأيمن** Right subclavian artery الذي يمد الذراع اليمنى بالدم . (٢) **الشريان السباتي الأيسر** left carotid الذي يمد الناحية اليسرى من الرأس بالدم . (٣) **الشريان تحت الترقوي الأيسر** left subclavian artery الذي يمد الذراع اليسرى بالدم ، والقسم الثاني من الشريان الأورطي الكبير يشق طريقه عبر البطن ، وعند أسفل جزء منه ينقسم ليكوّن الشريانين الحرقفيين العامّين common iliac arteries اللذان يزودان الحوض والساقين بالدم .. **ولا يفوتنا أن نذكر بأن شرايين كثيرة تتفرع عن الشريان الأورطي لتزوّد مختلف أعضاء الجسم بالدم** ، كما تتفرع من هذه الشرايين شريّنات دقيقة Minute Arterioles تتفرع بدورها إلى شعريات دقيقة capillaries التي توجد بالملايين في شبكات متكاثفة لا تحصى ،

ورحلة الدم تصل لآخر المطاف عند هذه الشعيرات الدقيقة التي يكون تحركه فيها بطيئاً نوعاً ما لأنها ضيّقة جداً بحيث تضطر الخلايا الدموية أحياناً إلى الانزلاق من أغشيتها عبر طرق جانبية ، وعبر هذه الشعيرات الدقيقة تصل المواد الغذائية والأكسجين إلى جميع خلايا الجسم ، كما تتخلّص الخلايا من فضلاتها وغاز ثاني أكسيد الفحم عبرها أيضاً بحيث يتغير لون الدم الأحمر القاني إلى اللون الأحمر الداكن لأنه أعطى الأكسجين وأخذ غاز ثاني أكسيد الفحم ، ويسيل الدم عبر الشعيرات إلى الأوردة الصغيرة فالأوردة الكبيرة عائداً إلى القلب من الناحية اليمنى من الجسم ليصبّ في **الأذين الأيمن** Right atrium ثم ينحدر إلى **البطين الأيمن** right ventricle عبر الصمّام الثلاثي الشرفات Tricuspid valve ، ومن البطين الأيمن يخرج في **الشريان الرئوي الكبير** Pulmonary artery الذي يوصل الدم إلى الرئتين لتزوّدانه بالأكسجين بعد أن يطرح غاز ثاني أكسيد الكربون ويعود بلونه الأحمر القاني إلى **الأذين الأيسر** left atrium عبر الأوردة الرئوية الكثيرة . .

(٢) **الدورة الرئوية (الصغرى)** . . ويمر الدم من الصمّام المتوالي Mitral Valve إلى البطين الأيسر left ventricle الذي يضخّه عبر الصمّام الأورطي إلى الشريان الأورطي الكبير ليبدأ دورته حول الجسم من جديد . . والوقت الذي تستغرقه هذه الدورة الطويلة الكاملة والمعقّدة والملتوية للدم منذ دخوله الأول إلى الأذين الأيسر وإلى أن يعود ويدخله ثانية لا تستغرق أكثر من (٢٠) ثانية .

(٣) **الدورة البابية** : الأوردة التي تنقل الدم من الأمعاء ومن الطحال هما الوريدان المساريقيان Mesenteric veins الأعلى والأسفل والوريد الطحالي splenic vein حيث يتّحدوا ليكوّنوا الوريد البابي portal vein الذي يحمل الدم إلى الكبد ، وفي الكبد يتفرع الوريد البابي ليسري الدم في جميع أجزاء الكبد ، ثم يجمّع الدم في الوريد الكبدي hepatic vein الذي يصب في الوريد الأجوف السفلي الذي يصب بدوره في الأذين الأيمن . . وهناك دورات أخرى محليّة **كالدورة الكلوية** (إلى الكليتين) **والدورة الدماغية** (إلى الدماغ) **والدورة التاجية** (إلى القلب ذاته) .

القلب Heart

يبدأ القلب دقاته والجنين في بطن أمه بدءً من الشهر الثالث للحمل وهو في مرحلة الـ fetus ، **والجنين في هذا العمر يستمد الأكسجين من المشيمة** Placenta ، **وبعد الولادة يستخدم الدورة الدموية والرئتين .**

والقلب عضلة مجوّفة على شكل مخروط بحجم قبضة اليد fist ويقع في التجويف الصدري بين الرئتين وإلى الخلف من عظمة القص ، ويتكون من أربع حجرات هي : الأذين الأيمن Right atrium والبطين الأيمن Right ventricle اللذان يكوّنا القلب الأيمن ، والأذين الأيسر left atrium والبطين الأيسر left ventricle اللذان يكوّنا القلب الأيسر ، ولا يوجد أي اتصال طبيعي يسمح بمرور الدم بين القلب الأيمن والقلب الأيسر ، ذلك أن لكل جانب دورته الخاصة ، فالجانب الأيمن يدفع الدم في الدورة الرئوية ، والجانب الأيسر يدفع الدم في الدورة العامة (الكبرى) . والأذينان الأيسر والأيمن ــ الحجرتان العلويتان ــ يستقبلان الدم ، والبطينان الأيسر والأيمن ــ تحتهما ــ يضخّان الدم ، ويتصل الأذين الأيمن بالبطين الأيمن بواسطة الصمّام الثلاثي الشرفات Tricuspid valve ، ويتصل الأذين الأيسر بالبطين الأيسر بواسطة الصمّام المتوالي Mitral valve ، ويزوّد الشريانان التاجيان (الإكليليّان) Coronary arteries عضلة القلب بالدم الحاوي للغذاء والأكسجين .

والقلب مركز جهاز الدوران ، يأتي إليه الدم بواسطة الأوردة ليصبّ في الأذينين ، فالدم الوارد من الأنسجة محمّلاً بغاز ثاني أكسيد الكربون يصب في الأذين الأيمن بواسطة الوريد الأجوف السفلي inferior vena cava والوريد الأجوف العلوي superior vena cava ويمر من الصمّام الثلاثي الشرفات إلى البطين الأيمن ليضخّه إلى الشريان الرئوي الذي يوزعه على الرئتين ليجري تزويده بالأكسجين ويطرح غاز ثاني أكسيد الكربون ، ثم يعود الدم وقد تنقّى وحمّل بالأكسجين عبر الأوردة الرئوية إلى البطين الأيسر بعد أن يمر من الصمّام المتوالي ، ويعود البطين الأيسر ليضخّ الدم عبر الصمّام الأورطي إلى الشريان الأورطي الكبير وليجري توزيعه على سائر أجهزة الجسم ــ ضغط الدم في الأورطي يبلغ (١٢٠) مم زئبق ــ .

والقلب ينقبض وينبسط بانتظام ، وفي انبساطه يتدفق الدم إلى تجاويفه ، وفي انقباضه يدفع نفس الدم إلى الشرايين الرئيسية لتوصله إلى جميع أطراف الجسم ، ويزن القلب من (٢٢٥ ــ ٣٤٠) غراماً ، وينبض من (٦٠ ــ ٨٠) نبضة في الدقيقة في الوضع الطبيعي .

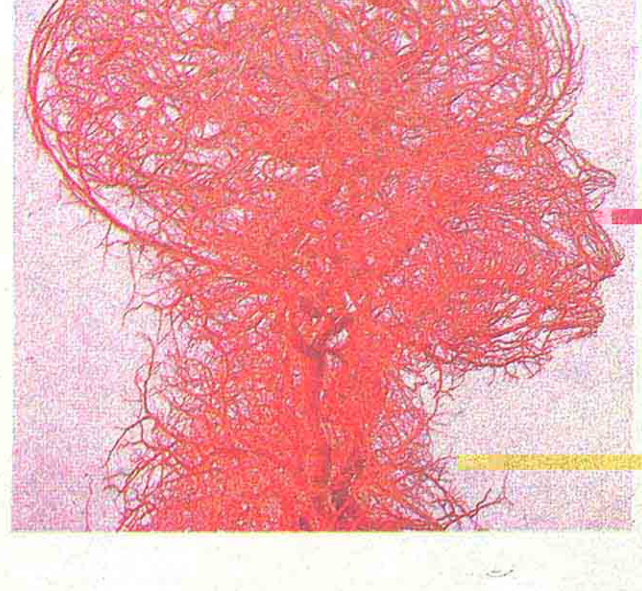
نبضة القلب : مجموعة من الأحداث تنشأ عن نبضة قلب واحدة ، ففي أثناء كل دورة ينقبض أذينا القلب الأيمن والأيسر سوية ويدفعان بالدم إلى البطينين الأيمن والأيسر ، وهذه هي فترة انقباض القلب systole ، وينبسط diastole البطينان ويتمدّدان ويمتلآن بالدم . ثم ينقبض البطينان وينساب الدم من خلال الصمّام الأورطي والصمّام الرئوي إلى الشريان الأورطي الكبير والشريان الرئوي الكبير ، ثم لتعود الدورة من جديد ، وتحدث هذه الدورة من (٦٠ ــ ٨٠) مرة في كل دقيقة .

أصوات القلب : يصدر عن القلب السليم صوتان ، الصوت الثاني منهما أقصر وأشدّ حدّة من الصوت الأول ، ويرجع الصوت الأول إلى انغلاق الصمّام الثلاثي الشرفات والصمّام المتوالي ، ويرجع الصوت الثاني

الدم شريان الحياة

★ منظر داخلي من الشريان التاجي الذي يغذي القلب لرجل مسن عمره (٥٥) عاماً ★





إلى انغلاق الصمّام الأورطي والصمّام الرئوي عند انبساط البطينين.. وإصابة هذه الصمّامات بمرض يحدث ذبذبات بين صوتي القلب تسمى بلغط القلب Murmur، وبدراسة هذا اللغط يحدّد الطبيب المختص الصمّام التالف المريض.

استطلاع حالة القلب: أجهزة عدة تستعمل لتسجيل النشاط الكهربي للقلب والاهتزازات الصوتية، ومن هذه الأجهزة **الرسّام الكهربي للقلب** الذي يسجّل النشاط الكهربي للقلب بعد أن توضع أقطاب كهربية ملاصقة للجلد في عدة مواضع من الجسم، ويقوم جهاز قياس جلفاني لشدة التيار بتسجيل هذا النشاط على شريط من الورق على شكل خطوط بيانية تشخّص الأمراض، ويقوم الرسّام الصوتي للقلب بتسجيل الاهتزازات الصوتية لنبضات القلب فيبيّن الأصوات غير الطبيعية الناشئة عن مرض ما، ويقوم جهاز القسطرة وهو عبارة عن إدخال وريد أو شريان للقسطرة ومراقبة بالأشعة السينية لدرس الضغوط المختلفة، وتضخّ مادة لا تخترقها الأشعة السينية لتسجيل رسم كهربي وصوتي لداخل تجاويف القلب.

تزويد القلب بالدم (التروية القلبية)

يزوّد الشريانان التاجيان (**الإكليليّان**) coronary arteries عضلة القلب بالدم الحاوي للغذاء والأكسجين.. وتنشأ السكتة القلبية (مرض العصر) عن تضييق أو إنسداد جزئي في أحد هذه الشرايين فينقطع مدد الدم عن جزء من القلب، ولكن الجسم قد يعوّض هذا الجزء الذي انقطع عنه الدم بواسطة شعريات تتسع وتمتلئ بالدم لتوصله إلى المكان المطلوب فور الإصابة بالسكتة القلبية، علماً بأن هذه الشعريات الدقيقة المتناهية في الصغر لا تحمل بداخلها دم في الأحوال العادية، ولكن فور الإصابة تنفتح وتتوسع ويجري الدم فيها ولتقوم بعمل الشريان الذي انسد مجراه بتجلّط.

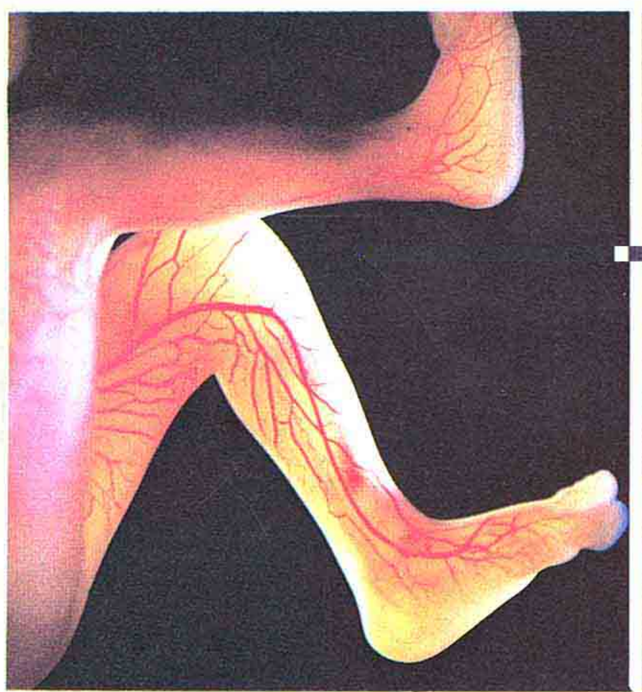
منظّم القلب (روح القلب)

روح القلب وروح الكائنات في عقدتين بسيطتين تعملان كبطارية كهربية تشحن وتفرّغ لمد القلب بنبضه الدائم والمتواصل رمز الحياة.. منظّم بديع أبدعه مُبدع كل ما في الوجود من إبداع.. وخلقه آية دالة من آيات الوجود الذي كان خلقه آية للاعتبار والتدبّر والتفكّر في كل ما أوجد الله وصنع وأعجز.. علّها تسبّح وتمجّد وتعظّم قدرة الله (جل وعلا).. وعلّنا نستنزل قليلاً من غرورنا كبشر وندرك أن حياة من لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا إنما تتوقف على نبضة يأمرها خالقها ومسوّيها بأن تقف فتقف.. فهو سبحانه وحده من يقول للشيء كن فيكون.

فالانقباضات العضلية لعضلات القلب والتي تولد **الانقباض** systole في حجراته لدفع الدم، وتولّد **الانبساط** diastole لملء الدم في حجراته.. إنّما تتولدّ من تتابع نبضات كهربية منتظمة تنشأ من خلايا تتجمّع في عقدة تسمّى بـ(**العقدة الجيبية الأذينية**) sino-atrial node.. وهنا من مكانها في أعلى الأذين الأيمن تشحن نفسها

★ الأوعية الدموية في الرجلين والذراعين ★





وتفرّغ شحنتها لتنطلق على شكل موجة في إثر موجة ندعوها بموجة التنشيط لتنبّه جدران الأذينين لينقبضا ، ومن ثم تصل النبضات الانقباضية إلى منطقة العقدة الثانية التي ندعوها بـ(**العقدة الأذينية البطينية**) atrio-ventricular node وتقع في الحد الفاصل بين الأذين الأيمن والبطين الأيمن ، وبسرعة (٤) أمتار في الثانية تقريباً تنتقل الشحنة الكهربية في ألياف **حزمة هس** Bundle of His وهي ألياف عضلية مهيئة للتوصيل السريع ، لتنتشر الشحنة في الألياف العضلية للبطينين على التشعّب ، فينقبضا ويدفعا بالدم في الدورة العامة على جميع أجزاء الجسم وفي الدورة الرئوية على الرئتين .

وما هو معلوم لنا جميعاً أنه بعد انقباض الأذينين أو انقباض البطينين يعودان للانبساط بانتظار شحنة كهربية جديدة تعيدهم إلى الانقباض .. وهكذا .. تتكرر العملية (١٠٠) ألف مرة يومياً تقريباً ، فيا لعظمة وجلال قدرة الله .. ويا لبديع صنعه وإعجازه .

ولكن .. لمَ سميناهما بروح القلب وروح الكائنات ؟ لهذا دليل موجب وإثبات مقنع نسوقه شرحاً .. فالقلب لولاهما لما كانت قدرته على النبض تتجاوز الـ(٢٠ ــ ٣٠) نبضة في الدقيقة .. ولنتصور حال إنسان لو عاش ونبضه لا يتعدّى هذه النبضات القليلة البطيئة .. لا قوة له ولا قدرة ووجه ممتقع أصفر شاحب وحاله أشبه بالميّت الحي .. ولكن الله لطف وأراد أن يُري خلقه الضعيف هذا منته عليه وفضله . وما حال الدنيا وما فيها من تدبير وقضاء وإبداع صنع وإعجاز خَلق .. إلا لنتعرّف من خلالها على مَنْ أوجدها فنرى اليد العليا المهيمنة التي تُحيي وتُميت .. تفعل ما تشاء .. إثبات قدرة لا حد لها وسطوة تفني الوجود وما فيه .. ليبقى الواحد القهّار .. وهكذا فإن هاتين العقدتين تنشّطا القلب وتجعلاه ينبض من (٦٠ ــ ٨٠) نبضة في الدقيقة وأكثر من ذلك حين الأزمات ليبقى الإنسان موفور الصحة والنشاط والحيوية .. وما كان أهون على الله (العلي القدير) أن يجعل القلب ينبض من (٦٠ ــ ٨٠) نبضة دون هاتين العقدتين ، ولكنه إعجاز التدبير الذي سنرى من خلاله يد الله اللطيفة الحكيمة المدبّرة وهي تفعل .. وهذه هي رؤية الله لأهل البصائر والأفهام والواصلين وليست رؤية العيون التي لا تَري إلا الضلال .

ونبضات القلب هذه ينظّمها من فوق مركز خاص في الجهاز العصبي اللاإرادي ، ومكانه نقطة في النخاع المستطيل تمتد منها أعصاب تسرّع نبضات القلب إذا لزم وتهدّئ من تسارع هذه النبضات إذا لزم ، ذلك أن الجسد أحياناً تلزمه طاقة إضافية للبذل أو مجهود عنيف سيصرف .. ويتحكّم هذا المركز العصبي في معدّل العقدة الجيبية الأذينية فقط عن طريق **العصب الحائر** vegus nerve الذي يخفّض من معدّل شحنها ، وعن طريق الأعصاب السمبتاوية التي تزيد من معدّل شحنها لتتسارع النبضات ، ويتوقف معدّل نبضات القلب على نشاط العقدة الجيبية الأذينية ، لأن العقدة الأذينية البطينية لا يؤثر فيها أي مؤثر خارجي ، ومعدّل انقباضها يتراوح بين (٣٥ ــ ٤٥) ضربة في الثانية ، وإذا تلفت العقدة الجيبية الأذينية فإن العقدة الأذينية البطينية تؤدي دورها .

الدم شريان الحياة

كيف تلتئم الجروح وتشفى؟

الجرح يحدث قطع يدمي لبرهة وجيزة ، ثم يكوّن قشرة scab على السطح ، وفي غضون أسابيع يلتئم تماماً ولا يبقى محله إلا ندبة صغيرة scar .. ومعظم الجروح القطعية صغيرة ينفرج جانبا القطع قليلاً فقط ، ويحدث الالتئام سريعاً وبصورة طبيعية .. ولكن إذا كان الجرح قد أحدث قطعاً كبيراً وانفرج الجانبان وتباعدا ، فيلزم هذا الجرح ليلتحم خياطة الجانبين مع بعضهما فيلتئم بسرعة بواسطة عمل **الصفائح الدموية** كما سبق وعرفنا ، والتي تكوّن **الجلطة** clot التي تسد النهايات المقطوعة للشرايين فتوقف نزيف الدم ، وتبدأ الأوعية الدموية في تكوين فروع صغيرة كثيرة تنمو بسرعة وتتشعّب داخل الجلطة لتكوّن شبكة من الأوعية الدموية الجديدة الصغيرة ، والتي بداخلها ملايين من **خلايا النسيج الضام** fibroblasts وظيفتها الإبقاء على جانبي الجرح ملتصقين ، وخلايا الأوعية الدموية وخلايا النسيج الضام تشكّلا النسيج الندبي الذي ينمو على حواف الجلد عبر سطح الجرح حتى تتلاقى حواف الجرح في الوسط ويتّصل الجلد مرة أخرى .. ثم يحل ببطء نسيج ليفي قوي محل النسيج الندبي وتسقط القشرة .. ويمكن رؤية النسيج الالتئامي كخط قرمزي يصبح أبيضاً فيما بعد ، ويبقى كندبة تبقى مدى العمر .

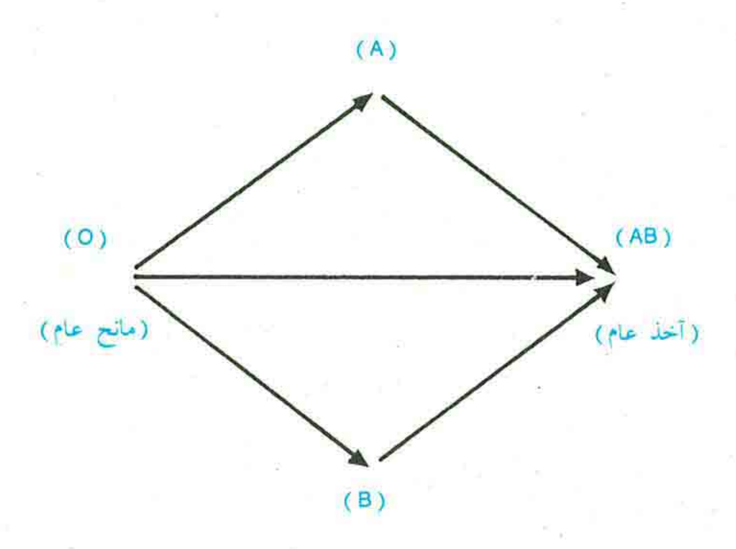
فصائل الدم

على سطح الكريات الحمر في الدم مادة مثيرة تسمى **مولّد الضد** Antigen ، وعلى أساس من اختلاف وتنوّع مولد الضد هذا صنّف الدم البشري إلى فصائل أربع ــ يوجد فصائل أخرى نادرة كثيرة ــ .. فكريات حمر بها مولّد ضد من نوع (A) وكريات حمر بها مولّد ضد من نوع (B) وكريات حمر ثالثة بها مولّد ضد من نوع (AB) وكريات حمر رابعة ليس فيها أي مولّد ضد وسمّيت بـ (O) .

في ذات الوقت يوجد في بلازما الدم (المادة السائلة) أجسام مضادة Antibodies على نوعين ، النوع الأول سمّي بـ (**ألفا**) Alpha والنوع الثاني سمّي بـ (**بيتا**) Beta .. ولأمر نجهله ولترتيب ربّاني مقدّر أريد به معانٍ وعبر .. فإن بلازما الدم لكل شخص تحتوي على أجسام مضادة عكس مولّد الضد الموجود في كرياته الحمر .. بمعنى أن الشخص الذي فصيلة دمه من نوع (A) توجد في دمه مادة مضادة لشخص فصيلة دمه من نوع (B) والعكس صحيح .. أما الشخص الذي فصيلة دمه من نوع (AB) فإنه ليس لديه أية مواد مضادة ، والشخص الذي فصيلة دمه من نوع (O) عنده مواد مضادة لكل من (A) و (B) .

ونوضّح أكثر .. فنقول .. إن الشخص الذي فصيلة دمه من نوع (A) يصلح دمه للشخص الذي دمه من نفس فصيلته (A) ويصلح أيضاً لمن دمه من فصيلة (AB) ــ لأن هذه الفصيلة ليس بها أجسام مضادة بتاتاً ــ ، ويحدث التلبد ويموت الشخص الذي يعطى له دم من فصيلة (A) وهو من فصيلة (B) .. والعكس صحيح .. والشخص الذي دمه من فصيلة (B) يصلح دمه لشخص دمه من نفس فصيلته (B) ويصلح أيضاً لمن دمه من فصيلة (AB) .. أما الشخص الذي دمه من فصيلة (O) فيصلح دمه لجميع الفئات (A) . (B) . (AB) لأن فصيلة دمه ليس بها أيّ مولّد ضد ، والشخص الذي فصيلة دمه (AB) لا يصلح دمه إلا لشخص من نفس فصيلة دمه (AB) لأن دمه يحوي مولّد الضد (A) ومولّد الضد (B) .

وعلى هذا فيعتبر الشخص من فصيلة (O) مانح عام يعطي دمه للفصائل الثلاث (A) و (B) و (AB) ولا يصلح معه دم إلا من نفس فصيلته (O) .. والشخص الذي فصيلة دمه (AB) آخذ عام ، يأخذ دم من الأنواع الثلاثة (A) و (B) و (AB) ولا يصلح دمه إلا لأشخاص من نفس فصيلة دمه (AB) .. والرسم التالي يسهّل الأمر قليلاً .. فتعقيد بسيط كهذا كاد يضيّعنا .. فكيف بمن حوى علوم الأرض والسماء وما يزال ..



وثمة فكرة تدّعي بأن زمر الدم تعبّر عن نفس الإنسان وصفاته ، فالأشخاص الذين فصيلة دمهم من نوع (O) أناس طيّبون صاحبي أثرة وسخاء ويعطون ولا يأخذون ، في حين أن الأشخاص الذين فصيلة دمهم من نوع (AB) أناس أنانيون شحيحون يأخذون ولا يعطون .. أما الأشخاص من ذوي الفصائل (A) و (B) فوسط في العطاء والأخذ .. قد يكون في بعض هذا قليل من الصحة .. ولكن لا ثبات في كل أمر .


SEIKO
QUARTZ
سيكو
تقدم
مجموعه ساعات سيكو "الأسد"
مجموعة سيكو "الأسد" الجديدة الحديثة جدًا
مصممة بعناية فائقة وفريدة تجمع بين
التكنولوجيا الأكثر تطورًا واحساس
سيكو الهندسي . سيكو كوارتز
الوكيل العام
الحصيني
جده ـ الرياض ـ الدمام
مكه ـ المدينه المنوره ـ ابها
SEIKO

لوحة و فنان

● فتاة وحصان ●

● يحاول الفنان في هذه اللوحة المزج والتوفيق بين **الأسلوب الهندسي والأسلوب العضوي**، ويعتبر التوفيق بين الأسلوبين من أصعب المعادلات في فن التصوير .. فنجد أن اللوحة من الناحية البنائية هندسية التكوين، وذلك لاستخدامه الخطوط المستقيمة والمنحنية، والتي يحقق بها الهارموني الخطي في اللوحة، ومن التقاء تلك الخطوط وتقاطعها تنشأ مساحات هندسية: مربع، مستطيل، شبه منحرف، بيضاوي .. وفي تلك المساحات أو في بعضها يضع الفنان مفرداته، ورموزه، وأشكاله العضوية التي تمثل الجانب الموضوعي في لوحاته.

● في تلك اللوحة يستمد الفنان بنائية اللوحة من البنائية الهندسية للفنان العالمي **موندريان**، أما الموضوعية فيستمد رموزها من **البيئة السعودية** وهي هنا الفتاة والحصان والزخارف الشعبية التي تتميز بها بيئة الفنان.

● البنائية في تلك اللوحة تعتمد على القوة الكاردة المركزية وتظهر من اتجاهات التشكيل الأساسي في اللوحة .. بالرغم من وضعه مفرداته الرئيسية الفتاة والحصان في الجانب العلوي من اللوحة.

● تبدو اللوحة وكأنها قطعة من الزجاج المعشق لاعتماده على **هارمونية الألوان المتضادة**، وما تعكسه من درامية للموضوع .. واستخدامه الخطوط والمساحات الهندسية، وتلوينه لتلك المساحات بألوان مستمدة من البيئة الشعبية .. وأيضاً لاستخدامه الضوء الذي ينبع من مساحات اللون الفاتح .. فالضوء لا ينبع من مصدر واحد كالتكوينات الأكاديمية، لكنه ينبع من السطح نفسه .. لذا ظهرت اللوحة وكأنها قطعة مضيئة من الزجاج المعشق.

● بكر محمد علي شيخون ●

● من مواليد عام ١٩٤٦م.

● حصل على دبلوم معهد التربية الفنية بالرياض، وعلى دبلوم أكاديمية الفنون الجميلة بروما.

● يعمل الآن مدرساً للتربية الفنية بالرياض.

● اشترك في معارض فنية داخل المملكة وخارجها منها:

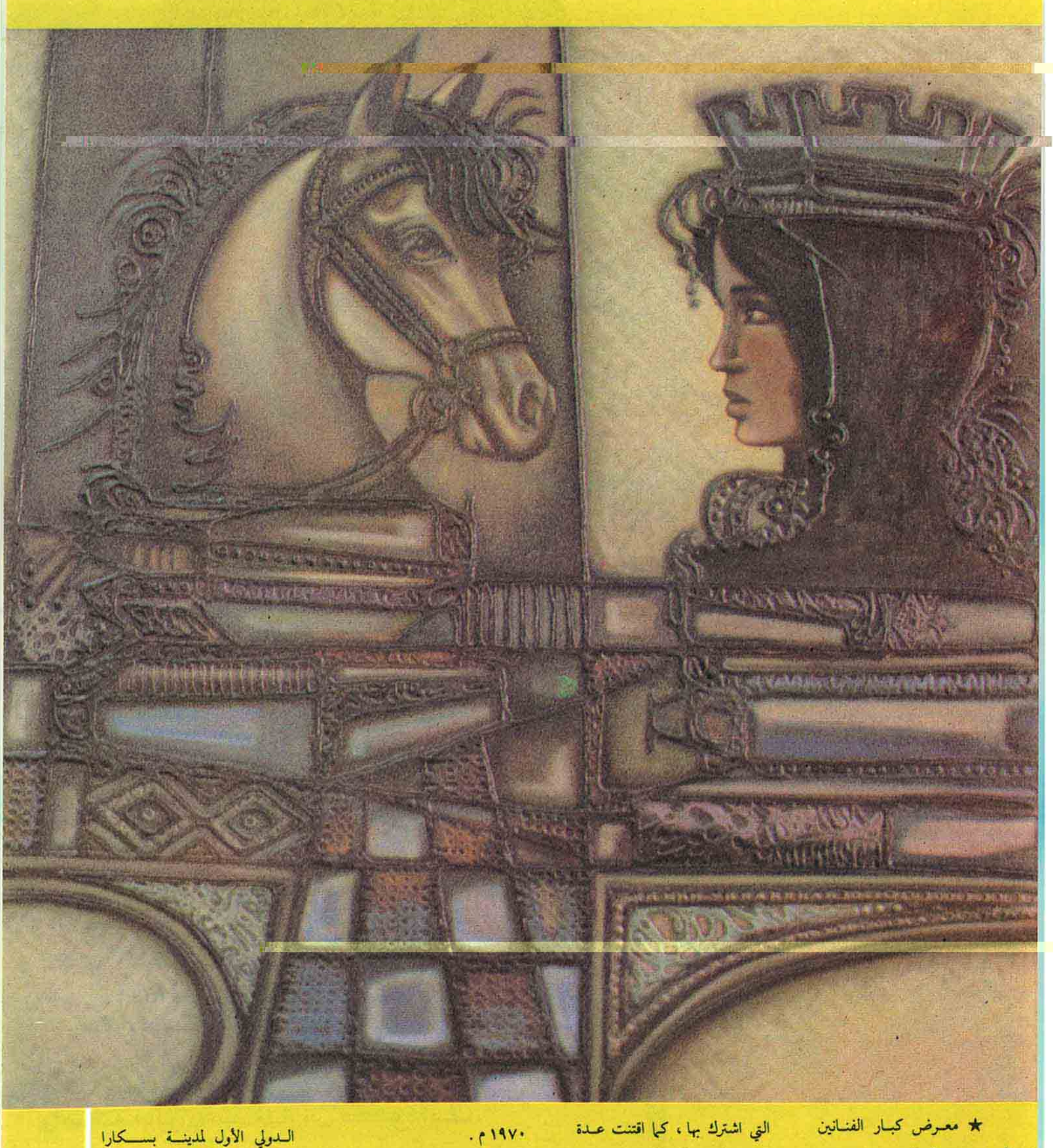
★ المعرض الرباعي للفنانين العرب في صالة العرض بالنادي الأهلي بجدة عام ١٩٧٠م.

★ معرض أندية المنطقة الغربية بالطائف عام ١٩٧٠م.

★ معرض أبيزا الدولي بإسبانيا عام ١٩٧١م.

★ معارض جماعية أقيمت بكل من روما، بسكارا، فلورنسا في الفترة من ٧٥ – ١٩٧٩م.

★ معارض مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالمنطقة الغربية.



★ معرض كبار الفنانين السعوديين بالرياض .. ومعرض الفن السعودي بألمانيا ١٩٨١م.

● حصل على العديد من الجوائز والميداليات في المعارض التي اشترك بها، كما اقتنت عدة جهات أعماله في بلدان مختلفة، نذكر منها:

ـ الجائزة الأولى لمعرض رعاية الشباب بالطائف عام ١٩٧٠م.

ـ الجائزة الأولى لأحسن فكرة وإعلان عن السيارات عام ١٩٧٢م.

ـ جائزة اقتناء في المعرض الدولي الأول لمدينة بسكارا بإيطاليا عام ١٩٧٨م.

ـ الجائزة الأولى للمعرض العالمي الثالث للفنانين الأجانب بروما عام ١٩٧٥م.

كاميرا فوريّة مِن كوداك

الوحيدة المجهّزة بعدسة لتصوير اللقطات القريبة جدًا وفلاش الكتروني



تمتّع اليوم بالتصوير الفوري
مَع **كوداك** ...
كوداك وحدهَا تقدّم لك كاميرَا
فوريّة مجهّزة بفلاش الكتروني
مبيّتْ وعَدسَة لتصوير اللقطاتْ
القريبَة جدًا. الآن إقتربْ مِن الموضوع،
إلتقط الصّورَة ،وَاحصُل عليهَا فورًا
واضحَة بألوَان طبيعيّة مِن **كوداك**.

كاميرا كوداك الجَديدة للتصوير الفوري

كوداك ترضيك ... في كلّ مَا تعطيك.



زحف الرمال

وطرق مقاومتها في المملكة العربية السعودية

بقلم: عبد القادر محمد السري

تغطي الرمال نسبة كبيرة من مناطق المملكة العربية السعودية ، وشبه الجزيرة العربية بصفة عامة . ورغم ما للصحراء والكثبان الرملية من تأثير خلاب على البعض فإن تأثيرها على آخرين عكس ذلك تماماً ، فالرمال المتحركة تسبب الكثير من المتاعب للعديد من السكان في مناطق الرمال .



★ إحدى القرى شمال مدينة الزلفي ، وقد أحيطت بالرمال من كل جانب ★

زحف الرمال وطرق مقاومته في المملكة العربية السعودية

وتتوزع الرمال في المملكة العربية السعودية في المناطق الصحراوية ، وشبه الصحراوية **كالربع الخالي ، والنفود ، والدهناء ، والجافورة** . ويتعرض الكثير من أجزاء المملكة العربية السعودية خاصة **المنطقة الشرقية** التي تعتبر إحدى المناطق الصناعية الهامة ، والواقعة ضمن منطقة الجافورة إلى **زحف مستمر من الرمال** ، نتيجة تأثير الرياح الشديدة التي تزيد سرعتها في **فصل الصيف** ، حيث **تسود الرياح الشمالية والشمالية الغربية** ، التي تهب محملة بالغبار والرمال ، وتسفيها على المدن والقرى والمنشآت الصناعية .

وفي دراسة سابقة عملت مقارنة بين مناطق الرمال في العالم ، واتضح منها أن المنطقة الشرقية في المملكة من المناطق ذات البيئة الرياحية العالية في العالم حيث تنشط الرياح وتزيد سرعتها بحيث تستطيع حمل أكبر كمية من الرمال ، وبالتالي يصبح معدل سرعة تحركات الرمال وانسياقها بفعل الرياح مرتفع جداً إذا ما قورن مع مناطق العالم الصحراوية الأخرى (جدول رقم ١) .

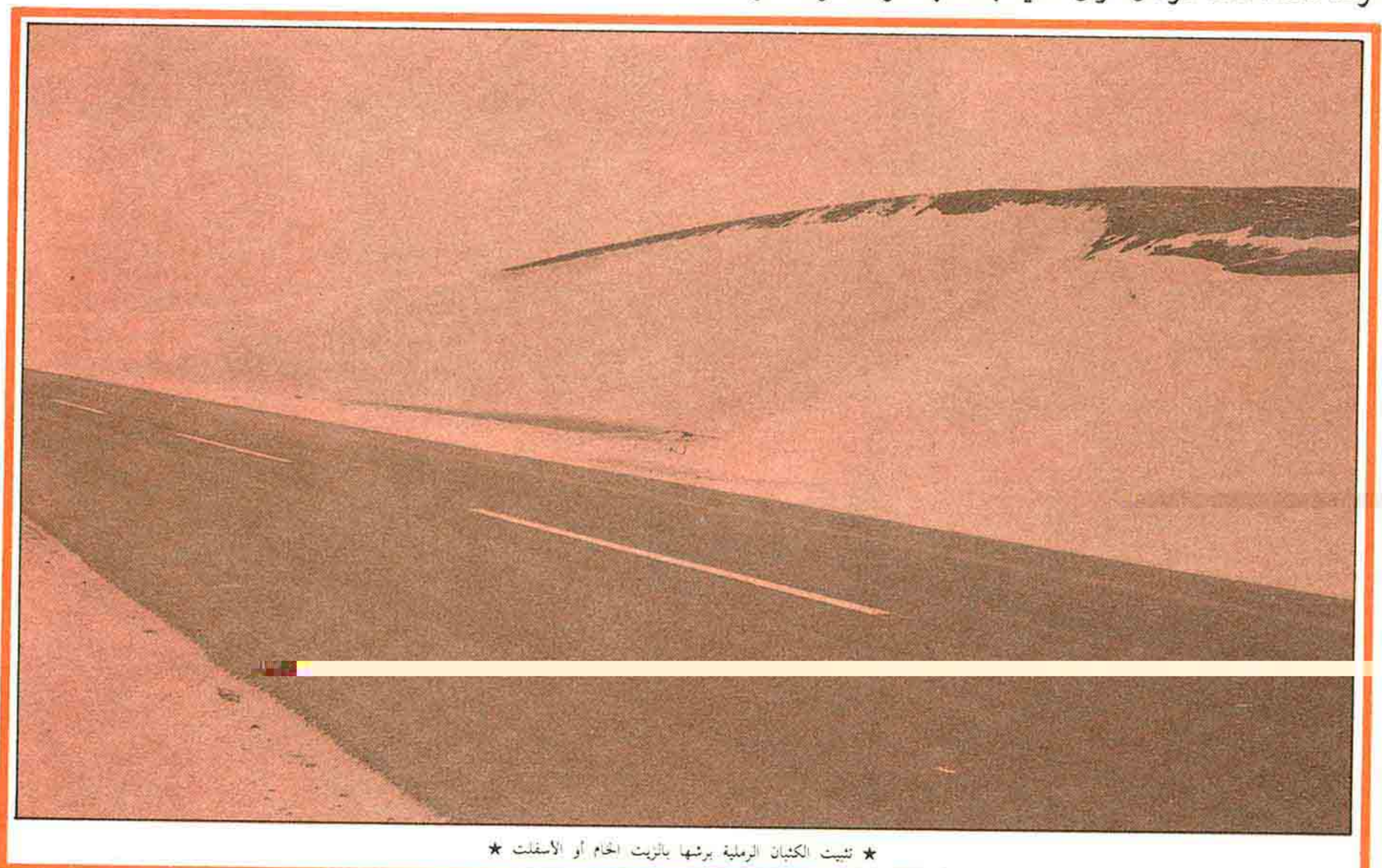
وقد قدرت كمية الرمال الزاحفة على **واحة الأحساء الزراعية** بحوالي ٢٣٠,٠٠٠ متر مربع ، تغطي ما مساحته ٢٠ فداناً كل عام ، **وقد دفنت هذه الرمال قرى قديمة بأكملها كواسط والناظرة وجواثة التي كانت عاصمة الأحساء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .**

وتعاني الدوائر الحكومية والمؤسسات الكثير من المشكلات الناتجة عن زحف الرمال ، وتصرف ملايين الريالات للحد من زحف الرمال ومحاولة تثبيتها . **ونتيجة لذلك كانت هناك العديد من المحاولات والتطبيقات لطرق مختلفة للحد من زحف هذه الرمال . ويمكن تقسيم الطرق التي طبقت في المملكة إلى أربعة أقسام رئيسية ، وسنعطي فكرة مبسطة عن كل منها :**

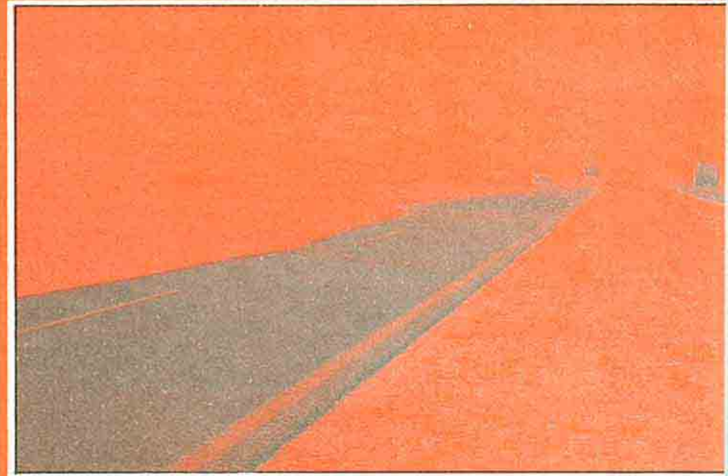
(١) استعمال الزيت الخام والأسفلت والمواد الكيميائية

يرجع تاريخ استخدام رش الزيت الخام على الكثبان الرملية إلى بداية اكتشاف الزيت في المملكة ، فقد كابدت شركات الزيت العاملة الكثير من المتاعب أثناء التنقيب ، بل إن الرمال تغطي معظم الطرق التي يتم بناءها لغرض تسهيل المواصلات بين الأقسام المختلفة العاملة في الحقول .

ونتيجة لذلك بدأت فكرة رش الزيت الخام على جوانب الطرق وشمال المناطق السكنية ومنشآت البترول بالخروج إلى حيز التنفيذ ، واستمر



★ تثبيت الكثبان الرملية برشها بالزيت الخام أو الأسفلت ★



★ الرمال الزاحفة تهاجم طريق الظهران – ابقيق مما يسبب الأخطار لعربات المسافرة في هذا الطريق خصوصاً أثناء الليل ★

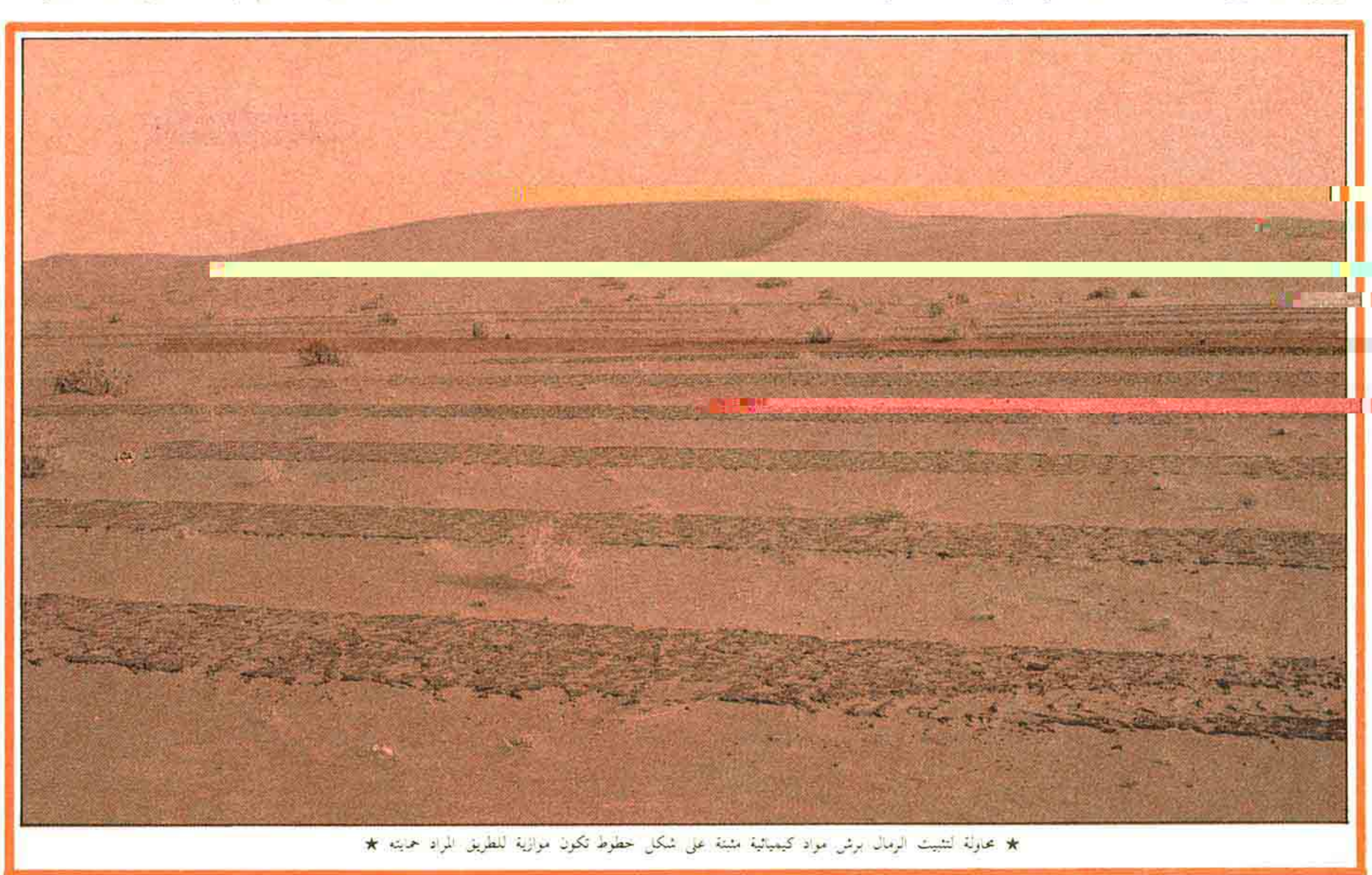
تطبيق هذه الطريقة حتى وقتنا الحاضر، وقد أخذت بها **وزارة المواصلات** لحماية الطرق التي تتعرض لزحف الرمال التي تكثر في المنطقة الشرقية.

وفي السنوات الأخيرة الماضية ظهرت في الأسواق الكثير من المركبات الكيميائية التي تقوم مقام الزيت في هذا المجال، وتم تطبيقها في أماكن مختلفة من المملكة، ويتكون أغلب هذه المركبات من مواد غروية جيلاتينية تتغلغل بين حبيبات الرمال أثناء عملية الرش بحيث تسبب تماسك حبيبات الرمل، وتكوين طبقة ثابتة نسبياً. **وتعتبر هذه الطريقة ناجحة إذا ما طبقت بالطريقة السليمة**، وللأسف أن النقص الكبير في المعلومات لدى المخططين والمنفذين لعمليات الرش عن تحركات الكثبان الرملية، وكيفية سلوك الكثيب بعد تثبيته يؤدي إلى التطبيق الخاطئ، وبالتالي تكون النتيجة عكسية تماماً.

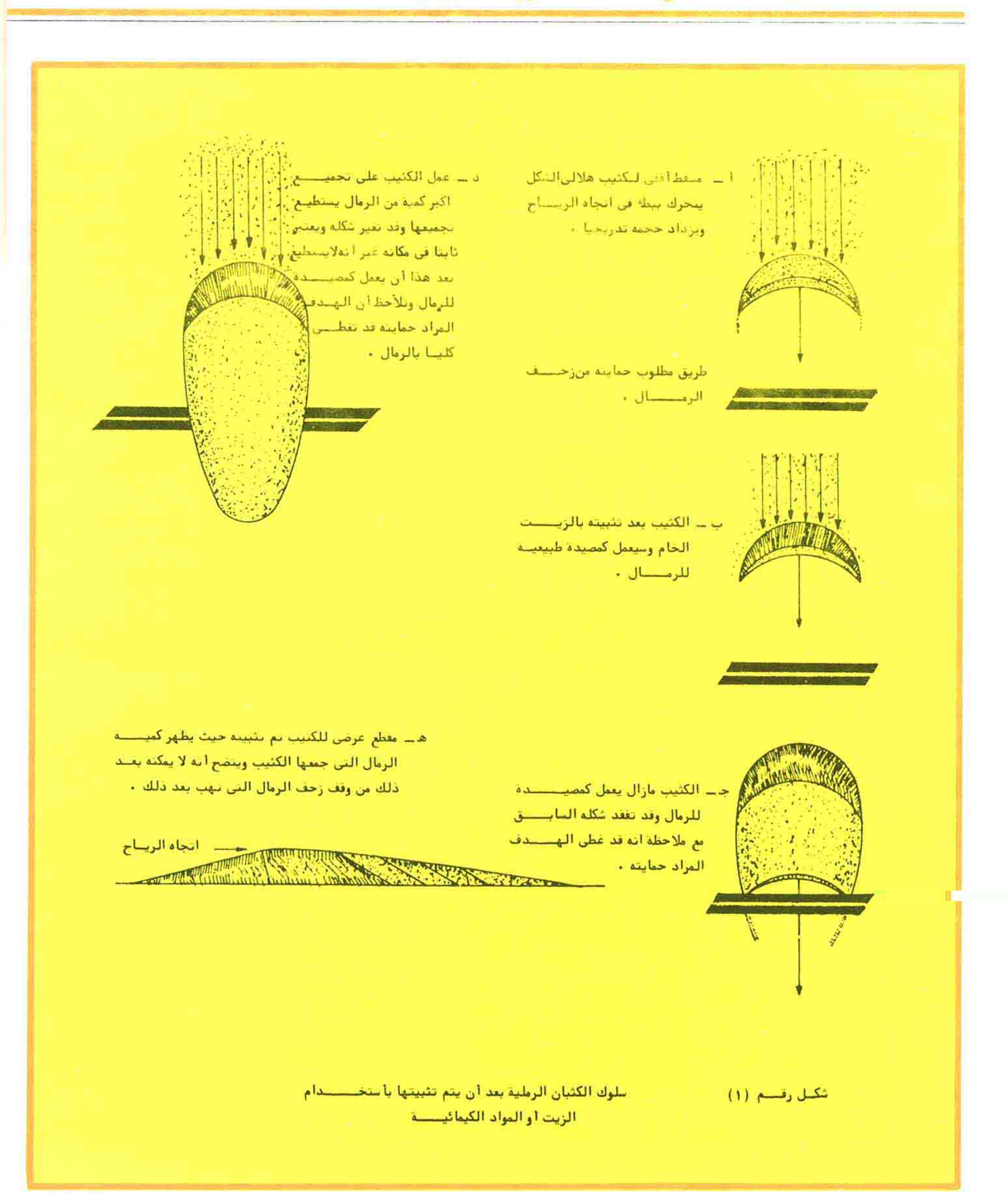
قد لا يعلم الكثير أن الكثيب الرملي بعد تثبيته يعمل كمصيدة طبيعية للرمال، ويجمع أمامه أكبر قدر ممكن من الرمال. هنا تبرز **أهمية التخطيط** حيث يأخذ في الحسبان المسافة الفاصلة بين الكثيب والهدف المراد حمايته، وكذلك حجم الكثيب، وأهم من ذلك **الوضع الجيومورفولوجي** للمنطقة كلها. (شكل رقم ١).

(٢) استخدام الحواجز الصناعية

تبنى هذه الحواجز من مواد مختلفة تختلف باختلاف المناطق ونوعية الرمال الموجودة بها، وتصنع عادة من الخشب أو الصفائح الحديدية أو سعف النخيل، وتكون غير مصمتة بحيث تسعى إلى تخفيف سرعة الرياح أو تحويل اتجاهها مما ينتج عنه ترسيب الرمال قبل وبعد الحاجز. وتنفذ هذه الطريقة لحماية هدف معين محدود الحجم والمساحة ولفترة محدودة،



★ محاولة لتثبيت الرمال برش مواد كيميائية مثبتة على شكل خطوط تكون موازية للطريق المراد حمايته ★



شكل رقم (١) سلوك الكثبان الرملية بعد أن يتم تثبيتها باستخدام الزيت أو المواد الكيميائية

★ محاولة مبتكرة لوقف زحف الرمال لم يكلل لها النجاح (طريق الرياض ـ القصيم) ★

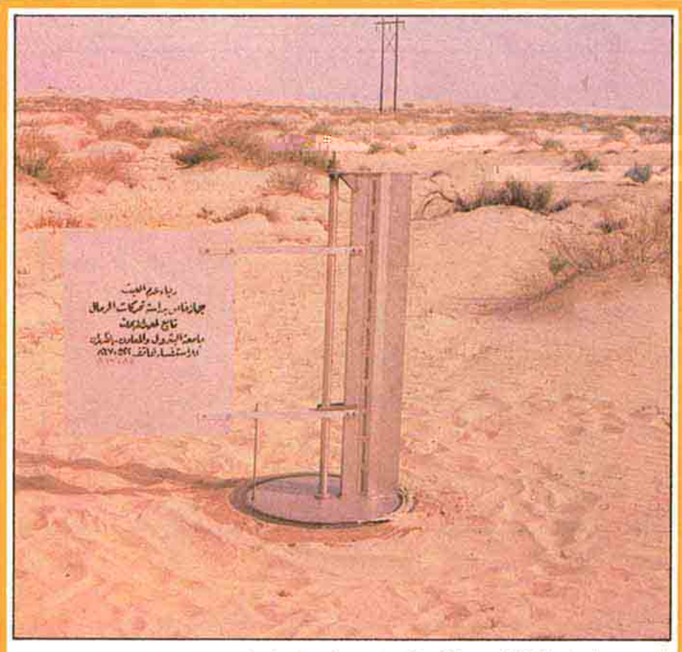
حيث تؤدي الرمال المترسبة إلى تغطية هذا الحاجز بعد مرور فترة من الزمن مما يتطلب تجديده بين فترة وأخرى .

(٣) إزاحة الرمال باستخدام الأيدي والآليات

تقوم فرق الصيانة التي تعمل لدى بعض الدوائر والمؤسسات الحكومية بحماية طرق المواصلات من زحف الرمال . وتتشكل هذه الفرق من مجموعات من العمال المقيمين في مناطق الرمال ، ويقومون بإبعاد الرمال الزاحفة بواسطة **المعدات الميكانيكية** وبمراقبة تحركاتها حول المنشآت ، وتعتمد **هيئة السكك الحديد** ، وكذلك وزارة المواصلات على هذه الطريقة في مكافحة زحف الرمال إلى جانب بعض الطرق الأخرى .

(٤) الزراعة والتشجير

طبقت هذه الطريقة في مناطق محدودة في المملكة وأهمها **منطقة الأحساء في المنطقة الشرقية ، فالأحساء تعتبر من أكبر الواحات في المملكة العربية السعودية وبها العديد من القرى . وقد دفنت الرمال الزاحفة الكثير من القرى**



★ مصيدة الرمال الميكانيكية (Sand Trap) : إحدى أنواع المصايد التي يقوم باستخدامها معهد الأبحاث وتظهر الصورة الجزء العلوي الذي يتحرك نتيجة لاختلاف اتجاه الهواء ، ويتجمع الرمل في الجزء السفلي تحت مستوى سطح الأرض ★

والعيون وقنوات الري مما أدى إلى انحسار الأراضي الزراعية وبالتالي إلى إلحاق خسائر اقتصادية بالمنطقة . وقد بدأت وزارة الزراعة عام ١٣٨٢ هـ ، بمشروع وقف زحف الرمال بزراعة شريط من الأرض على شكل حرف « ل » يشكل سداً حاجزاً بين الكثبان الرملية في الشمال والمناطق الزراعية في الجنوب والشرق من هذا الشريط . ويبلغ طوله حوالي ٢٠ كم ، ويتراوح عرضه بين ٢٥٠ ـ ٧٥٠ متراً ، ويقوم بحماية ٢٠ قرية حماية مباشرة من زحف الرمال عليها . ثم قامت الوزارة أيضاً بزراعة أربعة خطوط وقائية أخرى موازية لهذا الخط يبعد كلاً منها عن الآخر بحوالي ١,٥ ـ ٢ كم ، وبطول قدره ٥كم ، وعرض حوالي ٥٠٠ متر . وتبلغ المساحة الإجمالية للمشروع بحوالي ٤٠٠٠ هكتار ، والمساحة المزروعة منه ١٨٠٠ هكتار تحتوي على أكثر من ستة ملايين شجرة .

وفي عام ١٣٩٢ هـ ، تم إجراء بعض التجارب على استخدام الزراعة الجافة حيث اتضح أن الكثبان الرملية في منطقة الأحساء تتكون بنسبة ٩٥٪ من الرمال مما يساعدها على امتصاص كميات الأمطار الساقطة بسهولة ، كما تبين كذلك أنها تحتفظ بنسبة عالية من الرطوبة على عمق يتراوح بين ٢٠ سم إلى ١ متر وترتفع نسبة الرطوبة هذه أكثر في الشتاء .

ويساعد على نجاح طريقة الزراعة الجافة بدون استخدام مياه الري ، وقصر اعتماد الأشجار في ذلك على الرطوبة في الكثبان الرملية . وتمتاز هذه الطريقة في أنها قليلة الجهد ، وسريعة التنفيذ ، ومنخفضة التكاليف ، ويتم بذلك تثبيت الرمال كما هي عليه في الطبيعة دون أي تسوية لمرتفعاتها . وقد طبقت هذه الطريقة في المصدات الأخيرة ، وكذلك في **مدينة العيون** شمال الأحساء ، ويعتبر هذا المشروع ناجحاً تماماً إذا ما نظرنا إلى التكاليف التي تم صرفها عليه ، والنتائج التي حصلنا عليها .

الدراسات الحديثة

بالرغم من كل التقدم الحضاري والتكنولوجي في عصرنا الحديث إلا أننا ما زلنا نجهل الكثير عن الرمال والكثبان الرملية وطرق تحركاتها ، وما زالت الدراسات في هذا المجال آخذة في التزايد . ونظراً لما تعانيه المملكة من المشاكل الناتجة عن زحف هذه الرمال ، فلقد أنشىء في معهد الأبحاث التابع لجامعة البترول والمعادن بالظهران برنامج خاص لأبحاث الرمال بدأ أعماله عام ١٩٧٩ م ، بتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن تحركات الرمال حيث تم توزيع العديد من أجهزة المصائد الميكانيكية للرمال في أماكن متعددة في الصحراء . وتقوم هذه المصائد بتجميع كميات الرمال التي تهب عليها حسب اتجاهات الرياح المختلفة ، وتتجمع الرمال في أوعية خاصة تحت سطح الأرض ، وبدراسة كميات الرمال التي تتجمع كل شهر يمكن تحديد اتجاه زحف الرمال وكميته وحجمه ، ويتم تحليل هذه المعلومات ومقارنتها مع المعلومات الأخرى المتجمعة من محطات قياس الرياح باستخدام الحاسب الآلي وبالتالي تقدير كمية الرمال التي من الممكن أن تهب على منطقة معينة بعد دراستها . وبجانب ذلك فإن هناك الكثير من التجارب المعملية التي تجرى لمحاكاة تحرك الرمال ، وكيفية تكون الكثبان الرملية ، وكذلك فهم تفاصيل حركة الحبيبات في الهواء ، وطريقة تراكم حبيبات الرمال .

ويقوم معهد الأبحاث بدور رائد في هذا المجال ، حيث يقوم الباحثون بمحاولة عمل نموذج حسابي نظري يتوقع كيفية تحرك الكثبان الرملية ، وتحديد اتجاهاتها ، وكميات الرمال الزاحفة ، ويمكن تطبيق هذا النموذج على مناطق مختلفة في المملكة .

وقد استحدث الباحثون بعض الطرق العلمية لقياس المسافة التي يقطعها الكثيب في الشهر الواحد ، وتبين بعد دراسات ميدانية أن بعض الكثبان الرملية تزحف ما يقرب من ٢٨ متراً سنوياً ، وتعتمد هذه المسافة على حجم الكثيب ونوعية الرمال المكونة له . قد تكون هذه هي البداية الصحيحة للوقوف على المعلومات الأساسية لحركة الكثبان الرملية وبالتالي لكيفية تثبيتها . . حيث اتضح أن أغلب المشاكل الناتجة عن تحرك الكثبان الرملية تطرأ من جراء جهل العاملين بتثبيت الرمال عن كيفية سلوك الكثبان الرملية وقد أدى النقص في المعلومات إلى زيادة المشاكل بدلا من الحد منها .

كلمة أخيرة

إنه لمن البديهي أن نعلم أنه لن يكون باستطاعتنا وقف حركة الرمال التي تتحرك نتيجة لتغيير سرعة الرياح . وإذا ما استطعنا إدراك هذا المفهوم فإنه لن يبق أمامنا سوى أن نعرف كيف نستطيع حماية الأهداف المعنية من تحركات هذه الرمال . ولا يتم ذلك إلا بعد دراسة تفصيلية لهذه الأهداف سواء كانت طرقات عامة أو منشآت صناعية ، أو أنابيب الزيت أو القرى ، حيث إن كلاً من هذه يختلف عن الآخر في طريقة معاملتها للحد من زحف الرمال عليها .

جدول رقم (١)

معدل الانسياق السنوي للرمال لثلاث عشرة منطقة صحراوية بناء على معلومات من محطات الرياح

اســم المنطقــة	عدد المحطات	معدل الانسياق السنوي لحركة الرمال بمقياس وحدة فكتور*
	بيئة رياحية عالية	
صحراء شمال وشرق المملكة العربية السعودية والكويت	١٠	٤٨٩
شمـال غـرب ليبيـا	٧	٤٣١
	بيئة رياحية متوسطة	
صحراء سمسون / أستراليا	١	٣٩١
صحراء غرب موريتـانيـا	١٠	٣٨٤
بسكى كراكومى وبسكى كيرلكوم / روسيا	١٥	٣٦٦
عرقة أورينتال وعرقة أوكسيدنتال / الجزائر	٢١	٢٩٣
صحراء ناميبيا / جنوب إفريقيا	٥	٢٣٧
صحراء الربع الخالي / السعودية	١	٢٠١
	بيئة رياحية منخفضة	
صحراء كالهـاري / جنوب إفريقيا	٧	١٩١
منطقة سـاحل النيجـر / مـالي	٨	١٣٩
صحـراء كوبي / الصين الشعبية	٥	١٢٧
صحـراء ثـار / الهنـد	٧	٨٢
صحراء تكلا مكان / الصين الشعبية	١١	٨١

* وحدة فكتور هنا محصلة مفترضة حسابياً لتبين الفرق في كمية الرمال المتحركة بين المناطق الصحراوية .

المصدر : Fryberger S. Ahlbrandt T.S. (1979).

المراجع

١ ـ يوسف عبد الواحد ١٩٧٩ م ، مشروع حجز الرمال بالأحساء ، وزارة الزراعة ـ إدارة استثمار الأراضي ـ المملكة العربية السعودية .

Kerr, R.C. & Nigra, John (1964). Analysis of Eolian Sand Control Arabian American Oil Company.

Edwin D. Mckee, editor (1979) "A study of Global Sand Seas". Geological Survey Professional Paper 1052 USGS, Washington.

Fryberger S. Ahlbrandt T. (1979) Mechanisms of the formation of Eolian Sand Seas. Zeitschrift for geomorphologie. vol. 23, No. 4.



بعد التخرج :

- خريج الإدارة والتموين يعين برتبة ملازم بحري براتب مغري .
- خريج القيادة يتخرج بعد ثلاث سنوات برتبة ملازم بحري ويستمر في الدراسة بالخارج لمدة سنة ويحصل أثناء الدراسة على راتب مغري بالإضافة إلى بدل الابتعاث.
- خريج الهندسة الميكانيكية والهندسة الكهربائية يتخرج بعد ثلاث سنوات برتبة ملازم بحري ويستمر في الدراسة بالخارج لمدة سنتين ويحصل على راتب مغري بالإضافة إلى بدل الابتعاث .

القوات البحرية تؤمن لك الكثير أيضاً - العلاج المجاني لك ولمن تعول .

- السكن العائلي ضمن مشاريع وزارة الدفاع والطيران .
- أجازة سنوية ٤٥ يوماً مع إركاب لك ولعائلتك .
- إتاحة الفرصة للابتعاث مرة أخرى للخارج لدورات تأهيلية .

للمراجعة : اتصل بأحد مراكزنا في المناطق التالية :

المنطقة الوسطى : قيادة القوات البحرية بالرياض - شارع المطار / قسم التجنيد/
المنطقة الشرقية : قسم التجنيد بالقوات البحرية بالدمام
المنطقة الغربية : مكتب التجنيد - قاعدة الملك فيصل البحرية - جنوب بترومين - جدة
المنطقة الجنوبية : مندوب القوات البحرية بمكتب تجنيد المنطقة الجنوبية بخميس مشيط - بجوار المستشفى العسكري
بقية المناطق : أقرب قيادة عسكرية

D

إيسوب
رائد أدب الأطفال

بقلم: عادل أبو شنب

★★★ سارت حكايات «إيسوب» وقصصه عبر القرون، وشابها تغيير، ونسبتها كل أمة إلى نفسها، حتى إذا ما قرأت حكاية من حكاياته.. أصابتك الحيرة، فأنت تعرف هذه الحكاية معرفة تامة، وتعرف انتسابها إلى حكايات وقصص بلدك. فكيف ننسبها إلى «ايسوب» هذا؟ ومن هو «ايسوب»؟

●● قبل أكثر من خمسة وعشرين قرناً، ولد في **جزيرة ساموس** اليونانية – أو الإغريقية كما كانت تسمى – طفل أسود البشرة، لأب وأم رقيقين، وما إن كبر حتى بيع ثم بيع إلى أن اشتراه فيلسوف إغريقي يسمى «**إدمون**» عرف فيه نجابته فأعتقه، فذهب إلى بلاط **ملك ليديا** «**كروسس**» وصحبه فترة من الزمن ونال من أعطياته، ثم ساح في بلاد اليونان، وتعلم الحكمة في أثينا، والتقى في كورنثيا بالحكماء السبعة، وهناك قال قوله الشهير، مشيراً إلى أن الحياة مملوءة بالمآسي:

إن الإله الذي خلق الإنسان، جبل الطينة التي صنعه منها لا بالماء، ولكن بالدموع.

وأعطاه ملك ليديا مالا ليفرقه في **معبد دلفي** المقدس تقرباً من الإله، فلما وصل لم يجد أهل دلفي أهلاً للمال فردّه إلى الملك، مما أحفظ أهل دلفي عليه وجعلهم يتهمونه بالسخرية من الإله، الأمر الذي أدى إلى قتله.

وقد ترك إيسوب، بعد مقتله، مجموعة كبيرة من الأقاصيص، انتشرت على رقعة العالم المعروف وقتئذ، ودخلت في آداب أممه، حتى ليصعب اليوم التمييز في انتمائها الصحيح. ومهما يكن من أمر، فإن هذه



الأقاصيص التي تتصف بالجمع بين الخيال الثر والحكمة والعظة والإنسانية ، تجعل من هذا العبد الرقيق إيسوب ـ الذي كان دميم الوجه على ما يروى عنه ـ أباً لأدب الأطفال في العالم .

نعم .. إنه أول من كتب أدباً للأطفال ، ربما دون أن يدري أنه يفعل ذلك ، ويترك للعالم لوناً أدبياً حاراً ، يتعامل الآن مع نصف سكان الكرة الأرضية ، وبأساليب مغرقة في جدتها وتطورها وطرق مخاطبتها للبراعم الغضة .

وإذا كنا نحن العرب نفخر بقصة ذات موعظة ، فهي قصة الرجل المريض مع أبنائه عندما يجمعهم ويعطيهم حزمة من العيدان تستعصي على الكسر ، فيقول لهم إنها استعصت على الكسر مجتمعة ، ويسهل كسر كل عود بمفرده . هذه القصة ، أو الأقصوصة إن شئت الدقة ، هي من أعمال إيسوب ، وإليكها :

كان لرجل شيخ أبناء لا تفتأ الخصومات تقوم بينهم ، فأحزنه ذلك حزناً شديداً ، وذات يوم جمعهم ، وأحضر حزمة من عيدان حطب ، وسأل كلاً على حدة أن يكسرها فما استطاع ، وحلّ الحزمة وفرّق عليهم عيدانها وعندئذ أمكنهم أن يكسروها عوداً عوداً . قال الشيخ لأبنائه : « حال العيدان حالكم أيها الأبناء ، قوتكم في أن تجتمعوا ، وضعفكم في أن تتفرقوا » .

إن نسبة هذه القصة إلى إيسوب أو إلى أديب عربي مجهول لا تقلل من أهميتها والعظة التي نستطيع استنباطها منها ، ويستطيع الأطفال بخاصة إدراكها ، وفي جميع الأحوال .. تجعل من إيسوب أباً لأدب الأطفال ، كما ذكرنا ، وتمتد بأدب الأطفال إلى أبعد من خمسة وعشرين قرناً ماضية ، فهو أدب قديم إذن ، والعبرة لا في توجهه في زمانه ، ولكن في توجهه في كل زمان ومكان أولا ، وفي صلاحيته للكبار والصغار جميعاً ثانياً ، وهذه من مميزات الأدب الجيد والخالد .

انظر إلى هذه الأقصوصة التي كتبها إيسوب (الذي ولد في أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، وتوفي في منتصف القرن السادس) تجد أن أدبه يتمتع بمميزات الأدب الخالد حقاً :

مرَّ رجل أعمى في الطريق ، فأحس برجل آخر ، فسأله أن يعينه ، فقال ، وكان مقعداً : « كيف أعينك وأنا لا أكاد أحمل جسمي » ولكنه ما قال هذا حتى استدرك قائلاً : « ولكن .. مهلاً ، إني أرى لك ظهراً عريضاً ورجلين قويتين فإذا أنت أركبتني ظهرك هديتك الطريق . امش بي وأنا أبصر لك » ففرح الرجل الأعمى بذلك ، ورفع الرجل المقعد على كتفيه ، وسارا هانئين ، فكأن عمى هذا ما كان ، وقعاد هذا ما كان .

إن هذه القصة التي تحض على التعاون ، واستخدام العقل في الخلاص من الشدائد والأزمات .. هي من القصص النموذجية في صلاحيتها للأطفال ، لأنها تتصف بالسهولة والوضوح وبطواعيتها في إعطاء العظة بمباشرة غير فجة . وتتصف أيضاً بإمكان إعادة صياغتها بأية لغة صياغة تتفق وعقول الذين نريد أن نخاطبهم .

إن إيسوب الذي استرق فترة وأعتق وأعطى مجموعة من القصص والحكايات .. هو بلا شك الأديب الأول الذي كتب للأطفال . إنه أبو أدب الأطفال في العالم ، وعلى وهج ريادته هذه .: نشأت قصص وحكايات نسبتها الأمم إليها ، وفي أحيان كثيرة ، غيرت ملامحها وطعمتها بملامح محلية ، حتى أنها نسيت إيسوب أثناء ذلك ، لكن .. من يقدر أن ينسى هذا الرائد الذي أكاد أن أقول إنه اصطنع جنساً أدبياً ، قبل خمسة وعشرين قرناً ، هو أدب الأطفال ؟





إنهم يزرعون الأسماك



بقلم :
د. محمد عبد اللطيف أبو السعود

البداية

تتكون بلاد اليابان من عدة جزر تحيط بها مياه المحيط من كل جانب ، لذلك كان من الطبيعي أن تكون اليابان دائماً رائدة في ميدان المصايد ، وأن يكون أهلها من خيرة صيادي السمك في جميع بلاد العالم .

وحتى عهد قريب ، كان اليابانيون يعتبرون الموارد البحرية نعمة طبيعية لا تنفد . ولكن هذا الاعتقاد المتفائل سرعان ما تزعزع ، عندما بدأت هذه الموارد البحرية على طول سواحل اليابان في النقصان . لقد عزى النقص في موارد صيد الأسماك إلى المهارة الفائقة لصيادي السمك اليابانيين ، وإلى المناطق الصناعية التي كانت تنمو بسرعة على طول الشواطئ ، والتي كانت تلوث بمخلفاتها مياه البحر .

عندئذ بدأت صناعة صيد السمك تمر بتغيرات متطورة .

لقد بدأ عصر بذر البذور ، وجمع محصول السمك ، كما هو الحال بالنسبة للحبوب والخضروات .

إنهم يزرعون الأسماك



★ في مزرعة لتربية الجمبري ★

★ الأسماك الصغيرة بعد أيام من خروجها من البيض ★



★ تجمع بيض الأسماك من الأعشاب المائية ★



أسماك التـاي

في الخمسينات ، كان بحر **سيتو** الداخلي ، غنياً بأسماك التـاي ، وبأنواع أخرى من الأسمـاك . وكان شاطئ **تـومونورا** في مقـاطعة **هيروشيما** ، وشاطئ **أكاشي** في مقاطعة **هيوجو** ، وهما يطلان على بحر سيتو الداخلي ، من مراكز الصيد المعروفة لأسماك التاي ، أفضل الأسماك في اليابان .

ففي أوائل الخمسينات ، كان هناك في أكاشي ٨٠ قارباً لصيد أسماك التاي ، وكانت تصطاد ١٢٠٠ كيلوجرام من هذه الأسماك كل يوم . وبعد ١٥ عاماً ، نقص عدد القوارب إلى خمسة ، وكانت تصطاد ٢٥ كيلوجراماً من أسماك التاي على الأكثر . أما الوضع في تومونورا ، فإنه لم يكن يختلف كثيراً .

لذلك تحول كثير من صيادي أسماك التاي إلى مهن أخرى ، ومنهم من تحول إلى صيد أنواع أخرى من الأسماك .

لقد كان الكيلوجرام الواحد من أسماك التاي يباع بمبلغ ألف **ين** . وكان على صيادي الأسماك أن يصطادوا مئة كيلوجرام من الأسماك الأخرى ، ليحصلوا على نفس الثمن .

وفي أثناء أحد مواسم الصيد ، تمكن ٣٠٠ قارب ، عند سواحل أكاشي ، من صيد نوع معين من الأسماك ، بكميات كانت تصل إلى ١٢٠ ألف كيلوجرام في اليوم الواحد . ولكن هذا النوع من الأسماك بدأ في التناقص هو الآخر .

إن **مانابي ـ شيما** جزيرة صغيرة في بحر سيتو الداخلي ، في مواجهة مقاطعة **أوكاياما** . لقد تناقص سكان هذه الجزيرة بمقدار الربع ، وذلك خلال ثمانية أعوام . لقد هجر الجزيرة حوالي ٦٠٠ شخص ، ليبحثوا عن فرص للعمل في مجالات أخرى غير صيد السمك .

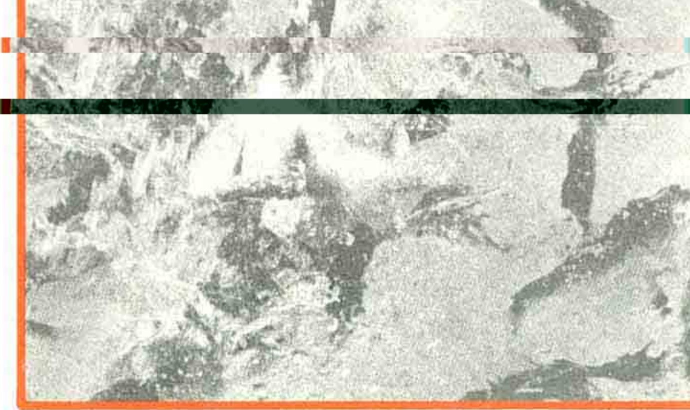
ولم يقتصر التدهور في صناعة صيد الأسماك من السواحل على بحر سيتو الداخلي ، ولكنه انتشر ليصبح ظاهرة قومية .

زراعة الأسماك

ويمكن القول بأن علم زراعة الأسماك قد طور في الوقت المناسب ، لينقذ مصايد اليابان الساحلية من الإنقراض . ففي عام ١٩٢٧ م ، أقيمت

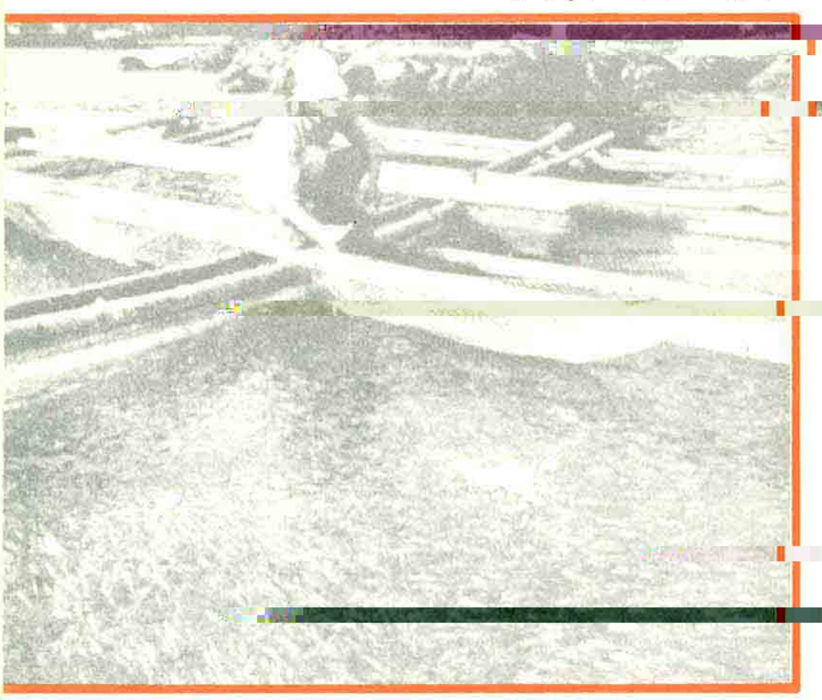


★ أسماك المياه العذبة ★





★ في المزرعة السمكية لجامعة كينكي في اليابان ★



أول مزرعة ناجحة لتربية أسماك المياه المالحة ، وذلك على نطاق يفوق نطاق معامل التجارب .

لقد كان رائد هذا العلم هو شاب يدعى **راسابورو نوامي** ، وكان يقوم بتجاربه على عدد من أنواع الأسماك البحرية في بحيرة مياه مالحة تبلغ مساحتها ٢٨ هكتاراً ، تسمى بحيرة **آرو** ، في **هيكيتا** ، بمقاطعة **كاجاوا** . لقد نجحت تجاربه على أسماك التاي ، **والذيل الأصفر** ، التي عاشت في البحيرة بصورة أفضل من أسماك **الماكريل** ، **والساوريل** ، وغيرها .

وحتى أوائل الستينات ، لم يهتم بزراعة الأسماك إلا عدد قليل من الخبراء الرواد في مجالات المصايد ، ولعل ذلك يرجع إلى أنهم لم يكونوا يعتبرون زراعة الأسماك عملاً مربحاً ، طالما كانت البحار المحيطة باليابان تعج **بالأحياء البحرية** .

لقد أدى تدهور الصيد الساحلي إلى تغير الأوضاع تغيراً كاملاً .

ولقد أصبح الكثير من الخبراء يعتقدون أن تربية الأحياء البحرية هي الوسيلة الوحيدة لبقاء مصايد اليابان الساحلية .

ومع تدهور المصايد الساحلية منذ أواخر الخمسينات ، ارتفع عدد مزارع أسماك المياه المالحة بسرعة ، فبلغ أكثر من ٥٠٠ مزرعة بحلول عام ١٩٦٤ م . وبالرغم من أنها انتشرت على سواحل اليابان ، ابتداء من سواحل جزيرة **كيوشو** في الجنوب ، إلى سواحل جزيرة **هوكايدو** في الشمال ، إلا أننا نجد أن ٧٠٪ منها قد تركز حول بحر سيتو الداخلي ، حيث تتوفر الظروف الطبيعية الملائمة .

ولم تقتصر هذه المزارع السمكية على أنواع من الأسماك التي تعيش في المياه المالحة أو على نوع آخر ، بل إنها تعدت ذلك إلى أنواع كثيرة شملت **الأخطبوط** وسرطان البحر .

ولعل أفضل أنواع الأسماك في نظر مزارعي الأسماك في اليابان هو النوع المعروف باسم الذيل الأصفر ، ويليه الأخطبوط ، ثم أنواع أخرى .

ويمتاز سمك الذيل الأصفر بأنه أسهل الأسماك تربية ، كما أنه يدر ربحاً كبيراً ، لأنه من أكثر الأسماك شعبية في اليابان ، فهو من الأغذية المحببة إلى الكثيرين .

سمك الذيل الأصفر

في خلال عام ١٩٦٤ م وحده ، كان هناك حوالي ١٧مليوناً من أسماك الذيل الأصفر تربى في ٣٠٠ مزرعة سمكية في اليابان ، معظمها في منطقة بحر سيتو الداخلي . إن هذه الكمية تشكل عُشر أسماك الذيل الأصفر التي تستهلك في اليابان ، كما أنها تكون نصف ما يعرض في الأسواق من أسماك الذيل الأصفر الصغيرة الحجم ، والتي تلاقي إقبالا كبيراً .

إنهم يزرعون الأسماك

إن سمكة الذيل الأصفر الطفلة ، التي يبلغ طولها حوالي خمسة سنتيمترات ، والتي تزن حوالي جرامين ، تنمو في فترة تتراوح بين ستة وثمانية أشهر ، ليبلغ طولها ٤٠ سنتيمتراً ، ووزنها حوالي كيلوجرام .

وفي خلال هذه الفترة ، يجب تغذية هذه السمكة بما يقدر بستة إلى ثمانية كيلوجرامات من لحم السمك . لقد كان هذا يتكلف حوالي ٢٠ يناً لكل كيلوجرام .

ولعل أصعب جزء من التجارب التي سبقت إقامة مزارع سمكية ناجحة ، كان في تحديد الغذاء المناسب للسمك الذي تجرى تربيته .

لقد استمر خبراء المصايد الرواد في تجاربهم ثمانية أعوام ليصلوا إلى أن أفضل غذاء للجمبري هو الأسماك الصدفية .

أما في حالة الذيل الأصفر ، فإن أفضل غذاء له هو **السردين والماكريل** .

إنه لمن المحزن حقاً أن نعلم أن عدداً كبيراً من صيادي سمك التاي السابقين قد تحولوا إلى صيد تلك الأسماك التي تقدم غذاء لأسماك الذيل الأصفر في المزارع السمكية .

المزارع السمكية

ولقد تبين للباحثين أن **درجة حرارة الماء ، ودرجة ملوحته ، والجو ، وعمق المياه وحركتها** ، من العوامل المؤثرة في نجاح المزرعة السمكية .

وتختلف أنواع المزارع السمكية حسب بيئاتها الطبيعية ، ونوع الأسماك التي تربى فيها . إن بعض هذه المزارع السمكية يستخدم **فتحات طبيعية** يدخل منها ماء البحر ، بينما تفصلها أرصفة عن مياه البحر .

وهناك مزارع سمكية تتكون من شباك توضع في البحر كالأقفاص .

إن الدكتور **تيرو هارادا** الأستاذ بجامعة **كينكي** باليابان ، الذي حصل على درجة الدكتوراه عن أبحاث استمرت عشر سنوات في مجال التربية الصناعية لأسماك الذيل الأصفر ، يرى أن طريقة إقامة الشباك في مياه البحر تعطي في العادة نتائج أفضل ، كما أن تكاليفها أقل ، في حالة سمك الذيل الأصفر ، وذلك لأن هذه الطريقة تهيئ للأسماك ظروفاً طبيعية أفضل من ظروف مزارع البحيرات ذات الفواصل .

أبحاث على تربية الأسماك

وحتى أوائل الستينات ، كانت عملية تربية معظم أنواع الأسماك ، فيما عدا الجمبري ، تعتمد على الأسماك الصغيرة التي يصطادها الصيادون من البحر . أما في حالة الجمبري ، فقد نجح خبراء المصايد في تحقيق عملية وضع البيض وحضانته بطريقة صناعية ، وذلك في أواخر الخمسينات . وفي عام ١٩٦٣ م ، كان هناك حوالي ٣٠ مليوناً من أسماك الجمبري تنتج في مزرعة للجمبري في مدينة **تاكاماتسو** ، في مقاطعة **كاجاوا** ، في جزيرة **شيكوكو** .

ولقد حاول العلماء تحقيق عملية وضع البيض وحضانته بطريقة صناعية بالنسبة لباقي الأسماك ، فنجحوا في ذلك مع عدد كبير من أنواعها .

وفي أواسط الستينات ، كان آخر نوع من الأسماك ينجح العلماء في تحقيق عملية وضع البيض فيه وحضانته بطريقة صناعية هو أسماك **الجيلتهيد** . ففي شهر مايو (أيار) من عام ١٩٦٣ م ، خرجت من البيض ثلاث سمكات دقيقة ، في معمل المصايد بجامعة **كينكي** ، وكانت هذه أول أسماك جيلتهيد تخرج من البيض بهذه الطريقة .

وكان الأستاذ هارادا هو المسؤول عن حضانة أسماك الجيلتهيد في هذا المعمل ، مع مجموعة من زملائه . يومئذ قال الأستاذ هارادا : « **ما زالت هناك مسافة تفصل بين النجاح المعملي والتطبيق الناجح على نطاق تجاري** » .

إلا أنه مع استمرار تقدم الدراسات العلمية بسرعة مذهلة ، انتشرت طرق زراعة الأسماك بسرعة بين دوائر المصايد اليابانية .

تحول سريع

وفي تقرير نشر في أواسط الستينات ، جاء أن عدد المزارع السمكية في اليابان في تزايد مستمر ، كما أن عدد الأسماك التي تربى في هذه المزارع قد تضاعف ، كما أنه كان من المنتظر أن تستمر هذه الزيادة في الأعوام التالية .

وبدأت في الظهور مزارع سمكية خاصة وعامة ، الواحدة تلو الأخرى ، وتحول عدد كبير من صيادي الأسماك إلى مزارعي أسماك .

وتقديراً لأهمية المزارع السمكية ، قامت بعض المنظمات المحلية عند سواحل بحر سيتو الداخلي ، بإنشاء ثلاثة مراكز للمزارع السمكية ، في منطقة **البحر الداخلي** ، في عام ١٩٦٣ م ، وذلك بمساعدة وكالة المصايد اليابانية .

ويعمل في هذه المراكز عدد من خبراء المصايد ، وعدد من الباحثين ، الذين يعملون لتطوير طرق زراعة الأسماك ، ومد مزارع الأسماك باحتياجاتها . كما أنهم يلقون في مياه البحر الداخلي بعض الأسماك التي ينتجونها في هذا المركز ، وذلك لمصلحة صيادي السمك في هذا البحر ، الذي بدأوا يعانون من النقص في حصيلة الصيد منه .

إن زراعة الأسماك تنمو بسرعة كبيرة لتتحول إلى صناعة ، بحيث يمكن القول ، بدون أية مبالغة ، بأن هذه الصناعة يمكن أن تحل محل جانب كبير من صيد الأسماك التقليدي عند السواحل .

قام الإنسان منذ أن خلقه الله على هذه البسيطة بإعمار الأرض من حوله ، ومضى يقهر الصعوبات ويذللها واحدة تلو الأخرى . وقد أثبت الإنسان بالفعل ، بما استنبطه من وسائل وأساليب وبما حققه من اكتشافات ، أنه خليفة الله في الأرض ، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ففي عام ١٨٩٦ م ، توقع **كروكس** أن المجاعة واقعة لا محالة في عام ١٩٣٠ م ، لأن عدد سكان الأرض في هذه الفترة سيتضاعف ، بينما ستقل غلة الفدان الواحد من الأرض . وحسب توقعاته فإن الأرض ستكون عندها أعجز من أن تطعم أبناءها .



بقلم :
د . مهندس : مظفر صلاح الدين شعبان
مهندس : سمير صلاح الدين شعبان



شكل رقم (١) :
★ موقع المنجم في البحر بين المملكة العربية السعودية والسودان ★

شكل رقم (٢) :
★ سفينة الحفر والاستخراج «سيدكو ٤٤٥» أثناء قيامها باستخراج الفلزات من عمق يزيد على ٢٠٠٠ متر ★

ولكن كروكس ، ومن قبله **مالتوس** ، لم يحسبها حساباً لتطور إمكانات العلم وتقنيات الهندسة في استصلاح الأراضي وإنتاج الحبوب وصناعة الأسمدة . ولذلك لم تتحقق توقعات كروكس .

كذلك فقد توقع بعضهم أن **النفط**، عصب الحياة المعاصرة والمصدر الرئيسي للطاقة ، سينضب مع بداية القرن الحادي والعشرين . . . عندها ستتوقف المصانع وتعتم البيوت ويخيم البرد على المنازل . وهنا تصدى الإنسان لأزمة **الطاقة** ، ونجح في اكتشافات مصادر جديدة للنفط والغاز الطبيعي ، وتوصل إلى طرق جديدة لاستخلاص النفط من الرمال النفطية أو من **تمييع الفحم الحجري** . ومع أن مصادر الطاقة البديلة تمثل حلولا لأزمة الطاقة على المدى البعيد أو المتوسط ، إلا أن آفاقها تبشر بالخير وتدعو للتفاؤل . . . باختصار ، لن يعجز الإنسان عن إيجاد المخرج الصحيح من هذه الأزمة أيضاً .

ومع التقدم الصناعي الهائل الذي حققه الإنسان في القرن العشرين ، فقد ازداد الاعتماد على المعادن من حديد ونحاس وألمنيوم وغيرها في شتى مرافق الحياة ، سواء في المصانع ، الآليات ، المنازل ، المتاجر أو وسائط النقل . ولا يمكن تصوّر التكنولوجيا الحديثة بدون المعادن ، وخاصة الحديد والفولاذ .

وقد دلت حفريات علماء الآثار أن الإنسان بدأ بصناعة عدده وأسلحته من النحاس الذي وجده حراً في الطبيعة في الألف الرابعة قبل الميلاد (٤٠٠٠ ق . م) . ويبدو أنه عرف **الذهب** قبل ذلك ، فاستطاع بذلك الانتقال من الاعتماد كلياً على العدد الحجرية (في العصر الحجري) إلى استبدال بعضها بالعدد النحاسية ، حيث ابتدأ بعدها **العصر البرونزي** .

العصر البرونزي

لم يتعلم الإنسان **صهر فلزات النحاس** لاستخراج المعدن منها إلا في القرن الرابع قبل الميلاد في بعض دول جنوب غربي آسيا ، مصر والهند ، ليصنع منه الفؤوس ورؤوس الرماح ، الأنابيب ، الأسلاك والمسامير .

وما لبث الإنسان أن اكتشف أن إضافة بعض الأحجار (الفلزات) الحاوية على القصدير ، وصهرها مع فلزات النحاس تعطي معدناً أسهل صهراً وأكثر متانة وتحملاً . وهكذا صنع الإنسان « **البرونز** » أول سبيكة في التاريخ ، استخدمها في صب عدد كبير من العدد والآنية والأسلحة في العصر « البرونزي » .

بدأ العصر البرونزي في آسيا الصغرى (تركيا) في بداية القرن الثالث قبل الميلاد . لكن البرونز بقي نادراً لقلة مصادر النحاس ، فلم تتراجع العدد الحجرية نهائياً وتختفي إلى غير رجعة إلا أمام الحديد .

استخلاص الحديد

ويعتبر استخلاص الحديد من خاماته واستخدامه أكبر انجاز للبشرية في مختلف عصورها . **عرف الحديد في الصين حوالي سنة ٢٤٠٠ ق . م** ، وقد عرفه **المصريون** قبلهم في سنة ٢٨٠٠ ق . م ، لكنه بقي نادراً عندهم حتى ١٦٠٠ ق . م . كما وجدت قطع حديدية في **الأناضول** يرجع عمرها إلى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد .

تمكن الحديد من إزاحة العدد الحجرية من حياة الإنسان بسبب قساوته العالية من جهة ، ومن جهة أخرى بسبب استخراجه في مواقع كثيرة . لكن صناعة الأسلحة تطلبت حديداً مرتفع القساوة ، فابتكر الإنسان **الحديد القاسي** أي الفولاذ . **عرف الفولاذ من قبل العرب والهنود في الألف الثانية قبل الميلاد** . وقد شاع بعدها استخدام الحديد ، بسبب رخص ثمنه وكثرة توفره ، في صناعة العدد والآنية والأسلحة .

وقد أدى التوسع الصناعي في نهاية القرن التاسع عشر إلى ارتفاع مفاجئ وكبير في إنتاج الفولاذ والحديد والمعادن الأخرى . فبينما كان الإنتاج العالمي من الحديد الخام في عام ١٨٧٠م ، لا يتجاوز ١١,٩ مليون طن ، ارتفع بحلول عام ١٩١٣م ، إلى ٧٨,٤ مليون طن . وفي هذه الفترة أصبح التعدين أهم فروع الإنتاج الصناعي ، يحرك فروع الصناعة الأخرى حسب مستوى تطوره .

وفي عام ١٩٦٨م ، بلغ وزن فلزات الحديد المستخرجة من باطن الأرض ٦٧٠ مليون طن استخدمت لإنتاج ٣٧٨ مليون طن من الحديد الخام ، كما تم في نفس العام إنتاج حوالي ٥٣١ مليون طن من الفولاذ الخــام .

لكن إنتاج باقي المعادن ظل صغيراً نسبياً ـ رغم ارتفاعه المستمر ـ إذا ما قورن بالحديد . فبينما تعطى كمية إنتاج المعادن الأخرى بآلاف الأطنان ، نجد أرقام إنتاج الحديد مقدرة « بملايين » الأطنان .

يبين **الجدول رقم (١)** على سبيل المثال تطور استهلاك بعض المعادن في العالم بين عامي ١٩٣٦م ـ ١٩٦٦م . فقد تضاعف استهلاك **الألمنيوم** خلال ٣٠ سنة فقط حوالي ٢٠ مرة ، **النحاس** ٣ مرات **والنيكل** حوالي ٥ مرات .

الجدول رقم (١)
استهلاك العالم من بعض المعادن
(مقدراً بآلاف الأطنان)

المعدن	استهلاك عام ١٩٣٦م	استهلاك عام ١٩٦٦م
ألمنيوم	٣٩٧,٥	٧٥٦٥,٣
نحاس	٢١٠٠,٢	٦٤١٥,٣
رصاص	[illegible]	[illegible]
توتياء (زنك)	١٥١٤,٩	٤٢٣٥,٨
قصدير	١٧٤,٦	٢٢٤,٠
نيكل	٨٩,٧	٤٦٠,٠

ولم تكن هذه الزيادة في الاستهلاك إلا سبباً في ارتفاع أسعار المعادن: ويبين **الجدول رقم (٢) تطور أسعار بعض المعادن** في الفترة بين ١٩٣٦م و ١٩٦٦م. ومنه نلاحظ أنه توجب في عام ١٩٦٦م، دفع ضعفي المبلغ الذي كان يدفع في عام ١٩٣٦م، ثمناً لطن واحد من الألمنيوم، و ١٣ ضعفاً للنحاس، أكثر من ٥ أضعاف للرصاص، ٧ أضعاف للتوتياء (الزنك) وحوالي ٦ أضعاف للقصدير.

الجدول رقم (٢)
تطور أسعار بعض المعادن
(مقدرة بالجنيه الأسترليني للطن)

المعدن	أسعار عام ١٩٣٦م	أسعار عام ١٩٦٦م	نسبة الزيادة (٪ بالمائة)
ألمنيوم	١٠٠,٠	١٩٦	٩٦
نحاس	٤٢,٩	٥٥٥	١١٩٤
رصاص	١٧,٦	٩٥	٤٤٠
توتياء (زنك)	١٤,٩	١٠٢	٥٨٥
قصدير	٢٤٤,٦	١٢٩٧	٥٣٤
نيكل	٢٠٢,٥	٦٥٢	٢٢٢

ولا يتعلّق سعر المعادن بسياسات الدول المنتجة فحسب، بل يتعلّق كذلك بصعوبة عمليات الاستخراج ووفرة المعدن في الطبيعة. **فالألمنيوم** مثلاً تضاعف سعره مرة واحدة فقط لأنه متوفر بكثرة، إذ يشكل ٧,٥ بالمائة من القشرة الأرضية، وفلزه (**البوكسيت**) موجود بشكل قريب جداً من سطح الأرض، بينما تتراوح نسب المعادن الأخرى، المذكورة في الجداول السابقة، في اليابسة بين جزء من مائة ألف وجزء من عشرة آلاف، كما يوجد معظمها في مواقع وأعماق يصعب معها استخراجها، مما أدى — بمرور الزمن — إلى استخراج فلزات أفقر فأفقر بالمعادن، مما يرفع من تكلفة استخلاص المعادن المرغوبة منها.

وبالطبع فإن زيادة الطلب على معدن ما تطرح التساؤل التقليدي: ألن ينضب هذا المعدن عاجلاً أم آجلاً؟.

وعند أخذ التزايد الحالي لعدد السكان الذي سيصبح في عام ٢٠٠٠ حوالي ٧ مليارات نسمة، ورغبة **الدول النامية** في التصنيع، عندها نجد أن حاجة العالم من المعادن ستبلغ ضعفي ما كانت عليه في السبعينات. لكن نسبة الارتفاع ستكون أكبر في **الدول المتقدمة** صناعياً، وعلى رأسها **الولايات المتحدة الأمريكية**، التي تستهلك وحدها حوالي ثلث الإنتاج العالمي من المواد الخام. فقد كان معدل استهلاك الفرد الأمريكي عام ١٩٦٧م، حوالي طن واحد من الحديد، لكن حاجته سترتفع إلى ١٢ ضعفاً بحلول عام ٢٠٠٠، ومثل ذلك ينطبق على استهلاكه من النحاس، بينما سيرتفع استهلاكه من الرصاص إلى

شكل رقم (٣): ★ برج الحفر ★

١٦ مثلاً .

ورغم ذلك يشهد العالم في وقتنا الحاضر نقصاً ملحوظاً في إنتاج كثير من المعادن . إنتاج **الزئبق** الذي يستخدم في مقاييس الحرارة والضغط لا يفي بالطلب عليه ، **والقصدير** الذي يدخل في سبائك كثير من المعادن أصبح نادراً . كذلك يطلب منتجو أفلام التصوير ، الصناعة الإلكترونية ، البطاريات وصناع أدوات الزينة (**الحلي**) كميات كبيرة من الفضة التي أضحت نادرة . وقد غدت **الفضة** نادرة إلى حد جعل معظم الحكومات تسحبها من جميع العملات المعدنية والميداليات . كذلك هنالك نقص في إنتاج **الكوبالت** الذي يستخدم في صنع الخفانط الدائمة .

وفي السنوات الـ ٣٥ القادمة سيحتاج البشر من المعادن أكثر مما استهلكوه خلال الـ٢٠٠٠ سنة الماضية من تاريخ البشرية . كذلك سيحتاج الإنسان خلال العشرين سنة القادمة أكثر من ٣ أمثال الطاقة التي استهلكها خلال الـ ١٠٠ سنة الماضية . فن أين يأتي بجميع هذه المواد الخام والطاقة ؟ .

قاع البحر

وهنا تدخل العلم ليأخذ دوره في الكشف عن مصادر جديدة للمعادن ، واتجه نظر العلماء إلى **المحيطات** الشاسعة التي تغطي مساحة تزيد عن ١٤٠ مليون ميل مربع (حوالي ٧١ بالمائة من سطح الأرض) .

فقد ثبت للعلماء أن قاع البحر غني بكثير من المواد الأولية ، وهذا ليس جديداً . فقد تمكن الإنسان منذ سنين عديدة من استخراج النفط من قاع البحار والمحيطات ، ولكن إذا كان النفط سائلاً ويمكن ضخه بسهولة من مكامنه تحت اليابسة أو البحار ، فكيف السبيل إلى استخراج الفلزات المعدنية ؟ .

في أيار (مايو) ١٩٧٩ م ، تناقلت وكالات الأنباء الخبر المثير : لقد تمكن الإنسان ، وللمرة الأولى في التاريخ ، من اثبات إمكانية الحصول على مواد غنية بالمعادن من قاع البحر في ظروف عمل قاسية للغاية .

منخفض أطلانطس

أما مسرح الأحداث فهو **منخفض أطلانطس**(*) **في البحر الأحمر** ، حيث أكدت الدراسات السابقة ، وجود كميات كبيرة من التوتياء والنحاس والفضة على عمق حوالي ٢٠٠٠ م ، وفي درجة حرارة ٦٠° مئوية .

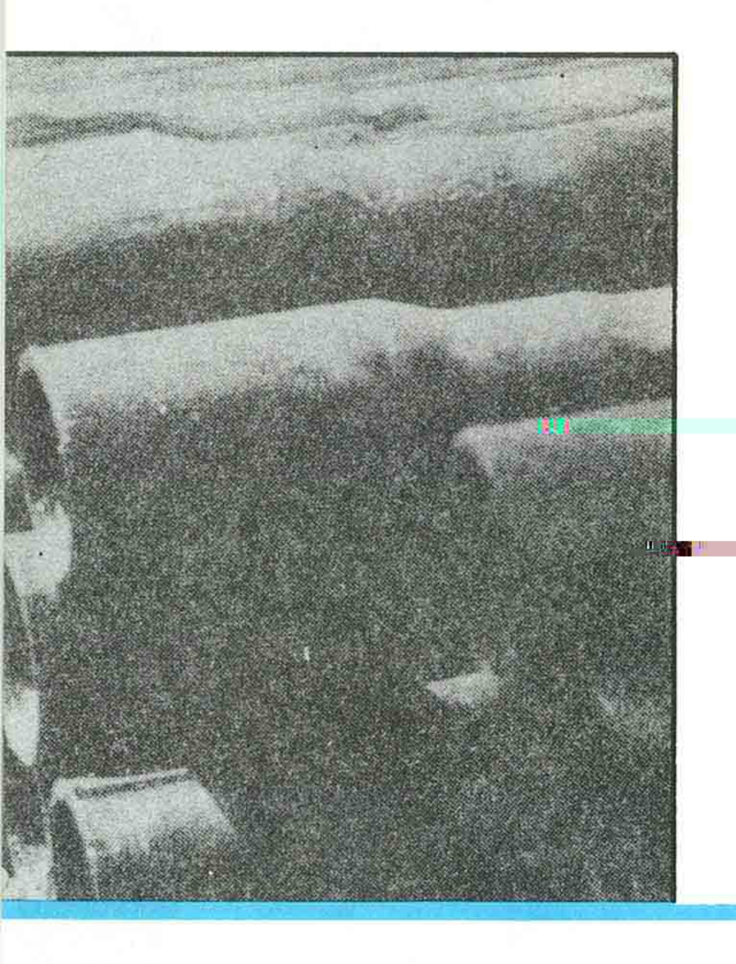
تبلغ مساحة منخفض أطلانطس ، حوالي ٦٠ كم٢ ، ويقع تقريباً في وسط البحر الأحمر بين **السودان** من جهة **والمملكة العربية السعودية** من جهة أخرى .

يقوم بتمويل المشروع وبحوثه **لجنة البحر الأحمر التي شكلتها المملكة العربية السعودية والسودان** عام ١٩٧٤ م . وتعتبر العملية مخاطرة اقتصادية كبيرة لأنه لم يسبق للإنسان أن استخراج مثل هذه الفلزات من أعماق كبيرة كهذه . وقد أثبت الإنسان العربي أنه يواكب سلّم التكنولوجيا ، وأنه مستعد لخوض الغمار التكنولوجية مجهولة النتائج ، حيث تيسر له بمساعدة الخبراء الألمان البرهان على إمكانية الحصول على المعادن من عمق يزيد عن ٢٠٠٠ م من قاع بحر عربي هو البحر الأحمر .

وقد دلت الدراسات التي أجراها فريق من الخبراء الألمان أن قاع البحر في منخفض أطلانطس ، يحتوي على ٣٠ مليون طن من **الحديد** ، ٢,٥ مليون طن من **التوتياء** ، ½ مليون طن من **النحاس** ، وحوالي ٩٠٠٠ طن من **الفضة** . وتقدر كمية التوتياء التي يمكن استخراجها خلال العقدين القادمين (حتى نهاية القرن الحالي) بحوالي ٥٠ ــ ١٠٠ ألف طن سنوياً .

ولكن كيف تستخرج هذه الفلزات من قاع البحر ؟

الجواب إنها تجرف من قاع البحر على شكل وحل يحتوي على المعادن المختلفة بواسطة أنبوب قطره ١٢ سم ومزود برأس سحب زجاج يشفط الوحل ، ثم تقوم مضخات خاصة بدفع الوحل إلى سفينة الاستخراج



العائمة، حيث يتم فصل الفلزات الصلبة عن ماء البحر، علماً أنه يمكن بهذه الطريقة استخراج ١٠٠ م٣ من وحل الفلزات في الساعة الواحدة.

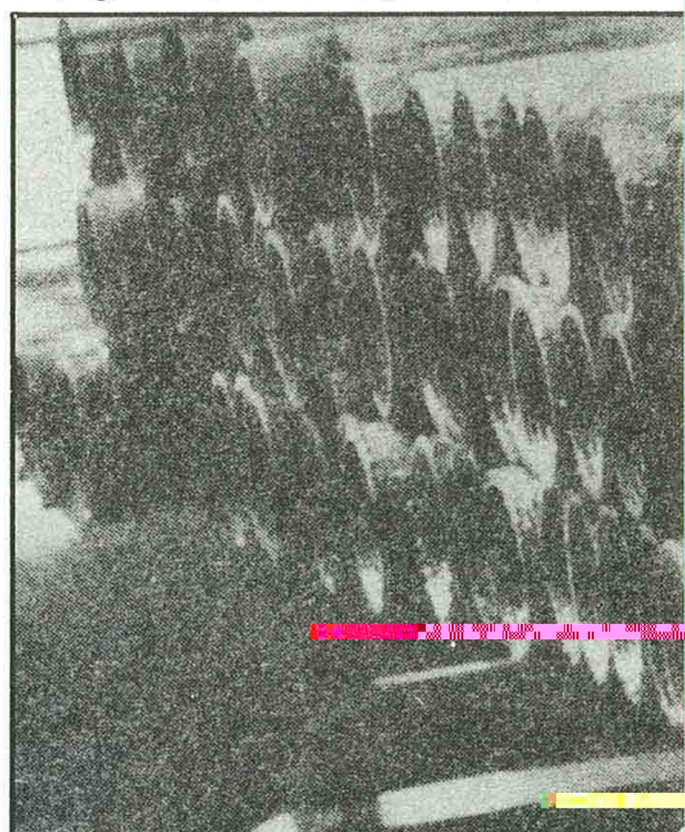
ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان فوراً هو: كيف يتشكل الوحل في بحر يفترض أن يكون قاعه صخرياً؟.

يعتقد العلماء أن منخفض أطلانطس، يمثل شكلاً نموذجياً للبراكين التي تثور تحت الماء، إذ إن قارتي **آسيا وإفريقيا** تتباعدان عن بعضهما، لذا تتشقق قشرة الأرض في بعض المواقع وتنضغط المواد الموجودة في باطن الأرض مندفعة نحو الأعلى. يتغلغل ماء البحر ضمن شقوق الصخور الحارة فينتزع منها بعض المعادن ليتجمع الناتج ببطء في «بحيرة الأملاح على قاع البحر» مشكلاً ما يسمى **«بوحل الفلزات»**.

ومن المنطق أن نتساءل هنا: هل سيكون في المستقبل «مناجم» في قاع البحر؟ والجواب هو أن مستوى التطور التكنولوجي في الوقت الحالي يدل على أن ذلك لن يكون بالأمر السهل، وهناك بعض الصعوبات التكنولوجية أهمها:

١ ـ تتطلب درجة الحرارة المرتفعة في قاع البحر الأحمر (حوالي ٦٠° مئوية) تجهيزات خاصة ـ غير متوفرة حالياً ـ لاستخراج وحل الفلزات.

شكل رقم (٤): ★ نموذج من الأنابيب المستخدمة في عمليات استخراج الفلزات ★



٢ ـ يتم استخلاص المعادن المطلوبة من الوحل على نطاق واسع بواسطة الترسيب، حيث يوضع الوحل في أحواض هادئة، فتتجمع الفلزات في الأسفل. ولكن أنى لهذه العملية أن تتم على سطح البحر الذي يصطرع بالأمواج دوماً؟.

٣ ـ أن تركيز ملح الطعام الكبير في مياه البحر الأحمر تسبب للعلماء صعوبات جمة أهمها تآكل التجهيزات المستعملة لأنها مغمورة بالمياه المالحة دوماً.

٤ ـ من غير المعروف مدى الأضرار التي قد تلحق بالبيئة البحرية نتيجة القاء الوحل المتبقي بعد عملية الفصل والترسيب إلى البحر ثانية.

ويجيب العلماء على الملاحظات السابقة كما يلي:

١ ـ إن أجهزة الشفط والضخ التي صنعت خصيصاً لهذا المشروع تفي بالغرض، وتتناسب مع شروط العمل غير الطبيعي: العمق الكبير ودرجة الحرارة المرتفعة.

٢ ـ دلت الاختبارات أن عمليات فصل الفلزات على ظهر سفينة غير مستقرة ستجري بصورة ممتازة.

٣ ـ يمكن غسل الفلزات لتخليصها من الملح العالق بها، ويمكن كذلك استخدام محاليل الكلور للتخلص من التركيز المرتفع للأملاح.

٤ ـ لن تتأثر الحياة النباتية والحيوانية في البحر الأحمر بكميات الوحل المعادة إليه.

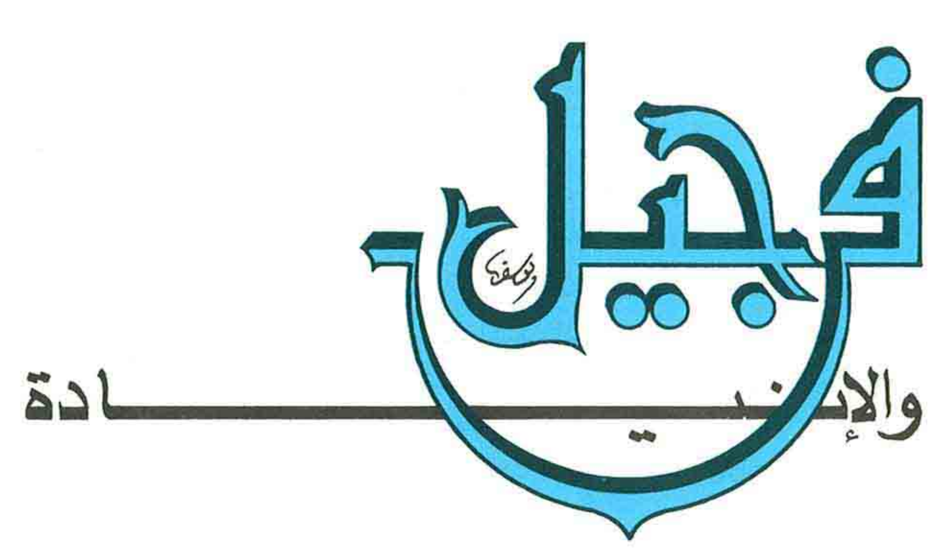
بعد نجاح الخطوة الأولى، وبعد أن تم التحقق من إمكانية استخراج الفلزات من أعماق البحر فقد أعرب الخبراء عن تفاؤلهم بنجاح المشروع الكامل. ولكن الأمر يحتاج أيضاً إلى إجراء بحوث مخبرية مكثفة لتقييم النتائج التي تم التوصل إليها حتى الآن.

والجدير بالذكر أنه تم حتى الآن انفاق حوالي ١٠ ملايين دولار على المشروع، علماً أن تكاليفه النهائية قد تبلغ مئات الملايين من الدولارات. لكن هذا المبلغ يمثل مقداراً لا يذكر إزاء أرباح المشروع المتوقعة، إذ تقدر قيمة الاحتياطي في منخفض أطلانطس، بـ ٥ مليارات من الدولارات.

وحيث أن احتياطي الفلزات المعدنية في العالم يتناقص بصورة متسارعة، لذا سيمثل مشروع البحر الأحمر بعد اكتماله أعجوبة القرن التكنولوجية وخطوة رائدة لكشف المزيد من أوحال الفلزات في قيعان محيطات العالم.

الحواشي

★ أطلانطس: هي الجزيرة المزدهرة التي يعتقد بأنها غرقت في المحيط الأطلسي، وهي تعرف في المراجع العلمية باسم «القارة السادسة»، و «القارة المفقودة».



بقلم : ماجدة رحيباني

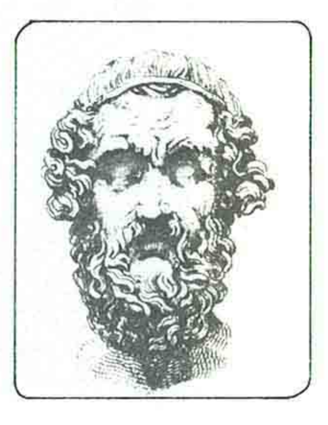
ولادته ونشأته وثقافته وآثاره

ولد الشاعر **فرجيل** Virgil بإيطاليا في قرية بالقرب من **مانتوا** من أعمال **فينسيا شمالي نهر البو** عام ٧٠ ق . م . ولما بلغ الثانية عشرة أرسل إلى المدرسة في **كرمونا** Cremona ، وفي الرابعة عشرة إلى **ميلانو** ، وفي السادسة عشرة إلى **روما** حيث درس البلاغة ، وأخيراً استقر في **نابولي** . ومن المحتمل أن يكون **قد درس فيها علم الفلك والطب** ، وبعد ذلك بقليل أصبح تلميذاً **لسيرو الأبيقوري** ، كما بدأ اهتمامه بالشعر مبكراً .

كان والده كاتب محكمة فوفّر من راتبه ما أمكنه من شراء ضيعة كان يربي النحل فيها . ثم صادر أكتافيان وأنطونيو ضيعة أبيه هذه ، وتعويضاً له عن ذلك تولى حاكم غالية الإيطالية رعاية فرجيل الشاب في تشجيعه على الاستمرار في قصائده « **المختارات** » التي نشرت ولاقت قبولا حسناً من أهل روما ، وأنشدت إحدى الممثلات بعض أبياتها على المسرح .

تركت البيئة الريفية أثرها في نفس الشاعر الحساسة في الرعويّات (**أناشيد الرعاة** Bucolique) أناشيد الطبيعة الساحرة ، والخضرة البهيجة بين سنتي (٤٢ ـ ٤٧) ق . م . في روما . وموضوعها : وصف الرعي والرعاة بأسلوب جميل ، وأنغام عذبة ، وحنان زاخر ، وحب فياض ، ففيها تمجيد للريف وحياة الريف التي يراها مثلاً أعلى للحياة .

كان فرجيل معتل الجسم يعاني من صداع دائم ، ومرض في الحلق ، وبصاق دموي ، فلم يتزوج وقد كان معروفاً في نابولي باسم « العذراء » . ولقد رد أكتافيان على الشاعر ضيعته فنظم قصائد يمجد فيها الزراعة والمزارعين ، وهو العليم بحياة الريف ، القادر على تصور ما فيها من سحر وجمال فأصدر بعد سبع سنين أغاني الفلاحين (**الزراعيات** géorgique) بين سنتي (٣٦ ـ ٢٩) ق . م ، وترجمتها الحرفية : العمل في الأرض . وشعره في الزراعيات مصقول رقيق . وفيها يتحدث عن أنواع التربة وطرق علاجها ، وفصول الزراعة والحصاد وغرس الكروم والزيتون وتربية الماشية والخيل . . . ويورد كلمة عن أمراض الحيوانات وعلاجها . ويذكر ما في الحياة الريفية من مشاق وجهود وكفاح مستمر . ولكن « **العمل يقهر كل شيء** » ويقول إن الأخلاق الكريمة تنبت في المزارع ، وإن الفضائل التي وقفت عليها عظمة روما قد غرست ونمت في الريف ، ويبدو أن فرجيل قد نظم هذه الزراعيات ليطرب أهل المدن وليدعو أصحاب الأراضي للعمل فيها بعد أن هجروها إلى المدن ، كما أن فيها إشادة بأهمية العمل ، وإبرازاً لأهمية الفلاحين الذين كادت كثرة الحروب تهددهم بالفناء .



★ هوميروس ★

وخلال السنوات العشر الأخيرة من حياة فرجيل عمل على إصدار عمله الخالد : **الإنيادة** Eneide نسبة **للبطل أينياس** . وأراد الشاعر أن يسافر إلى **اليونان وآسيا** لإتمامها ولكنه مرض في **ميجارا** وتمكن من الوصول إلى أثينا بصعوبة ، واشتد به المرض وتوفي في **برنديزي** ١٩ ق . م . بعد أن أوصى رفيقه **أغسطس** بإبادة الإنيادة إذ إنه كان بحاجة على الأقل إلى ثلاث سنوات لتنقيحها وتهيئتها للنشر . لكن صديقه هذا خالف رغبته بل على العكس عمل على مراجعة الإنيادة ونشرها .

ملحمة الإنيادة

إنها أسطورة عن أصول روما السحيقة أضاف إليها فرجيل كثيراً من علمه وحماسته راغباً بأن يسطر الملحمة القومية لوطنه ، وأن ينافس اليونان في **الإلياذة والأوديسة** فالفكرة الأولى فيها أن يتغنى فرجيل بمعارك **أكتافيان** وانتصاراته ، ولكن الموضوع اتسع فشمل الأحداث التي جرت بعد تأسيس روما ، ووصف أخلاق الرومان ، ومحاولة بث حب

الفضائل القديمة في قلوبهم عن طريق تصوير بطل الإنيادة يعظم الآلهة الوثنية ويسير بهديها .

وتقسم الإنيادة إلى اثني عشر كتاباً ، ويبدو تلخيصها أمراً شاقاً لما فيها من تفكك وتبدد .

تلخيص أحداثها

انقضى على **سقوط طروادة** ست سنوات ، وكان الناس يتبادلون حديث سقوطها على شواطئ **البحر الأبيض المتوسط** . في تلك الآونة لمعت على ساحل إفريقيا مدينة **قرطاجة** بحماية **الإلهة جونون** Junon حتى لتكاد هذه المدينة تسيطر على العالم . وتشاهد هذه الإلهة في عرض البحر **أسطول« إينياس »** أحد قادة طروادة عائداً بفلول جيشه نحو إيطاليا لينشئ فيها دولة عظمى . فتحرك هذه الإلهة الأعاصير والعواطف على السفن فتضطرها إلى النزول على **ساحل ليبيا** ، حيث يقيمون في خليج عميق وارف الظلال .

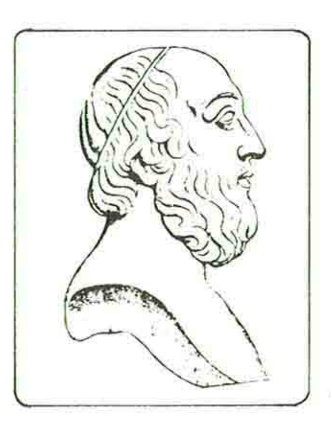
(وتأكيداً من الشاعر ڤرجيل على ربط تأسيس روما بالآلهة ينتقل هنا إلى عالم الآلهة فيصور لنا **ڤينوس** والدة **إينياس** تتضرع إلى كبير الآلهة **جوبيتر** Jupiter أن يطلعها على المستقبل ، ويجلو لها مصير ابنها ذلك البطل الطروادي فيعلمها جوبيتر بأن « إينياس » سوف يؤسس إمبراطورية عظمى شاسعة يتناوب حكمها أباطرة عظام حتى أوكتاڤيوس) .

يذهب « إينياس » ليتعرف على المنطقة التي نزل فيها فتخبره فتاة أنه قريب من مدينة أنشئت حديثاً هي قرطاجة وملكتها « **ديدو** Dido » من أصل **فينيقي** كان أخوها **ملك صور** قد ذبح زوجها طمعاً في ماله فغادرت ديدو فينيقيا متوجهة نحو الشاطئ الإفريقي وأقامت قرطاجة .

توجه « إينياس » نحو قرطاجة ودخل متخفياً ، ثم قصد قصر الملكة فشاهدها على عرشها تنصت إلى حديث بعض البحارة الذين كادوا يغرقون قرب مملكتها فإذا بهم رفاقه الذين ظن أنهم لاقوا حتفهم . ويحدثها زعيم هؤلاء البحارة عن أميرهم الذي قد يكون لاقى حتفه (ويقصد به إينياس المتنكر) عند ذلك يخرج إينياس من تنكره فتدعوه الملكة ورفاقه إلى تناول الطعام في قصرها . حيث يصور لنا الشاعر المدعوين وقد اضطجعوا على أرائك حمراء وردية .

هنا يبدأ البطل الطروادي بسرد أحداث حرب طروادة منذ أن تظاهر اليونان برحيلهم وخلفوا على الشاطئ حصانهم الخشبي الضخم المعروف ، واختبؤوا بجزيرة مجاورة ، وتساءل أهل طروادة عن هذا الجواد أيكون هدية جادت بها عليهم الآلهة ؟ أم أنه حيلة من الإغريق . وقد وفد بعض الرعاة إلى **الملك پريام** وأتوه بشاب وسيم على وجهه معالم البراءة وقال « إن اليونان قد صنعوا هذا الجواد ليقدموه قرباناً إلى آلهة طروادة ليأمنوا شرورها ، ولكم يرغبون ألا يستطيع الجنود اقتحام أبواب المدينة لأنه إذا استولى الطرواديون على الحصان تمكنوا من طرد اليونان ونقل الحرب إلى دارهم . ويشهد هذا الشاب على صدق كلامه الآلهة والسماء ونجومها وهو يبكي بدمع غزير . ومن الواضح أنه أحد عملاء اليونان .

ويموج البحر ويظهر منه **تنين** رهيب يقترب من طروادة ويخطف ذلك الكاهن الذي اقترح إبعاد الجواد عن المدينة . عند ذلك يأمر **الملك پريام** أن يهدم أحد أسوار طروادة ليدخل الجواد المملوء بجند اليونان . وجن الليل وغرق الطرواديون في نوم عميق ، وفي وسط الظلام ألقى الجواد حمله الوخيم جنوداً يونانيين مسلحين ورأى « إينياس » في نومه **هيكتور** العظيم يقول : « إن مدينة طروادة تتعرض لخطر وعليك عند حلوله أن تجمع الآلهة وأن تنجو بها إلى بلاد بعيدة » عندها يستيقظ « إينياس » فزعاً



★ أفلاطون ★

على صراخ فقد بدأت المعركة داخل طروادة وذبح الملك پريام .

ويقصد « إينياس » قصر الملك فتقع عيناه على امرأة ترتجف وتحاول أن تخفي نفسها عن الأعين فإذا بها « **هيلانة** » ويكاد « إينياس » أن يقتلها لولا أن أمسكت أمه بيده وقالت : إن سبب فناء طروادة من إرادة الآلهة وليس بإمكان امرأة ضعيفة أن تقوض أسس إمبراطورية عظيمة . ويتوسل إينياس إلى أبيه المقعد **أنكيسيز** Anckises أن يهرب على ظهره ويجر وراءه ابنه « اسكينوس » فيركبون سفينة تنزل بهم في مناطق متعددة ، إلا أن أصوات الآلهة تحثهم دائماً على متابعة الإبحار .

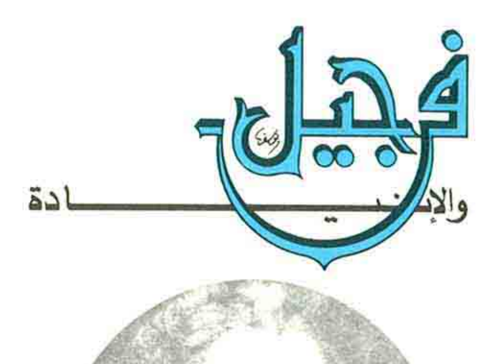
ويستأنف البطل الطروادي قصته وليست سوى قصة طائفة من اللاجئين ينتقلون من بلد إلى آخر وهم يستطلعون آراء الكهان حول مصيرهم إلى أن ينزلوا ساحل قرطاجة .

تأثرت الملكة ديدو تأثراً بالغاً وهي تستمع إلى قصة البطل الطروادي فوقعت في حبه . وهبت عواصف مواتية ألجأتهما إلى كهف واحد ، وعدت ديدو ما كان بينهما زواجاً . وطاب لإينياس المقام عندها فلم يصحُ إلا على تأنيب الآلهة القاسية تنذره بالسفر وتقول له : إن هذه البلدة ليست هي البلدة التي يجب عليه أن يجعلها عاصمة له . ويودع الملكة بما يشبه الغناء « لن أنكر أيتها الملكة أنك تستحقين مني ما تعجز الألفاظ عن التعبير عنه ، ولكن **أبولو** قد أمرني الآن بركوب البحر . . . فامتنعي عن أنه تهلكي نفسك . **إني لا أسعى إلى إيطاليا بمحض إرادتي** » .

ويصف ڤرجيل انتحار الملكة ديدو في فقرة جميلة مؤثرة إذ تلقي بنفسها فوق كومة من الحطب وتحرق نفسها حية .

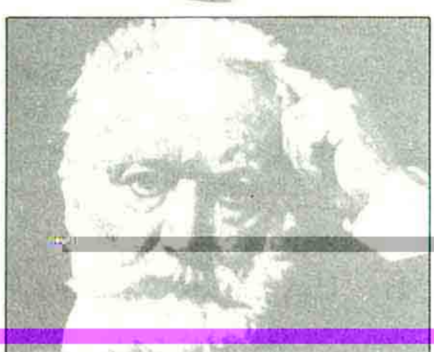
يصل إينياس إلى **صقلية** ، ثم إلى **إيطاليا** بعد أن يزور مملكة الموتى وفي هذا يقول ڤرجيل : « ما أسهل النزول إلى الجحيم » وفي الفصول الأربعة الأخيرة من الملحمة يصور لنا الحروب الشديدة التي جرت بين الطرواديين والشعوب التي كانت على جانبي **نهر التيبر** Tibre .

وتنتهي الملحمة بزواج البطل





★ ڤولتير ★



★ فيكتور هوجو ★

الطروادي إينياس من لاڤينيا Lavinia **ابنة أحد الأمراء ثم تأسيس مدينة روما .**

أضواء على الإنيادة وناظمها

« **إني لا أسعى إلى روما بمحض إرادتي** » . هذه العبارة هي سر القصة ومحورها الذي تدور عليه . فمن الواضح أن غاية فرجيل من نظم هذه الملحمة هي أن يسبغ على النظام الإمبراطوري قيمة دينية روحية وأن يبين أن رسالة الإمبراطور سليل الآلهة إنما هي السيادة على العالم .

إن أسطورة تأسيس روما على يد أحد أبطال طروادة كانت شائعة قبل فرجيل بزمن طويل ، ويقول مؤرخو الأدب إن أحد أوائل الأدباء الرومان وهو **كنيوس نيڤيوس** من القرن الثالث قبل الميلاد « كتب وهو شيخ طاعن في السن ملحمة شعرية في الحرب اليونانية الثانية التي خاض هو نفسه غمارها تفيض وطنية وحماسة . وتبدأ هذه الملحمة بذكر تأسيس روما على أيدي اللاجئين الطرواديين وقد استمد منها ڤرجيل موضوع ملحمته وكثيراً من مناظرها » .

مزج ڤرجيل في ملحمته بين لونين من ألوان الملحمة : **الملحمة التاريخية** ومصدرها لاتيني ، **والملحمة الميثولوجية** ومصدرها يوناني . وميثولوجيا ڤرجيل جافة ، والإلاهاته نماذج تقليدية جامدة ، وهي مليئة بالتكلف .

والإنيادة تشبه الأوديسة في فصولها الستة الأولى ، كما تشبه الإلياذة في فصولها الستة الأخيرة . إذ أخذ ڤرجيل عن **هوميروس** نظرته للآلهة التي تتدخل في شؤون الناس فتحارب معهم . أما **فكرة الثواب والعقاب** فقد أخذها الشاعر عن **أفلاطون** فتحدث عن الجنة والمطهر والعقاب في الجحيم . وأما فكرة العودة الدائمة فقد أخذها عن **المدرسة الرواقية** ، كما أخذ عن **ڤيثاغورس** فكرة تناسخ الأرواح وتقمصها في أجسام مختلفة . **فأهمية الإنيادة أنها تضم معتقدات عصرها ومعارفه ، وهي تختلف عن الملاحم اليونانية في أنها مليئة بالورع الديني والجد الأخلاقي .**

ويبدو بطلها إينياس شجاعاً لا تصل شجاعته حد التهور ، يحارب دفاعاً عن الواجب ، وعن الرسالة التي حملها من الآلهة ، وهو متزن حذر يسيطر على رغباته وغرائزه ، فهو صورة مثالية للقائد الروماني **أثناء الحرب** ، وهو تقي يقدس الآلهة ويتقرب إليها مضحياً بعواطفه في سبيل ذلك ، وهو يحترم والده ويحافظ على أنظمة البلاد التي يمر بها فهو صورة مثالية للرجل الروماني **أثناء السلم** . ويبدو في الإنيادة حب الشاعر للطبيعة وحبه للإنسان ويتجلى ذلك في رحمته « أما أنت يا ابن روما فواجبك أن تحكم العالم وستكون فنونك أن تعلم الناس طرائق السلم ، وأن تشفق على الذليل ، وأن تذل الفخور »[1] كما تظهر دعوة الناس إلى حب الآباء والوطن والآلهة » [illegible] الأقدمين وإيمانهم » .

وكل ما في القصة يرجع إلى « الواجب المضني ، واجب بعث الشعب الروماني » .

شهرة ڤرجيل وأثر الإنيادة

إذن فملحمة الإنيادة عملت على زيادة شهرة ناظمها ڤرجيل إذ اعتبرت مرجعاً أدبياً . وحذا حذوها الشعراء . ومن الفلاسفة المسيحيين من رأى في ڤرجيل أكبر الشعراء ، ومنهم من اعتبره غير ذلك ، حتى لقد اختاره **دانتي** رفيقاً له في الملهاة الإلهية أثناء زيارته للجحيم . وفي عصر النهضة حاول رونسار في القرن السادس عشر تقليدها في **ملحمة (الفرنسياد)** وكذلك قلدها **ڤولتير** في القرن الثامن عشر في **ملحمة (هانرياد)** لكن الملحمتين لم تنجحا . كما اقتفى أثر ڤرجيل كثير من الشعراء الرومانسيين وأبرزهم **فيكتور هوغو** .

كما تعود شهرة ڤرجيل إلى أنه كان شاعراً قومياً ، وإلى علمه الذي جذب نقد النحاة والشراح ، وبذلك أصبح ڤرجيل كلاسيكياً تدرس مؤلفاته في بعض فصول الدراسة . ولقد عد ڤرجيل مبشراً بالمسيح لرقته وخشوعه . حتى لقد وصلت به شهرته أن أصبح شخصية أسطورية . ولقد وصل من مؤلفات ڤرجيل عدد كبير من المخطوطات يعد أفضل شاهد على أن رواية أشعاره استمرت منذ القديم دون انقطاع .

المصادر

١ ـ ول ديورانت : قصة الحضارة ، ج ٩ ـ ١٠ ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٢ ـ جورج سارتون : تاريخ العلم ، ج ٦ ، القاهرة ١٩٧٣ م .

٣ ـ أحمد أمين : قصة الأدب في العالم ، ج ١ ، القاهرة ١٩٤٣ م .

٤ ـ LA GRANDE ENCYCLOPEDIE. T 20, PP: 12659-12662.

٥ ـ MARGOLIN (GEORGES): LITTERATURE LATINE ch II, PP 178-284.

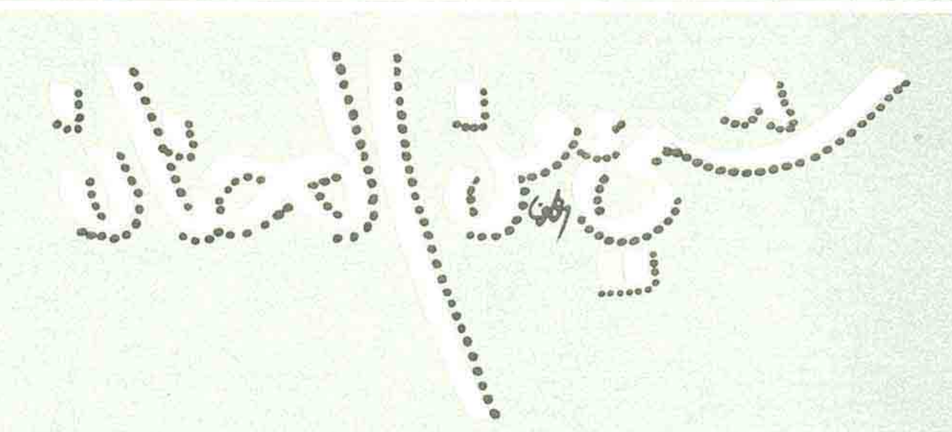
بحث عن الأدب اللاتيني في مجموعة التاريخ العام للآداب .

HISTOIRE GENERALE DES LITTERATURES Tome I.

[وفي هذين المرجعين الأخيرين بعض الصور التي يمكن الاستعانة بها إذا رغبتم] .



بقلم :
د. عيسى المصو



ارتسمت علامات الدهشة على ملامح **مارك** عندما شاهد القمصان والبنطلونات التي ترتدى في الإجازات منتثرة على فراش زوجته ، وعندما سألها عن السبب تورّد خداها وهي تجيب باستحياء أنها للرحلة البحرية .

قال وقد تقطّب جبينه :

● وأية رحلة هذه يا حبيبتي ؟

قالت محتجّة وهي تحاول أن لا يخامر صوتها أي اختلاج :

– يا مارك .. إنك تعرف أنك وعدتني منذ سنوات بأن نقوم برحلة بحرية في البحر الأبيض المتوسط . إن لديّ كومة من نشرات السفر وتواريخ الإبحار ، ويمكننا أن نستقل أية سفينة في نهاية الشهر ، فدعنا نراجع النشرات .

● آه ، إنني نسيت .

كانت في الحادية والثلاثين من عمرها ، نحيلة الجسم ، ذات وجه خلا من التجاعيد . وكان شعرها الأشقر لامعاً كما كان عليه يوم زفافها ، كما كانت [illegible] صديقاتها يلاحظن أثر الحزن البادي في ثنية شفتها ، بل حسبنها سعيدة في زواجها وقانعة بحياتها .

واستطرد زوجها يقول :

● آسف ، فأنا لا أستطيع أخذ إجازة الآن ، فهناك قضيتان قادمتان .

وألَمَّ بها الارتجاف ، وجف حلقها ، فقد كانت هذه هي اللحظة التي تخشاها ، إذ ربما تكون أهم اللحظات في حياتها . فأجابت :

– إذن فسأذهب بمفردي .

وغمر الغرفة سكون مطبق ، وكأن كلاً منهما كان يخشى إحداث أي صوت . وتحرك مارك نحو النافذة ينظر إلى الفضاء بينما أخذت أصابعه تنقر على الزجاج ، فقال :

● وكم سيكون غيابك ؟

– لا أعرف إذا كنت سأعود .

وخفّت حدة تأزمها النفسي الآن بعد أن تفوّهت بهذا القول ، فقد كانت تشك فيما إذا كانت تملك من الشجاعة ما يسمح لها بأن تجهر بأمر قد يمزق حياتها إرباً إرباً ، فلا غرابة أن تستشعر بعض العزاء ، وكأن حملاً ثقيلاً قد انزاح عنها .

● وهل يعني ذلك أنك تفكرين في أن تتركيني ؟

– أجل . إنني أفكر في هذا الأمر منذ زمن طويل ، فإنه لا يوجد أحد هنا في حاجة إليّ .

قال بجفاء :

● إلا أنا ، فأنا زوجك ، أو هل طاب لك أن تنسي ذلك ؟

– إنك لا تحتاج إليّ يا مارك ، وما احتجت إليّ منذ سنوات .

وكانت تعلم أنه يتوجب عليها أن تقول ذلك رغم علمها بأن في كلامها ما يؤلم ، ولكنها لم تكن تعلم بمدى هذا الإيلام ، وما لبثت أن حنت رأسها لئلا يلمح

شيء من الحنان

دموعها .

قال :

● **ليس هذا صحيحاً . إنني أعترف بأني لم أستطع أن أمنحك من وقتي ما كنت أحب ، ولكن قولك بأنني لست بحاجة إليك ، فهو ببساطة ليس صحيحاً .**

قالت بلهجة سادتها المرارة :

— إنك لم تكن بحاجة إليَّ ، فقد كانت مهنتك ، وموكلوك ، وطموحك السياسي دائماً نصب عينيك . وكل هذا كان أهم عندك من زوجتك .

وأخذ كرسياً وجلس عليه وهو يواجهها ، وقد شعرت أنه ارتج عليه أكثر مما كان يرغب في الكشف عنه ، ولاحظت أن الخوف طغى عليه ، وبدا غير واثق من نفسه رغم جهده في إخفاء ذلك ، وبانت معالم قلقه في عينيه وفي تجهّمه وارتجاف يديه .

كانت قد انقضت مدة طويلة منذ أن شاهدت آثار القلق مرتسمة عليه ، وكان ذلك في عهد التلمذة وانتسابه لكلية الحقوق ، عندما جاء إليها وهو يتلعثم طالباً يدها . وعادت بها الذكرى إلى تلك اللحظة التي وافقت فيها على الزواج منه لأنها كانت تحبه . ولكنها ما تزال تحبه . وكان زواجها الكنز الذي تحرص عليه ، ولكن الوقت قد حان الآن لكي تضع ذلك الكنز موضع الامتحان بعد كل هذه السنوات .

ولم تكن تقصد إيذاء مارك بهذه الصورة . وشعرت بالشفقة والندم يسريان في صدرها وهي تراقبه وهو يحاول السيطرة على نفسه ليتمكن من التعبير عما يختلج في نفسه . أجل ، إنها أشفقت عليه ، ولكنها أرادت مساعدته على أن يرى الحقيقة .

قال بعد فترة طويلة من الصمت في لهجة فيها من الاستعطاف ما أقدرته عليه كبرياؤه :

● **إنك تفاجئينني بهذا دون سابق إنذار ، وتتوقعين مني أن تكون أجوبتي جاهزة .**

واستطرد يقول مبتسماً ابتسامة شاع فيها القلق :

● **إنك لم تمنحيني الفرصة لأعد دفاعي عن نفسي .**

قالت برفق :

— ليس يوجد أي دفاع أمامك ، فلا يوجد أحد تقنعه يا مارك ، فنحن بمفردنا ، وليس يفصلنا شيء سوى الحقيقة .

ثم استطردت بعد أن تقابلت عيناهما :

— هل نسيت كل ما كنا سنفعله ؟ في البداية عندما كنا فقراء ، وكنت محامياً صغير السن تناضل ، هل نسيت جميع الخطط التي وضعناها ؟ كنا مفعمين بالأمل وتراودنا الأحلام ، موقنين بأن المسألة لا تعدو أن تكون مسألة زمن قبل أن تتحقق الأماني .

● أجل ، أتذكر ذلك ، ولكنه لا يبدو لي أن عندك ما يبرر الشكوى . فلقد ناضلت بشدة ، وكسبت مبالغ من المال وإنني واثق من أنني سأتشارك مع رؤسائي في المستقبل القريب . ولم أقم بكل هذا في سبيل نفسي ، بل كان ذلك من أجلك ، ولكي أعطيك كل ما تشائين ، فقد اقتسمت كل شيء معي .

أجابت بلهجة شبه باكية :

— إنني لم أتزوجك من أجل هذا ، بل لكي أكون معك . فهل من الصعوبة فهم هذا يا مارك ؟ كان الأمر في البداية رائعاً عندما بدأت شهرتك في الانتشار ، وعندما بدأ كبار الموكلين يتواردون عليك . لقد فرحت وطربت كما فرحت أنا وطربت . ولكن الزمن جعلني أدرك أن كل قضية ، وكل نجاح

لم يكن إلا إسفيناً يفصل بيننا ، ويبعدنا عن بعض ، ويعزلك عني ، ويقلص الوقت الذي يجمعنا حتى كاد يضمحل ، فتلاشت الأحلام التي حلمناها ، وتبدد الحب الذي كان يجمعنا ، واختفت الحياة التي أحببناها . فلقد استبدلت كل هذا بالنجاح ، والمال ، والقوة . ماذا بقي لدينا الآن ؟ النجاح ، والمال ، وإمكانية دخولك في شراكة مع رؤسائك . أما الباقي فقد آل إلى الضياع .

قال مارك :

● **وبعبارة أخرى إنك تلومينني لأنني أشتغل بكد وأحاول التقدم ، فماذا كنت تريدين مني ؟ أن أصبح كاتباً بسيطاً ؟**

قالت راجية :

— لا تدعنا نتشاجر ، فلم أكن أقصد التشاجر .

قال بلهجة تشوبها المرارة :

● **لا ، إن كل ما كنت تودينه هو أن تخرجي من حياتي بعد إعطائي مهلة لحظة ، وذلك بعد ثماني سنوات من الزواج .**

قالت بلهجة متعبة :

— في الواقع إنني لم أكن داخلة في حياتك لمدة لا تقل عن نصف هذه السنوات ، بل كنت على أحسن افتراض في ركن قصي من حياتك . لم أعد مهمة بالنسبة إليك يا مارك بالطريقة التي كنت فيها في الماضي أو بالطريقة التي كنت أريدها .

● **ولكنك مهمة لي ، وستكونين دائماً مهمة .**

لقد كانت تخشى هذا وتتوقعه بخوف ولهذا بادرت إلى القول :

— آه يا مارك ، لو كنت فعلاً مهمة في حياتك لتركت كل شيء وجئت معي .

قال وقد عيل صبره :

● **لا أستطيع ذلك الآن ، فلماذا لا تذكريني من قبل .**

— لأنك وعدتني من قبل مرات ومرات ، ولكنك في آخر لحظة كان أحد الأسباب يمنعك ويجعلك تنكث بوعدك . هذا كان دأبك دائماً .. دائماً .

وأمسكت عن الكلام .

قال مارك بحزن :

● **لم أكن أدرك أن ذلك مهماً لك إلى هذه الدرجة .**

وخطر لها أنه لم يكن يدرك أشياء كثيرة . فالرحلة في حد ذاتها لم تكن تعني شيئاً ، فهي ، أي الرحلة ، لم تكن سوى رمز . لقد كانت تسعى للاحتفاظ به لنفسها ، واستعادته إليها من مشاغله الخارجية التي حلت تدريجياً محلها بشكل لا يقاوم ، حتى أضحت اليوم تكاد تكون غريبة وشبه منسية تعيش على هامش حياته .

قالت :

— **إنك تتعامى .**

قال معترفاً :

● قد يكون ذلك صحيحاً ، ولكنك مهمة بالنسبة إليَّ وأهم من أي شيء آخر ، رغم ما تعتقدين ، لأنني أحبك .

ونهض بسرعة والتفتْ ذراعاه حولها قوية معززة ، فشعرت بالتأزم في داخلها يرتخي ، وبعقدة الخوف والإهانة تنحل ، وسمعته يتمتم في أذنيها متوسلاً أن لا تتخلى عنه . ولم تجب ولكنها رفعت يدها متلمسة وجهه ، وتدفق فيها شعور من الحرارة والسعادة ، وأدركت أنها لن تستطيع مواصلة القتال .

قال :

● **أعدك وعداً أكيداً أننا سنذهب في رحلة بحرية في الشهر القادم ، أو الشهر الذي يليه ، وأنا أعني ما أقول ، وسنبق أطول مدة تشائينها ولن أخيب أملك هذه المرة .**

وعلمت أنه كان يقصد ما يقول ، أنه دائماً يقصد ما يقول ، ولكنه ربما في هذه المرة قصد ما يقوله أكثر من عادته ، لأنه روع .

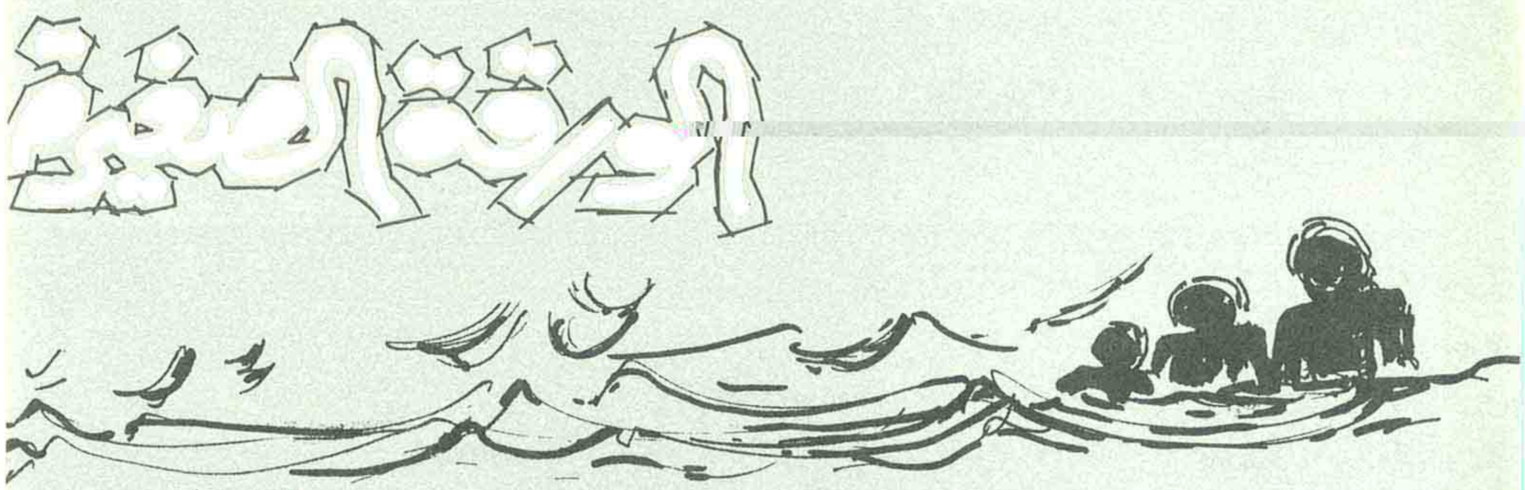
وعندما عاد مارك إلى عمله بعد الظهر طوت الملابس قطعة قطعة ، وأعادتها إلى الخزانة وكأنها تعيد معها أحلامها . إنها عرفت أنها قد هزمت على أمرها ، ولكنها لم تشعر بخجل لأنها سلمت له بهذه السرعة منخدعة بكلمات قليلة من الحنان وبحرارة ذراعيه حولها .

ولكنها أحسّت الآن أن الأمر لم يمكن يجيء على غير هذا الشكل . فللحب جذر قوي يتحمل الصدمات ، جذر عميق الأصول ، وإذا ما تعرّض للهزات واستبق قسم صغير منه ، فإنه سينمو من جديد في تربة القلب الغنية حتى لا يبق متسع لأي شيء آخر .



بقلم:
غالب حمزة أبوالفرج

الورقة الصغيرة



وتمتد يده لتلتقط من الأرض ورقة صغيرة ألقت بها الرياح أمام قدميه على مقربة من الشاطئ الأزرق الذي طالما تطلع إليه في وله وشغف، يراقب أمواجه المتلاحقة كأنفاس عذراء في طريقها إلى بيت الزوجية.

وألق بناظريه على الكلمات التي تسلسلت سطورها في رقة ودقة وعناية، وكأن كاتبها آثر أن يمنحها شغاف قلبه ولكن...

من يكون كاتب هذه الكلمات ؟؟؟

عبقري أو مجنون؟ لا هذا ولا ذاك، فلربما جاءت الأفكار على ذهن الإنسان العادي بما يعتبر إلهاماً خارقاً للعادة.

وألقاها بعناية في ثوبه الأبيض بعد أن قرأها مرات ومرات.

أتكون الصدفة أحياناً سبيلاً لأن يعرف الإنسان دخائل نفسه؟

لا يدري، وإن كان يود أن يعرف، ولكن.. وتاه في الزحام، ليلتقي بالعديد من الناس الذين جاءوا يبحثون عن الراحة في ظل هذا الكورنيش الجديد فهو يذكر المكان ويعرف تفاصيله، قد تكون يد التجديد قد غيرت الكثير من معالمه لدرجة أصبح يحاول أن يرجع إلى ذكرياته عن المكان والناس، وكل شيء.

ويمضي وورقته الصغيرة، يفتقد الهدوء نتيجة خفقات قلبه الذي أخذ ينبض في قوة.

وأخذ يسترجع معاني الكلمات الدقيقة في أعماقه بلا هدف وأخذ يفكر....

أيمكن أن يتفق بعض الناس في نوع أحلامهم وأمانيهم وآمالهم ورغباتهم وآلامهم؟

ذلك شيء يستطيع اليوم أن يراه ماثلاً أمام عينيه بعد أن قرأ ما قرأ، وإلا ماذا يمكن أن يقول عن كاتب تلك الكلمات التي يحملها في جيبه؟

واسترق النظر إليها في هدوء ليستزيد ذاكرته فحوى حروفها المضيئة....

ترى من هو صاحب هذه الكلمات، أيمكن أن يكون إنساناً له نفس شكله ولونه وصفاته؟

وهز رأسه قليلاً، ثم أخذ يسير في الطريق ليجد نفسه أمام مجموعة كبيرة من الشباب شاقهم أن يلقوا بأنظارهم حول إنسان كان يقبع على الأرض في انسجام ظاهر مع ريشته التي أخذ يخط بها على اللوحة ألوانه الصغيرة، ونظر إلى اللوحة فرأى فيها مزيجاً من شاطئه الذي أحب، وصورته، وهو يمد يده ليلتقط الورقة التي قرأ، حتى إذا ما رفع إلى وجهه صاحبها نظراته رآه يبتسم في حرية وهو يقول:

هل في مقدورك أن تمنحني قليلاً من وقتك؟

وأجاب بالقبول.. ثم استدرك قوله بكلمات تمتمها في حرية ولكن لماذا؟

وأجابه صوت الرسام قائلاً لأنك صاحب الصورة، وأنا صاحب الورقة.

وكيف عرفت؟ قالها في حب؟

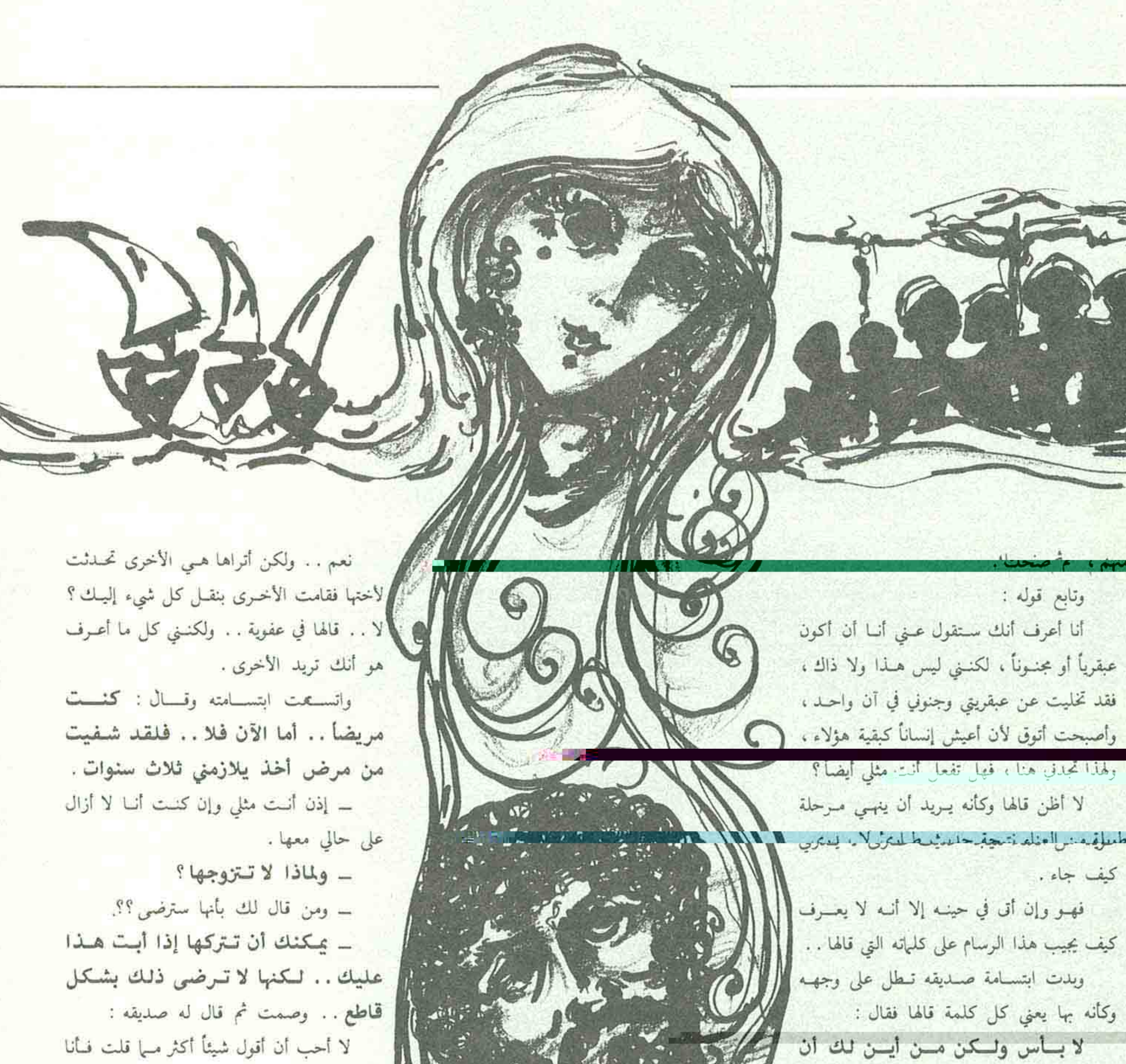
رأيتك بنفسي، بمنظاري هذا، وكنت أراك دائماً هنا، فأنا وأنت من معدن واحد لقينا، ما لقينا، نتيجة إحساسنا بالحياة أكثر من غيرنا.

وهل تظن أننا سنصل إلى ما نريد؟

لا عليك فالحياة لا تعطي الضعيف إذا لم يقو على أخذ حقه.. وضحك.. وأعاد النظر إلى وجه الرسام، وقال: **ولكن لماذا؟ هل اخترتني أنا من بقية الناس؟**

وأجابه الرسام.. ألم أقل إننا نتوافق في كثير من الأحاسيس، بالإضافة إلى أن مشكلتنا واحدة.

فأنت عبقري النظرة والفكره والرأي تكتب ما تحس، ثم تلقي بما تكتب في سلة المهملات لا لأنها لم تعجبك وإنما لأنك لا تريد أن يقرأ ما كتبت مثلك أما اليوم فقد تغيرت أنا وبقيت أنت على ما أنت عليه فقد كنت أرسم لها، ولها وحدها، ولكنني تحررت من قيودها فبدأت أرسم للهواء الطلق للناس كل الناس وهي



منهم ، ثم ضحك .

وتابع قوله :

أنا أعرف أنك ستقول عني أنا أن أكون عبقرياً أو مجنوناً ، لكنني ليس هذا ولا ذاك ، فقد تخليت عن عبقريتي وجنوني في آن واحد ، وأصبحت أتوق لأن أعيش إنساناً كبقية هؤلاء ، ولهذا تجدني هنا ، فهل تفعل أنت مثلي أيضاً ؟

لا أظن قالها وكأنه يريد أن ينهي مرحلة طويلة من [illegible] لا يدري كيف جاء .

فهو وإن أتى في حينه إلا أنه لا يعرف كيف يجيب هذا الرسام على كلماته التي قالها . .

وبدت ابتسامة صديقه تطل على وجهه وكأنه بها يعني كل كلمة قالها فقال :

لا بأس ولكن من أين لك أن تعرف ؟

أجاب الرسام .

قد تعرف أولا . . فهما توأمتان واحدة عرفتها وعرفت أنا الأخرى عن طريق الآخر عرفت عنك كل الذي قلت وضحك ، ثم تابع حديثه . . هذا هو الأمر يبدو في بساطة شيئاً يسيراً غير الذي تفكر فيه . . وصمت وقال :

أنت هو إذن ؟

نعم . . ولكن أتراها هي الأخرى تحدثت لأختها فقامت الأخرى بنقل كل شيء إليك ؟

لا . . قالها في عفوية . . ولكنني كل ما أعرف هو أنك تريد الأخرى .

واتسعت ابتسامته وقال : **كنت مريضاً . . أما الآن فلا . . فلقد شفيت من مرض أخذ يلازمني ثلاث سنوات .**

ـ إذن أنت مثلي وإن كنت أنا لا أزال على حالي معها .

ـ **ولماذا لا تتزوجها ؟**

ـ ومن قال لك بأنها سترضى ؟؟

ـ **يمكنك أن تتركها إذا أبت هذا عليك . . لكنها لا ترضى ذلك بشكل قاطع . .** وصمت ثم قال له صديقه :

لا أحب أن أقول شيئاً أكثر مما قلت فأنا وإن كنت قد أنرت طريقك فقد أضأت شموعاً كثيرة أمام طريقي أيضاً والنتيجة .

ها أنا أمامك أرسم في حرية بينا تتوه أقدامك في الطريق . .

وضحك ومضى وهو يفكر في كل ما قاله صديقه الذي لم يعرفه . . وإن كان هو قد عرفه قبل أن يفتح فمه بكلمة . . وأخذ يفكر ويفكر . . على أمل أن يجد الجواب لكل

الورقة الصغيرة

ما يشغل باله حتى إذا ما غذ السير في طريقه ، ارتفعت من وراء الماء صورة فتاته وهي تضحك في تعابير قاسية جعلته يبدو كالأبله وسط مجموعة الناس الذين يملؤون الطريق .

أمن الممكن أن يحب الإنسان أي إنسان مثل هذه الفتاة ؟ قد تبدو الآن أمام عينيه صورتها بعد أن تكشفت عن حقيقتها مجرد امرأة لا ترى في الحياة سوى صورتها هي ، وحدها وأنانيتها وحبها لنفسها ولكن من الجنون أن يكشف الإنسان الحقائق أخيراً وبعد طول وقت ، وإن كان من الأفضل له أن يعرف .. وها هو قد عرف بأنه قد بات مكشوفاً أمام الرسام وأخت تلك التي أرادها أن تكون زوجته .

ثم ماذا يدريه عما قالت عنه هذه المرأة ...

لا يدري .. ولا يود أن يعرف لكنه سينسى منذ الآن كل الماضي .. سينسى فتاته أيضاً إلى الأبد .. فهو يأمل بأنه سيتحرر من الماضي وقيوده ويمضي في طريقه الحاضر لأنه أفضل بكثير من ذلك الماضي .

ويعود إلى البيت يبحث في أدراج المكتب عن أشياء صغيرة للمها يوم كان معها حتى إذا ما وجدها أخذ يطيل النظر فيها .

كأنه يراها لأول مرة .

وابتسم من كل قلبه وهو يرى صورتها تطل من بين ذاكرته .. ورنين التلفون يشق أذنه في إصرار وعناد .. لكنه لم يكن في حالة تجعله يلتفت إليه فآثر الصمت وكأنه يخاف هذا الأسود الملعون .

وازداد رنين التلفون هذه المرة فامتدت يده إليه في لا مبالاة ، وانسل صوتها في أذنه قائلاً :

أين أنت .. لقد تعبت يدي وهي تطلبك ؟

وأجابها في شوق ولماذا ؟ وأجابت لأقول لك بأنني افتقدتك ، وافتقدت معها ابتسامتك .

وقال : **ومنذ متى هذا الإحساس ؟**

ـ منذ زمن طويل لكنني كنت أحاول أن أخفيه ..

ـ إذن فقد قلت للرسام بعض ما جرى بيني وبينك ..

ـ وأجابت في هدوء **من هو هذا الرسام الذي تتحدث عنه ؟**

ـ خطيب أختك ..

ـ لا ، قالتها في هدوء .. وأتبعت قولها .. فأنا لا أراه ولا أعرفه ولكن كيف عرفته ؟

ـ في الطريق .. على الكورنيش التقيت به صدفة ..

ـ ماذا قال لك ؟

ـ كل ما قلته لأختك ؟

ـ قالت في غيظ .. هذه الملعونة لا يمكن أن تحتفظ بسر .. ولكن ثق بأنني أريدك .

ـ تريديني أنا ؟ قالها في استغراب .

وأجابت على الفور ..

نعم ، ومن كل قلبي .. وأرجو ألا يكون حديث الرسام قد أساء فيما بيننا من محبة

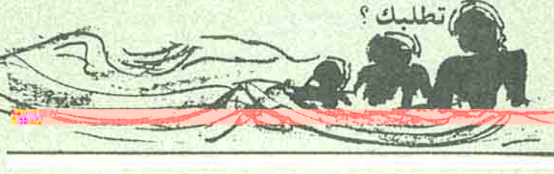
وأطرق ببصره إلى الأرض فترة من الوقت وسماعة التلفون تنقل إليه خفقات صدرها ونبضات قلبها فأحس بأنها صادقة فقال لي معك حديث أتركه إلى الغد .

وأجابت **ولماذا لا تأتي الآن ؟؟؟**

ـ قد أفعل ذلك : وصمت فضحكت من قلبها ثم قالت لن تقابلني أنا فقط ، وإنما أبي فهو ينتظرك . ليحدد موعد الزفاف الذي آثر أن يأتي قريباً إذا كنت أنت راغباً فيه مثلي .

وأجابها في همهمة وكأنه يؤكد في تمتمته تلك رغبة تجيش في صدره وأقفل سماعة التلفون على أن يلتقيا فوراً .

ومضى في طريقه وعلى فمه لحن من ألحان السعادة أحس به ينساب من بين شفتيه في هدوء وإصرار رغم كل ما كان ..





بقلم :
د. محمد عزت الصبّاغ

خيط الدخان

غريبٌ في مدينة النور لأول مرة . سائقٌ لعائلة ، وحريصٌ على ما تبقى من وقت حرص البخيل . يصرف جلّه في ردهات (**السربون**) ، داخل مكتبتها ، ووراء مكتبه في غرفته المتواضعة .

ها هو وراء المقود ينفّذ أوامر السيّدة ، : « من هنا ، قف هنا ، تريّث ، تابع » . . يا للغرباء ! لعينةٌ هي الساعة التي اخترتك فيها سائقاً . ويزداد قرفاً وكمداً ، ينعكس فيما بعد قلقاً صرفاً داخل (**السربون**) والهاجس ، كيفيّة العيش والصمود .

في مساءٍ كان متحرراً ينشد راحةً لبعض الوقت . أضواء المدينة تُنير مياه (**السين**) ، ترسم على صفحته ابتسامةً عربية ، ووعاءً للتاريخ ، تمتم عن الأمّة ، وعن العين المتفحّصة من الماضي إلى الحاضر ، افترّ عن ابتسامة متعالية صفراء ، تعالت عن تلك التي رسمتها الأضواء على صفحة المياه ، وبين الابتسامتين ، حاكم لأرض الضاد ، مرسوم بحدود أمل يتلاشى سريعاً كخيط الدخان . انحسرت عيناه ، وعاد إلى عمله .

من بعيد غرفة السيّدة مضاءة . بجرأة وهدوء وحذر تسلّل إليها فاجأها !

ـ كيف تجرؤ ؟

ابتسمت عيناه العربيّتان الواسعتان ، ركّزتا بحنوّ عليها ، خفّفتا من دهشتها ، افترّ عن ابتسامة ، لم يتركها لحين بادلته إيّاها .

ـ دفعني إلى الحضور إليك إحساسٌ لا أعلمه ، وكل ما أملك هو طيبة وشهامة عربيّتان ، وإخلاص .

بادلته ابتسامة مطمئنة ، خال بعد ذلك أن الأمر قد استتبّ ، وما أشدّ خيبة ما خاله في اليوم التالي !

قلتُ لك من هنا ، من هنا ، أأصمّ أنتَ؟ يا للغرباء !

عاد إليه قنوطه أكثر حدّة ، عبارة « يا للغرباء » ، فعلت في نفسه فعلها ، حدجها بنظرة غاضبة ، بادرته على الفور :

ـ كيف تجرؤ أيها اللعين؟ وما أراك تمثّل لي؟ ماذا تعني لي؟ مجرّد ... ، وابتسمت بهزء غاضب .

اشتعل غضباً .. قال في نفسه كلاماً سيئاً .

ضغط بقوة على كابح السيّارة ، توقفت ، نزل منها ، عرقلة سير ، مخالفة نظام ، لم يعنه من ذلك شيء ، وهام على وجهه .

استوقفته ابتسامته المتكبّرة كردّة فعل على قولها : مجرّد ... مجرّد ... ، وانقلبت إلى صفراء ساخرة ، أجل مجرّد وقود من فرد ينتمي إلى جماعة من البشر ، وصرخ : هراءُ القول عن تفاعل الحضارات ، هراء القول أن صانعي التاريخ هم العظماء ، وعظماء الضاد منذ وقت غير قصير على ما هم عليه ؛ فأيّة حتميّة في التاريخ هذه؟ أيّة حتميّة ؟! يا للزمان !

ما زال حاكم أرض الضاد مرسوماً بحدود أمل يتلاشى كخيط الدخان .

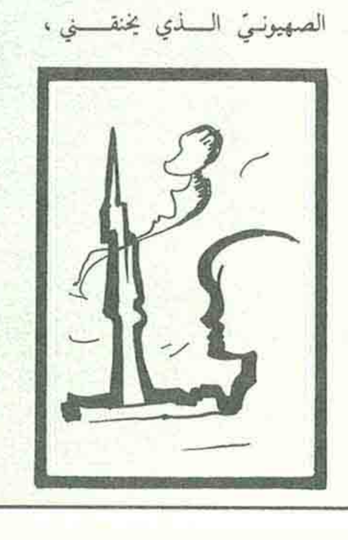
على رصيف (السين) كدسةُ « ضاديّة » من متنزّهي أحد المؤتمرات ، تذكّر عنواناً لبحث تحاور مع أحدهم بشأنه في إحدى قاعات (السربون) : « الشعر العربيّ والتكنولوجيا » انفجر ضاحكاً ، يا للنكتة ، ستتغيّر أروقة (السربون) من أجل هذا البحث ، يضحك ويضحك ، لم يستطع أن يضبط نفسه ، اضطر لأن ينزوي حتى لا يلاحظه أحدٌ ؛ فجأة انكمشت ضحكاته إلى تلك الابتسامة ليلة البارحة على صفحة مياه « السين » تحت الأضواء ، يتحسّسها الآن ، يراها ، يرقبها ، نفس الابتسامة المأساوية من جديد .. يا للتعاسة ! ويتمتم : **كيف يكون تاريخ أمّة جزءُ من تاريخ العالم ؟**

ويبتسم ابتسامةً صفراء ، عندما جال في ذهنه تفاعل الحضارات . قول هراء ، رأيٌ أخرق ، إنّ من تقدّم لا ينظر إلى الوراء ، وكأن أروقة (السربون) ، بل قل كل الجامعات ، لم تصنع من بين الركام أيّ شيء ، لم تصقل أيّ ذات ؛ فأية حتميّة في التاريخ هذه ؟

يشعر بالخجل ، وبثقل شديد في أجفانه ، لم يقوَ على التفكير في كيفية أخرى للصمود في مدينة النور ، ويمضي ..

في يوم نجح في الحصول على عمل **في سوق « الهال »** ، سائقٌ لشاحنة صغيرة ، تحمل ذبائح ، يحملها إليها بنفسه ، ويُفرغها للبائعين ، حمّال وسائق في آن ، لا بأس ، لا بدّ من الصمود .

الوقت قبل انبلاج الصباح ، يجلسُ وراء المقود ، منتظراً دوره لشحن الذبائح ، يجول نظره في صحيفة . فجأة وقع نظره على تحقيق عن اللاجئين ، فقرأ عن **اللاجئين الفيتناميين والكمبوديين والأوغنديين** والمفاجأة .. وعن اللاجئين الإسرائيليّين ، وفي آخر آخر المطاف ، في آخر سطريْن خجوليّن من التحقيق ، عن اللاجئين الفلسطينيّين ؛ شعر بالاشمئزاز والحرقة في آن ، تذكّر تلك التمثيليّة المدرسيّة في حفلة نهاية السنة أيام كان طفلاً ؛ عندما كانت زميلته الصغيرة **« صبيحة »** ، تمثّل دور فلسطين ؛ تموت من ضرب الصهيونيّ ، وما لبثتْ أن استفاقت ، وبادرتْ جميع الحضور المندهشين : « عار عليكم يا عرب » ، ماذا أستفيد منكم رغم أنكم عشرون ؛ ما دامت أيديكم كلّها مشغولة برفع الأعلام ؟ وبدلا أن تهجموا على الصهيونيّ الذي يخنقني ،



لا تفعلون سوى أن تدوروا حولي وتغرورق عيناه ، يفاجئه صوت أذانٍ منخفض في سوق « الهال » ، إنه أحد الجزائريّين يدعو إلى صلاة الصبح ، وتنهمر على خدّيه دمعتان حرّى ..

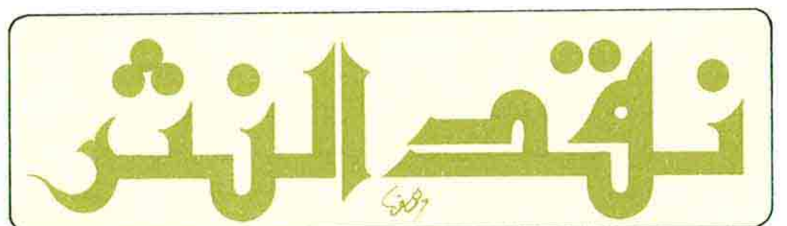
يمر الوقت ، وكأنه كان ينتظر الحاكم المرسوم بحدود الأمل انتظاراً متلهفاً دون جدوى ؛ إنه خيط الدخان يتلاشى . تفرّس في الذبائح ، خُيّل إليه أنها متمثلة بالضحايا العربية ولا حصر لها ، والأخيرة تمثّلت بفلسطين وغضَّ من طرفه ..

عادت إليه الابتسامة الصفراوية ، ذكّرته بأحد المسؤولين الضاديّين داخلاً قصر (الإليزيه) ، خُيّل إليه : أن نتيجة الاجتماع قبله وبعده ! ، قد ارتسمت بابتسامة ساخرة لأحد حرّاس الشرف الفرنسيّين ، وهو يستقبله على باب القصر ، يُحيّيه بتقديم السلاح !

ويغضُّ طرفه من جديد ..

ما زالت هذه الابتسامة المأساوية من جديد على صفحة (السين) وذلك الوعاء التاريخيّ ، فيه ألفاظ مجرّدة وشعارات ، وابتسامة أخرى تشرف على ذلك كل مساء ، متعالية وصفراء ، وبين الابتسامتين ؛ حاكمٌ مرسومٌ بحدود أمل ، يتلاشى كخيط الدخان .. خيط الدخان !!!





نقد النثر

لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي

حققه وعلق حواشيه:

الدكتور طه حسين و عبد الحميد العبادي

عرض وتقديم: خيري شلبي

بلغ مؤلف هذا الكتاب شأواً عظيماً في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية، على وجه التحديد في علم البيان العربي، وقد برع في اللغة والأدب والفقه والكلام والفلسفة والحساب، كما كان على خلق قويم يتعفف عن الصراعات المهنية الرخيصة، ولا يمالئ في قول ولا ينافق صاحب جاه. كان مثالاً جيلاً للعالم الإسلامي المهذب في أوائل القرن الرابع الهجري، والمصادر كلها أجمعت على نعته بالفضل، والبلاغة، والفلسفة، والبراعة في الحساب والمنطق.

يقول **ابن النديم** في كتابه (**الفهرست**): «كان قدامة أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء، وممن يُشار إليه في علم المنطق». ويقول **الحريري** في مقدمة (**المقامات**): «.. ولو أوتي بلاغة قدامة». ويقول **المطرزي** في كتاب (**الإيضاح**): «وهو أبو الفرج قدامة المضروب به المثل في البلاغة، وقيل هو أول من وضع الحساب». ويقول **ياقوت** في (**معجم الأدباء**): «فقرأ واجتهد وبرع في صناعتي البلاغة والحساب، وقرأ صدراً صالحاً من المنطق، وهو لائح على ديباجة تصانيفه، وإن كان المنطق في ذلك العصر لم يتحرر تحريره الآن، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر، وصنَّف في ذلك كتباً».

وأشهر مؤلفات «**قدامة بن جعفر**» كتابي (**نقد الشعر**) و(**نقد النثر**)، الذي نحن بصدده الآن، وقد حقَّقه وعلَّق حواشيه كل من **الدكتور طه حسين** و**الأستاذ عبد الحميد العبادي** الأستاذان ــ في ذلك الوقت ــ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، ونشرته كلية الآداب المصرية عام تسع وثلاثين وتسعمائة بعد الألف.. عن رسالة محفوظة بمكتبة **الأسكوريال** تحت رقم (**٢٤٢**) بعنوان (**نقد النثر**). وقد صدر الكتاب بدراسة ضافية **للدكتور طه حسين** بعنوان (**تمهيد في البيان العربي**)، يليها تحقيق في حياة قدامة ونسبة كتاب (**نقد النثر**) إليه، ومخطوطة ذلك الكتاب المحفوظة بالأسكوريال لعبد الحميد العبادي.

تمهيد في البيان العربي

وفي مقدمته (**تمهيد في البيان العربي**) يقوم **الدكتور طه حسين** بدراسة موجزة ودقيقة فيما سمي بعلم البيان عند العرب، مهتدياً في البداية برأي العرب في «**الجاحظ**» من كونه مؤسس البيان العربي لأنه، فضلاً عن جهوده البيانية الكبيرة، جمع في كتابه (**البيان والتبيين**) طائفة من النصوص، توضح لنا توضيحاً حسناً، كيف كان العرب يتصورون البيان في القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث، وتعطينا صورة مجملة لنشأة البيان العربي إن لم تسمح لنا بتأريخ هذه النشأة.

ويؤكد **الدكتور طه حسين** على ثلاث نتائج نخرج بها من قراءة (**البيان والتبيين**) للجاحظ:

● **أولا**: إن العرب من نهاية **العصر الجاهلي** أخذوا يخضعون صناعة الكلام لنقد أولي، لكنه في أغلب الأحوال سديد، لأنهم كانوا يعولون فيه على سلامة الذوق. ولقد بلغ بهم الأمر أن استكشفوا عيوباً فنية في النظم، ووضعوا من



النصح والإرشاد ما قد يفيد كلام الخطيب والشاعر في صناعته . فهم ، مثلاً ، يحذرون الشاعر من التورط في عيوب معينة قد تلحق القافية ، ويعرفون كيف يؤاخذونه في حال الغلو والتقصير ، ثم هم يتقدمون إلى الخطباء أن يراعوا مقتضى الحال ، فيوجزوا أو يطيلوا على وفق المقام ، وأن يفتتحوا خطبهم بحمد الله والثناء عليه ، ويوشحوها بآي من الذكر الحكيم . وكتاب (**البيان والتبيين**) حافل باقتباسات من الشعر والنثر ، كلها يدور حول هذه الصورة الموجزة لأسلوبهم في النقد ، وكلها يصعد إلى أواخر العصر الجاهلي والقرن الأول للهجرة .

● **ثانياً** : إن العرب منذ القرن الثاني أخذوا يعنون بصناعة الكلام عناية شديدة . وقد دفعهم إلى ذلك أمران : **أولهما** : ما كان بين الأحزاب السياسية في ذلك العصر من صراع تحول إلى عقيدة نظرية في **الكوفة والبصرة** ، أكبر مصادر العراق في ذلك الزمان . **وثانيهما** : الحركة الفكرية القوية التي ظهرت في ذلك العهد نفسه ، فلم تكن مساجد الكوفة والبصرة يومئذ مجرد أمكنة يتعبد فيها المسلمون ويفصل في أقضيتهم ، بل كانت فوق ذلك مدارس يغشاها العلماء لتدريس **اللغة والنحو والحديث والفقه** ، والأخباريون ليقصُّوا على سامعيهم أخبار السيرة والفتوح والفتن ، وزعماء الأحزاب السياسية والفرق الدينية للجدل والمناظرة .

● **ثالثاً** : في ذلك الوقت عينه أخذت تظهر **طبقة عمال الديوان وكتاب الخلفاء** . وكان معظم هذه الطبقة أعاجم ، من الفرس وأهل الجزيرة والسريان والقبط . وكان أفرادها جميعاً قد ثقفوا بلغاتهم الأصلية ، ثم حذقوا فوق ذلك العربية ، مع سوء التلفظ بها أحياناً . هذه الطبقة كانت تلي الخلفاء ورؤساء الدولة المناصب الإدارية والكتابية . وقد أدخلت بذلك على اللغة العربية أساليب لم يعهدها العرب من قبل ، وسلكت في الكتابة طرقاً أخذت بها من كان تحت يدها من العمال ، ومن ثم أصبحت الكتابة أمراً يتنافس فيه وتدون الملحوظات الخاصة به ، وتلقّن أصوله للمبتدئين . **والجاحظ** نفسه يثني على هذه الطبقة فيقول : « **أما أنا فلم أر قوماً قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب ، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً** » .

ومن هذه النتائج الثلاث يتوصل **الدكتور طه حسين** إلى نتيجة شديدة الأهمية هي **أن القول بأن البيان العربي عربي بحت قول مبالغ فيه ، لأنه لا نزاع في أن الكتّاب والمتكلمين ، وجلهم من الأعاجم ، قد ساهموا فيه** . كما أن القول بأنه أعجمي بحت وفق بينه وبين اللغة العربية كما وفق من قبل بين البيان اليوناني واللغة اللاتينية ، قول غير مستقيم ، لأنه لا نزاع في أن العرب هم أيضاً قد ساهموا فيه . أضف إلى ذلك أن الفوارق التي كانت بين **لغة القرآن** وبين اللغات الأعجمية ذوات الثقافة لذلك العهد ، كانت من الجسامة بحيث يستحيل معها مجرد التوفيق بين اللغة العربية وبين أي بيان أعجمي ، واحداً كان أو أكثر . بل ليس صحيحاً أنه كان قد وجد حتى منتصف القرن الثالث بيان عربي تام التكوين ، وكل ما في الأمر أنه قد وجدت جهود صادقة مفيدة ترمي إلى إنشاء هذا البيان ووضع قواعده وتلقينها للطلاب المبتدئين في مدارسهم . ومن اليسير – يقول – أن نتبين في البيان العربي لذلك العهد ثلاثة عناصر مختلفة : **العنصر العربي** وهو واضح شديد الوضوح ، ثم **العنصر الفارسي** الذي يميل إلى البراعة والظرف في القول والهيئة ، ثم **العنصر اليوناني** الذي يتصل بالمعاني خاصة من حيث دقتها والعلاقة بينها وبين الألفاظ ، أي من حيث المبدأ الذي يدعو إليه **أرسطو** ، مبدأ وجوب الملاءمة بين الخطبة وبين السامعين لها .

وبعد أن يعدِّد **الدكتور طه حسين** أسباب ارتباط البيان العربي بالثقافة الهيلينية ، ويربط بين ظهور أول كتاب في البيان العربي للجاحظ وبين ظهور ترجمة لكتاب الخطابة لأرسطو ، وبعد أن يورد أمثلة ونماذج تبين كيف تعامل العقل العربي مع مصطلحات أرسطو وأمثلته ، وما فهموه وما لم يفهموه منها ، يستدرك قائلاً في إعجاب : والواقع أنه ليس من بين العلوم العربية الدخيلة علم كالبيان هضمه العرب واستمرؤوه ، وبخاصة من أواخر القرن الثالث إلى نهاية القرن الرابع . بذلك أصبح البيان اسماً عربياً من جميع الوجوه : عربي من جهة الروح ، عربي من جهة المادة ، عربي من جهة الشواهد ، حتى ليخيّل إلينا ألا صلة بينه وبين أي بيان آخر . **هذا هو السبب في أن بعض مؤلفي العرب اعتقد بإخلاص أن البيان العربي غير مدين للأعاجم في شيء** .

تحقيق في حياة قدامة ورسالته

وفي حياة **قدامة** ونسبة كتاب (**نقد الشعر**) إليه ، ومخطوطة ذلك الكتاب المحفوظة بالأسكوريال ، يقدم **الأستاذ عبد الحميد العبادي** تحقيقاً علمياً دقيقاً . فقدامة هو « **أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد** » المعروف بالكاتب البغدادي . لا نعرف له نسباً فوق جده زياد المذكور . وانقطاع نسبه على هذا النحو قرينة على أنه غير عربي الأصل ، وقد يكون من ذرية بعض نصارى العراق الذين عاشوا في كنف الدولة الفارسية القديمة . وفوق ذلك لا نعرف شيئاً عنه ولا عن ابنه قدامة .

ويضيف **الأستاذ العبادي** قائلاً : كما يحيط الغموض بحياة **جعفر** ، فإنه يحيط كذلك بحياة ابنه **أبي الفرج قدامة بن جعفر** على عظم قدره وعلو شأنه في العلم والأدب . فالمصادر لا تعين سنة ميلاده ولا تقطع في سنة وفاته ، كما أنها لا تورد شيئاً مفصلاً عن حياته العلمية ولا حياته العامة . غير أن ياقوت يروي أنه أدرك زمن **ثعلب و المبرد و أبي سعيد السكري و ابن قتيبة** وطبقتهم ، وأنه سأل ثعلباً (المتوفى عام ٢٩٢هـ) عن أشياء ، فيستفاد من ذلك أنه ولد حوالي عام ٢٧٥هـ ، على تقدير أن سنّه لم تكن تقل عن خمسة عشر عاماً وقت سؤاله ثعلباً . ثم ينقل ياقوت عن **ابن الجوزي** أنه قد توفي عام ٣٣٧هـ ، في خلافة المطيع لله ، ولكنه يعقّب على ذلك بتخطئة **ابن الجوزي** في هذا الخبر ، بحجة أنه عنده كثير التخليط فيما تفرد به من الأخبار ، ويقول إن آخر ما علم من أمر قدامة إنما كان عام ٣٢٠هـ . وكما يخطئ ياقوت ابن الجوزي فإنه يجهّل من قال إن قدامة كتب **لبني بويه** بحجة أنه كان أقدم منهم عهداً .

ويعلّق الأستاذ **العبادي** قائلاً : « ونحن نرى أن ياقوت الحموي لم يوفق في الأمرين جميعاً ، فبدلا من أن يأخذ من تظاهر الروايتين دليلاً على صحتها فإنه يخطئهما معاً » . أما نحن فنلحظ هذا الاتفاق بين الروايتين ونقول بصحتهما ، ونزيد أن **المطرزي** يقول : « **وظني أنه أدرك أيام المقتدر بالله وابنه الراضي بالله** » ، وأن **أبا المحاسن ابن تغري بردي** يروي عن **الذهبي** أنه توفي في العام المذكور ، وأنه قد جاء على الورقة الأولى من النسخة الخطية من كتاب (**الخراج**) أن **قدامة** توفي عام ٣٣٧هـ ، وعلى هذا التقدير يكون قدامة نيف على الستين ، وهي سن تتفق ومكانته الأدبية العالية ، وما خلف من آثار علمية كثيرة قيّمة .

ولا يجد **الأستاذ العبادي** شكاً في أن **قدامة** نشأ ببغداد ، ولعله ولد بها أيضاً ، وقد أسلم في حداثته على يد **الخليفة المكتفي بالله** كما يذكر **ابن النديم** .

وقد أكبَّ قدامة على دراسة العلوم الإسلامية ليعد نفسه لصناعة الكتابة التي احترفها أبوه من قبل ، والتي كانت تتطلب إذ ذاك ثقافة عالية ، وكانت سلماً إلى الوزارة نفسها ، فلما استوفى من ذلك حظاً موفوراً ، التحق بالديوان ، فتولى عام ٢٩٧هـ ، مجلس الزمام في الديوان المعروف بمجلس الجماعة ، ثم ما زال يتقلَّب في الأعمال الديوانية حتى صارت إليه رياسة الكتاب على ما يظهر ؛ فياقوت ينقل عن **أبي حيان** أنه حضر مجلس الوزير الفضل بن الفرات وقت مناظرة **أبي سعيد السيرافي** و **متى المنطقي** في عام ٣٢٠هـ ، وكلامه في صدر المنزلة السادسة من كتاب الخراج يفيد تزعمه الكتاب وقت وضع ذلك الكتاب الذي يرى «**ده غويه**» أن قدامة ألَّفه حوالي عام ٣١٦هـ ، وضمَّنه حوادث وقعت في العام المذكور والأعوام القلائل التي تلته ، وأنه قد رجع فيه إلى السجلات الرسمية . فلما دخل بنو بويه بغداد عام ٣٣٤هـ ، كتب لهم قدامة ، وكل ما يلاحظ عليه من أثر ذلك الانقلاب السياسي الخطير أنه جارى بني بويه في مذهبهم الديني أو السياسي ، فإن على كتابه (**نقد النثر**) مسحة من التشيع الإمامي المعتدل . وقد ظل يكتب لهم على ما يظهر إلى أن توفي عام ٣٣٧هـ .

ويعقب **العبادي** قائلاً : ولقدامة طريقة في التأليف فذة طريفة ، تجمع إلى غزارة المادة وعمق التفكير ، حسن الترتيب ، وسهولة العبارة وإيجازها . وقد بعثه على انتهاج هذه الطريقة قصده في كثير من كتبه إلى أن تكون سهلة التناول والاستظهار على ناشئة الكتاب الذين يعدون أنفسهم لتقلد الأعمال الديوانية . وهو يصرح بذلك في صدر المنزلة السادسة من (**كتاب الخراج**) ، فكتبه من قبيل كتب **ابن قتيبة** ، وإن كان قدامة أروع أسلوباً ، وأمثل طريقة ، وأشد تأثراً بالعلوم الدخيلة في العربية .

نقد النثر في مصنفات قدامة

ومصنفات **قدامة** ، كما يحصيها ابن النديم ، تصل إلى اثني عشر كتاباً :

(١) كتاب الخراج ، (٢) كتاب نقد الشعر ، (٣) كتاب صابون الغم ، (٤) كتاب صرف الهم ، (٥) كتاب جلاء الحزن ، (٦) كتاب درياق الفكر ، (٧) كتاب السياسة ، (٨) كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام ، (٩) كتاب حشو حشاء الجليس ، (١٠) كتاب صناعة الجدل ، (١١) كتاب الرسالة في أبي علي بن مقلة ، وتعرف بالنجم الثاقب ، (١٢) كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر .

ويتحقق **العبادي** من أن هذا الثبت لا يحصر كل تصانيف قدامة ، فالمطرزي يضيف إليه (**كتاب الألفاظ**) ، **وياقوت** يزيد عليه (**كتاب زهر الربيع في الأخبار**) ، ثم إن **حاجي خليفة** يضيف إليه تفسيراً لبعض مباحث **أرسطو** .



★ ابن قتيبة ★

وأيا ما كانت الحال ــ يقول ــ فليس من بين الكتب المنسوبة لقدامة في المصادر التي بأيدينا كتاب اسمه (**نقد النثر**) أو (**كتاب البيان**) . وليس من بينها كذلك كتاب واحد من الكتب الأربعة التي يذكر صاحب كتاب (**نقد النثر**) أنها له ويحيل عليها وهي : (١) كتاب الحجة ، (٢) كتاب الإيضاح ، (٣) كتاب التعبد ، (٤) كتاب أسرار القرآن .

ورداً على تذبذب المستشرقين في نسبة كتاب (**نقد النثر**) لقدامة ، ورداً على شك **طه حسين** في هذه النسبة ، يورد **العبادي** رأياً للعلامة الشيخ **محمد محمود الشنقيطي** الذي اطلع على هذا الكتاب بالأسكوريال ، فكتب يقول : «**كتاب نقد النثر المسمى بكتاب البيان مما عنى بتأليفه أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، وهو كتاب نفيس لا نظير له في فنه ، يحتاج إليه ، وما وقفت عليه بالمشرق ، وقد ألف كتاباً آخر سماه بنقد الشعر ، ولكنه بالنسبة لهذا صغير جداً .**

على أن **الأستاذ العبادي** لا يتردد في نسبة كتاب (**نقد النثر**) لقدامة . . فبعد طول البحث يثبت ذلك عنده لما يأتي :

★ **أولا :** أن الكتاب لا محالة قد كتب في عصر قدامة (عام ٢٧٥ ــ ٣٣٧هـ) ، والدليل القاطع على ذلك أن المؤلف يصف حادثاً وقع **لابن التستري** وشهده هو بنفسه ، وابن التستري هذا هو ولا شك الذي يقول فيه صاحب الفهرس : «**هو سعيد بن إبراهيم التستري وكان نصرانياً قريب العهد من صنائع بني الفرات هو وأبوه ، ويلزم السجع في مكاتباته**» . فإذا علمنا أن دولة بني الفرات ازدهرت فيما بين أعوام ٢٩٠ و ٣٣٧هـ ، فقد ثبت أن مؤلف (**نقد النثر**) عاش في ذلك الوقت .

★ **ثانياً :** أن المقارنة الموضوعية بين كتابي (**نقد النثر**) و (**نقد الشعر**) ترى تقارباً عجيباً في كثير من المعاني فضلاً عن طريقة التعبير عنها ، مما يرجح أن الكتابين صدرا عن مؤلف واحد .

ويورد **العبادي** كثيراً من الأمثلة المقارنة من كثير من الكتب الواردة في ثبت المؤلف ، تؤكد ــ كما يقول ــ أن مؤلف (**نقد النثر**) هو نفسه مؤلف كتب (**الخراج**) و (**نقد الشعر**) و (**الألفاظ**) وهو قدامة بن جعفر .

ثم يطرح العبادي ثلاثة أسئلة هامة :

● كيف عرف الكتاب بـ (**نقد النثر**) مع أن اسمه الحقيقي (**كتاب البيان**) ؟

● بم نفسر عدم ذكر كتب (**الحجة**) و (**الإيضاح**) و (**التعبد**) و (**أسرار القرآن**) ضمن ما ورد من كتب قدامة في المصادر التي بأيدينا ؟

● من أبو عبد الله محمد بن أيوب المذكور على الورقة الأولى من النسخة الخطية ؟ وهل له صلة بالكتاب مطلقاً ؟

يجيب عن السؤال الأول قائلاً ان الاسم الحقيقي للكتاب هو من غير شك (**كتاب البيان**) كما جاء بالورقتين الأولى والأخيرة من النسخة الخطية ، وضعه قدامة لمعارضة كتاب **الجاحظ** (**البيان والتبيين**) كما صرح بذلك في مقدمته ، وغلبة اسم (**نقد النثر**) عليه إنما ترجع إلى محض المقابلة بينه وبين كتاب (**نقد**

الشعر) ، وإلى أن كلام المؤلف على «**باب المنثور**» هو أطول فصول (**نقد النثر**) وأجودها .

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن مخطوطتي (**نقد النثر**) و(**نقد الشعر**) المحفوظتين بالأسكوريال مجموعتان في مجلد واحد ، وأن الأولى دون الثانية هي التي تحمل اسم قدامة .

وعن السؤال الثاني يجيب بأن الكتب الأربعة المذكورة إما أن تكون قد ضاعت وفات المؤرخين ذكرها كما فات ابن النديم ذكر كتاب (**زهر الرياض**) وفات **ياقوت** ذكر كتاب (**الألفاظ**) ، أو أنها مجرد فصول تضمنتها كتب قدامة . وسواء أصح هذا التقدير أم ذاك فقد أفادت الكتب المذكورة قدامة النصراني الأصل والنشأة قبولا لدى صلحاء المسلمين ، تدل عليه العبارة الواردة بالورقة الأولى من (**نقد النثر**) وهي : «**رضي الله عنه وأرضاه**» .

أما عن السؤال الثالث فيجيب بأن **أبا عبد الله محمد بن أيوب** كان ـ كما أكدت خلاصة رأي المستشرقين ـ تلميذاً **لقدامة** ، وأخذ عنه مادة الكتاب ، ثم تولى هو صياغتها . وقد تبين أن **درنبورغ** القائل بهذا لم يستمد رأيه هذا من مصدر قديم بل أخذه من ظاهر العبارة الواردة بالورقة الأولى من الكتاب وهي : «**كتاب نقد النثر مما عنى به أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي رضي الله عنه وأرضاه للشيخ الفقيه المكرم أبي عبد الله محمد بن أيوب بن محمد ، نفعه الله به ، وهو الكتاب المعروف بكتاب البيان**» . فقد ظن درنبورغ ، أن كلمة «للفقيه» متعلقة بكلمة «عنى» ، مع أن اللام في الكلمة الأولى تفيد الملك ، بمعنى أن نسخة الكتاب لأبي عبد الله المذكور ، ولا أدل على ذلك من قول الناسخ : «**للشيخ الفقيه المكرم .. نفعه الله به**» . هذا وليس بالكتاب على الإطلاق شيء يفيد أن مؤلفه أو محرره أندلسي .

درس في البيان

وبعد ، فيقع كتاب (**نقد النثر**) في ثلاثين فصلاً ومقدمة . وهي فصول بتعبيرنا المعاصر وأبواب بتعبير أهل زمن المؤلف . فباب في **قسمة العقل** ، وباب فيه ذكر **وجوه البيان** ، وباب فيه البيان الأول وهو «**الاعتبار**» ، وباب في ذكر **القياس** ، وباب في **الخبر** ، وباب في **البيان الثاني** وهو «**الاعتقاد**» ، وباب فيه **البيان الثالث** وهو «**العبارة**» ، وباب **الاشتقاق** ، وباب فيه ما اعتلت فاؤه ، وباب ما أعلت عينه ، وباب ما أعلت لامه ، وباب فيه **التشبيه** ، وباب **من اللحن** ، وباب فيه **الرمز** ، وباب من **الوحي** ، وباب من **الاستعارة** ، وباب في **الأمثال** ، وباب من **اللغز** ، وباب من **الحذف** ، وباب من **الصرف** ، وباب من **المبالغة** ، وباب في **القطع والعطف** ، وباب فيه **التقديم والتأخير** ، وباب من **الاختراع** ، وباب **تأليف العبارة** ، وباب فيه المنثور وما جاء فيه ، ويحوي خطبة **قس بن ساعدة** التي رواها عليه السلام ، وباب في **اختيار الرسول** ، وباب فيه **الجدل والمجادلة** ، وباب فيه **أدب الجدل** ، وباب فيه **الحديث** .

في المقدمة يحدد قدامة هدفه الأصيل من الكتاب ، وهو هدف علمي بحت : معارضة كتاب من أشهر كتب البيان العربي هو كتاب (**البيان والتبيين**) للجاحظ ، واستكمال ما قد عجز الكتاب المذكور عن استكماله : «**وأما بعد فإنك ذكرت لي وقوفك على كتاب عمرو بن بحر الجاحظ الذي سماه كتاب البيان والتبيين ، وإنك وجدته إنما ذكر فيه أخباراً منتحلة ، وخطباً منتخبة ، ولم يأت بوصف البيان ، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان ، وكان عندما وقفت عليه ، غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب إليه . وسألتني أن أذكر لك جملا من أقسام البيان ، آتية على أكثر أصوله ، محيطة بجماهير فصوله ، يعرف بها المبتدي معانيه ، ويستغني بها الناظر فيه ؛ وأن أختصر لك ذلك لئلا يطول له الكتاب**» .

وبكل تواضع العلماء يعتذر قدامة عن قيامه بهذا الجهد الذي ربما وضعه في مرتبة أعلى من مرتبة **الجاحظ** خاصة أن حق الصديق عند العلماء فوق حق الشقيق .

وتمشياً مع المنهج السائد في ذلك الوقت يدخل **قدامة** إلى موضوعه دخولا تدريجياً ، يبدأ الموضوع من جذره البعيد . فبعد هذه التقدمة السريعة يبدأ ما نسميه في مناهجنا المعاصرة بالمدخل ، حيث يتحدث **عن الإنسان** باعتباره حامل أعظم شيء في الوجود وهو العقل الذي فضله الله به على سائر المخلوقات والذي قال عنه عليه الصلاة والسلام إن حجة الله على العباد النبي والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل .

والبيان عنده على أربعة أوجه : فمنه بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبن بلغاتها ، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكرة واللب ، ومنه البيان الذي هو نطق باللسان ، ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بعد أو غاب .

فالأشياء تبين للناظر المتوسم والعاقل المتبين بذواتها وبعجيب تركيب الله فيها وآثار صفته في ظاهرها . فإذا حصل هذا البيان للمتفكر صار عالماً بمعاني الأشياء ، وكان ما يعتقد من ذلك بياناً ثانياً غير ذلك البيان ، وخص باسم «**الاعتقاد**» ..

الخبر

وأما الخبر فنه يقين ، ومنه تصديق ..

«**فاليقين**» ينقسم **ثلاثة أقسام** : أحدهما **خبر الاستفاضة والتواتر** الذي يأتي على ألسن الجماعة المتباينة هممهم وإرادتهم وبلدانهم ، ولا يجوز أن يتلاقوا فيه ويتواطأوا عليه ؛ فذلك يقين يلزم العقل الإقرار بصحته . وبهذا النوع من الأخبار ألزمنا الله حجج الأنبياء ونحن لم نشاهدهم ولم نر آياتهم ولم نسمع احتجاجهم على قومهم . والثاني **خبر الرسل عليهم السلام** ومن جهر من الأئمة



★ أبو حيان التوحيدي ★

الذين قامت البراهين والحجج من العقل عند ذوي العقول على صدقهم وعصمتهم ، وظهور المعجزات التي لا يجوز أن تكون بنوع من الحيل وليس في طبع البشر الإتيان بمثلها على أيديهم . والثالث **ما تواترت أخبار الخاصة به مما لم تشهده العامة** ، فإن تواترهم في ذلك نظير تواتر العامة .

وأما خبر « **التصديق** » فهو الخبر الذي يأتي به الرجل والرجلان والأكثر فيما لا يوصل إلى معرفته من القياس والتواتر ولا أخبار المعصومين ولا يعلم إلا من جهة الآحاد ، وذلك مثل **الفُتيا** في حوادث الدين التي ابتلي بها قوم دون آخرين ، فسألوا عنها فخبروا بالواجب فيها فنقلوا ذلك ولم يعرفه غيرهم . وليس يقع في أصول الدين التي يتساوى الناس فيها وفي فرضها . والناس محتاجون إلى الأخذ بهذه الأخبار في معاملاتهم ومتاجراتهم ومكاتباتهم ، فإن ذلك أجمع ما لا يقوم البرهان على صدق المخبر به من عقل ولا تواتر ولا خبر معصوم ؛ وإنما يعمل في جميعه على خبر من حسن الظن به ولم يعرف بفسق ولم يظهر منه كذب . .

وقد يستنبط علم باطن الأشياء بوجه ثالث وهو الظن والتخمين ، وذلك فيما لا يوصل إليه بقياس ولا يأتي فيه خبر . وفي الظن حق وباطل ، وظن كل امرئ على مقدار عقله ، فإن كان عقله صحيحاً وتمييزه معتدلا وعلمه ثاقباً وسلم من متابعة الهوى فيما يوقع الظن فيه ، فقد صدق ظنه . فإذا أردت أن يصدق ظنك فيما تطلبه بالظن مما لا تصل إلى معرفته بقياس ولا خبر ، فاقسم الشيء الذي يقع فيه ظنك إلى سائر أقسامه في العقل ، واعط كل قسم حقه من التأمل ، فإذا اتجه لك أن الحق في بعض ذلك على أكبر الظن وأغلب الرأي ، جزمت عليه وأوقعت الوهم على صحته .

وإن الأشياء إذا بينت بذواتها للعقول وترجمت عن معانيها وبواطنها للقلوب ، صار ما ينكشف للمتبين من حقيقتها معرفة وعلماً مركوزين في نفسه . فإذا ما انتقلنا إلى البيان الثاني وهو « **الاعتقاد** » وجدناه على ثلاثة أضرب : فمنه حق لا شبهة فيه . ومنه علم مشتبه يحتاج إلى تقويته بالاحتجاج فيه ، ومنه باطل لا شك فيه . « **فأما الحق** » الذي لا شبهة فيه فهو علم اليقين . واليقين ما ظهر عن مقدمات طبيعية أو عن مقدمات خلقية مسلمة بين جميع الناس . وأما « **المشتبه** » الذي يحتاج إلى التثبت فيه وإقامة الحجة على صحته فكل نتيجة ظهرت عن مقدمات غير طبيعية ولا ظاهرة للعقل بأنفسها ولا مسلمة عند جميع الناس ، بل تكون مسلمة عند أكثرهم أو تظهر للعقل بغيرها وبعد الفحص عنها والاستدلال عليها . وأما « **الباطل** » الذي لا شك فيه فما ظهر عن مقدمات كاذبة مخالفة للطبيعة مضادة للعقل ، أو جاء في أخبار الكاذبين الذين يخبرون بالمحال وما يخالف العرف والعادة ؛ وذلك مثل اعتقاد **السوفسطائية** أنه لا حقيقة لشيء ، وأن الأمور كلها بالظن والحسبان .

المفهوم اللغوي للجدل .. وأدب الجدل

ويعجب القارئ من هذه الخيوط الخفية التي تربط بين الفصول وبعضها في تلاحم عضوي متقن غاية الاتقان ، ومثل ذلك الارتباط قائم بين الجزئيات الصغيرة وبعضها ، ولقد يصعب على القارئ أن يفهم كل فقرة بمعزل عن الفقرة السابقة . وإذا كانت كتب التراث القديمة قد حفلت بالحشو والتطويل والإطناب فإن قدامة في تقديرنا يضرب المثل الأعلى في فن الإختصار ، حتى أن الحرف الواحد لا يمكن حذفه من مكانه ، وهذه قدرة بيانية وبلاغية بالدرجة الأولى ولكن المدهش أن الطابع البلاغي لا يطغى على المعنى . وإن القواعد اللغوية وأنماط التراكيب والحديث فيها يتحول عنده إلى ما يشبه المعزوفات الموسيقية .

يقول في **باب الجدل والمجادلة** إنها قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف اعتقاد المتجادلين ، ويستعمل في المذاهب ، والديانات ، وفي الحقوق ، والخصومات ، والتنصل في الاعتذارات ، ويدخل في الشعر وفي النثر . وهو ينقسم قسمين : أحدهما **محمود** ، والآخر **مذموم** . فأما المحمود فهو الذي يقصد به الحق ويستعمل به الصدق . وأما المذموم فما أريد به المماراة والغلبة وطلب به الرياء والسمعة . **وقد أجمعت العلماء وذوو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجته وبين عن حقه ، واستنقاص من عجز عن إيضاح حقه وقصر عن القيام بحجته** .

وحق الجدل ـ **يقول** ـ أن تبنى مقدماته مما يوافق الخصم عليه ، وإن لم يكن في نهاية الظهور للعقل . وليس هذا سبيل البحث ، لأن حق الباحث أن يبني مقدماته مما هو أظهر الأشياء في نفسه وأبينها لعقله ؛ لأنه يطلب البرهان ، ويقصد لغاية التبيين والبيان ، وألا يلتفت إلى قرار مخالفيه فيه . فأما المجادل ، فلما كان قصده إنما هو إلزام خصمه الحجة ، كان أوكد الأشياء في ذلك أن يلزمه إياها من قوله .

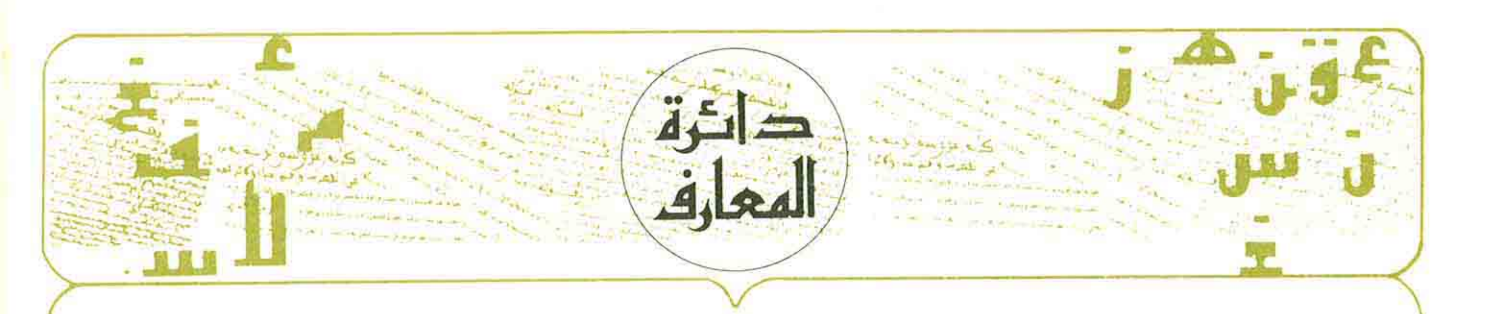
الرأي

و « **الرأي** » هو أن ترد الحادثة على بعض العلماء ، ولا يكون عنده فيها حكم الله ولا سنة لرسوله ، فيجتهد رأيه ، فيأخذ الناس ذلك عنه ، ثم يتبلغه الحكم في ذلك فيدع رأيه ويرجع إلى ما تبلغه من حكم الله ورسوله ويتمسك أتباعه بما حملوه عنه ، لأنهم لا يعلمون برجوعه ؛ ولذلك قال **ابن مسعود** : « **ويل للناس من زلة العالم** » ؛ لأنه يجتهد رأيه ثم يؤخذ عنه ثم يبين له الصواب في غير ما رأى فيرجع إليه ، ويذهب الأتباع بما سمعوا ، فيقع الخلاف من هذا الوجه .

وأما **التخيير** فكالإقامة مثنى مثنى أو فرادى فرادى ، وكتخيير الله عز وجل في كفارة اليمين في الطعام أو الكسوة أو تحرير الرقبة .

خاتمة

لا يسع القارئ وهو يتصفح هذا الكتاب الرائع إلا أن يقرأه ، وإن قرأه لا يسعه إلا الوقوف مبهوراً أمام قدرة قدامة على التنظير اللغوي ووضع مفاهيم جديدة في الفكر والفن والأدب والحياة على السواء دون أن يكون خارجاً عن الموضوع . ولقد شهد مؤرخو الأدب لقدامة بأنه واسع المعرفة والثقافة ، ونشهد له بأن جهده في كتاب (**نقد النثر**) لا يزال يحمل قدراً كبيراً جداً من البكارة ، فكأن هذه القواعد اللغوية التي درسناها في المدارس لم نكن نعرفها قبل أن نقرأ قدامة . **حقاً إن الطريقة التي تعلمنا بها اللغة العربية . والطريقة التي عرفنا بها أساليب البيان والبديع رغم أنها طريقة مثلى بين طرائق تعليم اللغات الأخرى وآدابها ، ولكن البيان العربي عند قدامة يتحول من موضوع تعليمي خالص إلى غذاء وجداني ومصدر من مصادر المعرفة العامة . ويدهش المرء كيف أن مثل هذا الكتاب لم يعد كتاباً رئيسياً في كتب الدراسة بمدارسنا وجامعاتنا كما كان يحدث من قبل ؟!** .



أسماءُ الأُسْدُ



الأسد : يقع على الذكر والأنثى ، فيقال : هو الأسد ، وهي الأسد ، ج أسُد وأسود وأسْد وآسد وآساد .

أسامة : علم جنس للأسد ، وهو معرفة .



البَسُور : أي : الكالح الوجه .

الباسل : ج بواسل . من البسالة والشجاعة .



الجأب : ج جُؤوب ــ والجأب : الغليظ الجافي .

وجائب العين .

الأجبَهُ : لعرض جبهته .

الجُالحُ : نسبة إلى الجُلاح ــ أي السيل الجُراف . [والمجالح أيضاً : الناقة الجلدة على السَنَة الشديدة في بقاء لبنها أيام الشتاء ــ انظر العدد ٤٦ ، ص ١٤٢ من مجلة « **الفيصل** » ــ .

الجهبَر : انثى الأسد .

المجهجه : جهجه بالسبع : صاح به ليكف عنه .

الجوّاس : تشبيهاً بمن يتخلل القوم فيعيث فيهم .



الحادر والحَيْدر والحَيْدرة : لغلظ عنقه .

الحارث وأبو الحارث : قيل هو من « حَرَثَ » بمعنى كسب ، لأنه أقوى الحيوانات على الاحتراث .

المحتصر : لأنه يحاصر قرنه ويقضي عليه .

الحطوم والحطّام والمحطم : لأنه يحطم كل شيء أتى عليه . وأما الحُطَمَةُ : الكثير من الإبل والغنم ، لأنها تحطم الأرض بخفافها وأظلافها وتحطم شجرها وبقلها فتأكله . والحُطَمَةُ أيضاً : العنيف برعاية الإبل . وفي الحديث « إن شرَّ الرعاءِ الحُطَمَة » .

حمزة : من أسماء الأسد .

الحامي : ج حُماة وحامية . سمي بذلك لحمايته لصيده . والحامي أيضاً : من أسماء الجمل (راجع العدد ٤٦ ، ص ١٤٢ من مجلة « **الفيصل** ») .



الخابس والخَبُوس والخبَّاس والمختبس : لأنه يختبس فريسته ، أي يتناولها ويغتنمها (اختبس الشيءَ : تناوله وغنمه) .

الخثعم : (الخَثْعَمةُ : تلطخ الجسد بالدم ، أو أن يجتمع القوم فيذبحوا ثم يأكلوا ثم يجمعوا الدم فيخلطوا فيه الطيب ويغمسوا أيديهم فيه ويتعاهدوا أن لا يتخاذلوا ــ راجع حلف لعقة الدم ــ .

الأخنَس والخنَوَّس : (خَنس : تأخر أنفه عن الوجه مع ارتفاع في الأرنبة ، فهو أخنس .

الخُنافِس : (خنفس عن القوم : كرههم) .



الدرباس : (تشبيهاً بالكلب العقور) .

الدَّوْسَر : [والدوسر أيضاً الجمل الضخم ـ انظر العدد ٤٦ من مجلة « **الفيصل** »] .

الدَّوكس : (الداكس : ما يتطير به من العطاس ونحوه) .
[والدوكس ـ أيضاً ـ : الكثير من النعم والشاء] .

الدَّهث والدلاهث والدلهاث : (لجرأته وإقدامه) .

الدهمس : (والدهمس : الرجل الجريء والجلد) .

الدواس : (لشجاعته ، ولأنه يدوس غريمه) .

ر

الرئبال والرِّيبال : ج رآبيل ورآبل ورآبلة وريابيل . (ترابل : أغار على الناس وفعل فعل الأسد) .

المُتَرَبِّد والأَرْبَد : (نسبة إلى لونه) .

الرابض والرَّبَّاض : (ربض الأسد على فريسته : برك) .

الرَّزَّام والمُرْزِم : الأسد الجاثم على فريسته .

الراصد ج رُصَّد ورَصَد : الأسد الذي يقعد بالمرصاد .

المُرمل والمُرَمَّل : (لتلطيخ فريسته بالدم ـ ارتمل بالدم : تلطخ به) .

الراهب والرهيب والمرهوب : (من الرهبة والفزع) أو ما يُخاف منه .

الرهيص : (أسد رهيص : لا يبرح مركزه) .

ز

الأزبَر ، م زبراء ، ج زُبْر : الأسد . والأزبر : المؤذي .

الزفَر : لشجاعة .

الزنبر : (لتقطيب وجهه) .

الزِّيَاف : (لتبختره) .

س

السِّبْر : ج أسبار . السِّبْر : ما عرف من الهيئة والإشارة ، يقال : حمدتُ « مَسْبَره ومَخْبَره » أي حمدت هيئته وما أدركته منه بالاختبار .

السرحان ، ج سِرَاح وسَرَاح وسراحين .

الساري ، ج سُراة ـ والمُساري والمُستري .

السندري : (لجرأته) أو (لضخامة عينيه) .

السِّيد ، ج سيدان : ساود الأسد : طرده .

ش

المُشيَّب : (الشباب : نشاط الفرس ورفع يديه ، تقول : شَبَّ الفرسُ ، يَشِبُّ : قَمَصَ ولعب) .

الشِّبْل : ج أشبال وشِبال وأَشْبُل وشُبُول : ولد الأسد إذا أدرك الصيد .

أبو الأشبال : (لبؤة شبل : معها أشبالها) ، ومَشْبول : كثير الأشبال .

الشَّتَّامة : الأسد العابس .

الأشجع : م شَجْعاء ، ج شُجْع . (من الشجاعة) .

الشديد : ج أشِدَّاء وشِداد وشدود : بمعنى الشجاع .

الأشدخ م شَدخاء ج شُدوخ . [الأشدخ من الخيل : ذو الغرة الشادخة] .

الشدقم والشداقم : (لاتساع شدقيه) .

الشُّرابت : (لغلظ كفيه) .

الشريس : (لشراسته) وشريس الأكل : شديده .

الشَّرنبث والشَّرنبذ : (لغلظ كفيه وعروق يديه) .

الشكم : (لأنفته) وفلان شديد الشكيمة : إذا كان شديد النفس أنفاً أبياً .

الشَّنبث والشُّنابث : (لغلظه) .

الشُّنْدخ : (لشدته وطوله المكتنز) .

الأشهب : (إما لشدته وقوته أو للونه) .

ص

الأصبح : م صَبْحاء ، ج صُبْح (نسبة إلى لونه الضارب إلى الحُمْرة) .

المُصحر : (نسبة إلى لونه الأغبر في حمرة) .

المُصدر : (لقوة صدره) .

الصارم : ج صوارم بمعنى الشدة والشجاعة .

الصعب : (لعسره وإبائه) .

الصلدم : (لصلابته) .

الصلهام : (لجرأته وصلابته) .

الصمّ والصمَّة : (لشجاعته) ـ [والصِّمَّة أيضاً : الذكر من الحيات] .

الصهادح : (لصلابته وشدته) .

الأصهَب ، م صهباء ، ج صُهب : (نسبة إلى لونه الخمري) .

الأصيد : م صيداء ، ج صِيْد (تشبيهاً بالملك أو الرجل الذي لا يلتفت من زهو يميناً وشمالاً) .

الصاد : (لسمو رأسه ، وكأنه مصاب بداء الصَّيَد) .

الصَّيَّاد : (لصيده فريسته) .





الضبَّاث والضبث والضبوث : [ضبث بالشيء وعليه : قبض عليه قبضاً شديداً] .

الضبير : (لشدته) ، وكذا **الضبور** .

المضبر : (لشدة وثبه) .

الضابط والأضبط : (لقوته) .

الضرضم : الأسد ، (ذكَر السباع) .

الضرغم : ج ضَراغِم والضرغام والضرغامة . (لشجاعته وقوته) .

الضراك : (لغلظته وشدته) .

الضيغم : والضيغمي . (نسبة إلى العَضّ) .

الضماضم : (نسبة لزئيره ، وكذا لجرأته وغضبه) .



العبوس والعَبَّاس ، من أسماء الأسد . ويوم عبوس : شديد .

العترس والعَتَرَّس ، لعظم جسمه وعبالة مفاصله .

العادي : لأنه يفترس الناس .

العائث والعَيُوث والعَيَّاث : (والعياث : كثير الفساد) .

العرنْدس : الأسد العظيم .

العزام : (لشدته وثباته) .

العطاط : (لشجاعته وعظمته) .

العفرين ــ ليث عِفِرِّين : الأسد . [والعِفِرِّين أيضاً : المأسدة] .

العفرس والعِفرِيس والعِفراس والعفروس والعَفرنَس . ــ عَفْرسَه : صرعه وغلبه .

العوف : (لأنه يتعوف في الليل) . تعوف الأسد : التمس الفريسة بالليل وافترسها .



الأغثر م غثراء ج غثر : من الغثرة أي لون من غبرة وحمرة إلى خضرة .

الغادي م الغادية ، ج غوَاد وغاديَات : (لغدوه إلى الصيد بالغداة) .

الغضنفر : (لغلظ جثته) .

الغيَّال : لأنه يقيم في الأغيال ــ أي الغابات أو في مواضع الأسد .



الفدوكس : (لشدته) .

الفرفار والفرفار والفرفر والفُرفُر والفرافر والفرفور : الأسد الذي يفرفر ــ أي يمزق قِرْنه .

أبو فراس : [وعند العامة : أبو فارس] ، والفَرَّاس . (لأنه يصطاد فريسته ويدق عنقها) .

الفرانس : ج فرانسة (لغلظ رقبته) .

الفرافصة : (لشدته ، فيجعل رائيه ترتعد فرائصه . والفرائص : اللحمة بين الجنب والكتف أو بين الثدي والكتف ، ترتعد عند الفزع) .



القبَّاب : (لأنه تسمع قعقعة أنيابه عندما يأكل) .

الأقدم : (لجرأته وإقدامه) .

المتقدي : (لتبختره في مشيته) .

القارح : (الأسد الذي شق نابه) .

القَسْور والقَسْورة : (لشجاعته واعتزازه) .

القَشْعم : الأسد عندما يتقدم في السن ويتضخم . ج قَشاعم وقشاعِم . [وأم قشعم : الضبع] .

القصَّال : تشبيهاً ، بالسيف القاطع أو المقصلة .

القصْميل : تشبيهاً بالرجل الشديد .

القَضقاض والقُضقاض والقُضاقض : قضقض الأسد فريسته : كسرها ومزقها .

القَمَّاص والمِقْعص والمِقْعاص : الأسد يقتل سريعاً .

القِلّيب والقَلّوب والقِلَّوب : من التقلب أو لتقليب فريسته .

القَموص : لقلقه وعدم استقراره ــ وخاصة عندما يكون في القفص ــ .



الكهْمَس : الأسد . ــ كهمس الرجل : تقارب ما بين رجليه ، حتى التراب بهما إذا مشى .

الكفَّات : والكُفُتُ والكُفُتَةُ من الخيل : الشديد الوثب فلا يتمكن منه .

اللبْأة واللبَاءة واللبُوءة واللبْوة واللبُوة واللبْوة واللبَة واللبَاة واللبُ . ج لبَآت ولبأ ولبُؤ ولبُوآت : انثى الأسد [لبأ الشاة : احتلب لبنها . واللبَأ : أول اللبن في النتاج] .

أبو لُبَد : كنية الأسد ، نسبة إلى الشعر المتلبد بين كتفيه .

اللابد والمتلبِّد والملبد : لالتصاقه بالأرض ــ كالقراد ــ عندما يريد الصيد .

اللحاسة : اللبوة .

اللحم : لشدة شهوته إلى اللحم .

المُستلحم : استلحم الطريدة : تبعها .

اللائث : لقوته . [اللوْث : القوة] .

الليْث ، ج ليُوث . ومَليئة . م ليْثة ج ليْثات . من القوة والشدة . [والليثة أيضاً : الناقة الشديدة . انظر أسماء الجمل في العدد ٤٦ ص ١٤٢ من مجلة الفيصل] .

الأليَس : م ليْساء ، ج لِيْس : الشجاع الذي لا يبالي هولا ولا يردعه شيء . وتَلَيَّس الرجل : كان ذا شدة .

المَدين : نسبة إلى إقامته في مكان معين .

المَيَّاس : الأسد المتبختر .

ن

النبْراس : (نسبة إلى جرأته وجسارته) .

النحيْد : (لشجاعته) .

النحَّام : (نحم الأسد : صوَّت) .

المُتناذر : (يقال « فلان منذر إليَّ بعينه » إذا شد النظر إليه وأخرج عينيه) .

المَنْهَت والنهَّات : نهت الأسد : زأر أو هو دونه . ومنه « رأيته ينهت كما ينهت القرد » .

الناهد : (نهد للعدو وإلى العدو : أسرع في قتالهم وبرز) .

النَهد ، ج نُهود : (لترفعه عن غيره من الحيوانات) .

النَهَّاس والنَهوس والمِنهس : (نهس اللحم : أخذه بمقدم أسنانه ونتفه) .

النَهز : (ناهز الصيد : بادره . وناهز الفرصة : اغتنمها) .

النَهَّام والنَهَّامة : (نهم الأسد أو الفيل : صوَّت . والنَهيم : صوت الأسد والفيل) .

المُنيخ : (يقال « تنوخ فلان بالمكان » أقام به . أو أنه ينيخ فريسته كما يُناخ الجمل) .

هـ

الهبْرزي : (ولعله سمي بذلك نسبة إلى الوسامة والجمال) .

الهتْرك : (ولعله سمي بذلك نسبة إلى شدته وصعوبة التغلب عليه) .

الهجّاس : (الأسد المتسمع) .

الهجّام : (لكثرة هجومه على الناس) .

الهدب : (الهدب من العيون أو الأشجار : ذات الهُدْب أو الهَدَب) .

الهادي : (لتقدمه على الحيوانات في كل شيء) .

الهرّ والهراهر : ج هراهر والهَرْهار . (وهرهرة الأسد : ترديد زئيره) .

الهرت والهرَّات والهروت والهريت والمُهرَّت . ويقال : « أسد أهْرَت وأسود هُرْت » . وأسد مُنْهرت الشدق : واسعه .

الهرْثم والهراثم والهرثمة : (والهرثمة : السواد بين منخري الكلب) .

الهرس والهراس والهرَّاس والأهرس : الأسد الشديد الكسر والأكل .

الهرمة : اللبوءة .

الهرامس : الأسد الشديد العادي على الناس .

الهزبْر والهزبَر والهُزابر ، ج هزابر ، [الهزبَر : الغليظ الضخم . وهزبَرَهُ : قطعه .

الهُزع والهزاع : الأسد يكثر كسر الفرائس .

الهيْزم : (لصلابته وشدته) .

الهصهص والهصاهص : القوي من الناس والأسود .

الهاصر والهصر والهصور والهصْوَر والهصَرة والهصْوَرة والهيصر والهيْصار والهيْصور والهصَّار والمِهصَر والمهصار والمهيصر والمهتصر ، ج الهواصر والهواصير : الأسود الشديدة التي تفترس وتكسر ، ولأنه يهصر فريسته أي يكسرها كسراً .

الهاضوم : (تهضَّمَه : أذله وكسره) أو لهضمه طعامه بسرعة .

الهلقام : (لاتساع شدقيه) أو (لأنه أكول) أو (لضخامته وطوله) .

الهمام : (تشبيهاً بالملك العظيم الهمة أو بالسيد الشجاع السخي) .

الهمهام والهمهوم والهمهم : (لترديده الصوت ومعه بحح) .

الهمَّاس : الأسد الكسار لفريسته .

الهمُوس : الأسد الكسار لفريسته أو الأسد الخفيف الوطء .

الهنْبُع : (هَنْبَعَ الرجل : جاع . والهُنبع : شدة الجوع) .

الهوَّاس والهوَّاسة : الأسد الطواف بالليل مع جرأة في الطلب .

الهوَّام : (الهَوْم : النوم الخفيف . والأهوم : العظيم الهامة — أي الرأس .

و

المُودي : (لأنه يهلك فريسته) والوَدْي : الهلاك .

الوَرْد : لشجاعته وجرأته ، (الوارد : الشجاع الجريء) . ويقول « مختار الصحاح » إنه سمي بلون الورد الذي يشم .

الوهاس : وهس الشيء : كسره ودقه .

مناقشات

و تعليقات

العقاد .. صحفياً

الصحافة في دمه منذ نعومة أظفاره حتى توفاه الله تعالى ، فقد عثر وهو صغير على صيوان مملوء بالكتب والصحف والمجلات في بيت أبيه ، وعلى الأخص **صحافة عبد الله النديم** ، وهي : « التنكيت والتبكيت » و « اللطائف » و « الأستاذ » فأخذ ينهل من هذه المعرفة ، وانفعل وهو الطالب بالمدرسة الابتدائية بأسوان فأصدر مجلة « التلميذ » معارضاً بذلك مجلة الأستاذ ، وطبعها « بالبالوظة » وكان ثمنها أن من أراد شراءها ينسخ منها نسخة واحدة ، وكان هو بالطبع محررها الوحيد .

وكان رحمه الله ينفر من الوظائف الحكومية ويعتبرها « رق القرن العشرين » فاستقال من وظائف عديدة مثل مديرية الأمن ، التلغراف ، الأوقاف ، التدريس وكان ينتقل منها إلى الصحافة .

وعزم وهو شاب على إصدار صحيفة واختار لها اسم « **رجع الصدى** » لكنه عدل عن تنفيذ هذه الفكرة بسبب صعوبات التوزيع ، واعتماد الصحف في ذلك الوقت على الإعلانات التي تجمع من أصحاب الأعمال والمحاكم ، كالإعلانات القضائية ، وعلى شفقة المحسنين الذين كانوا يقدمون إحسانهم على شكل اشتراكات ، لذلك اكتفى بالعمل محرراً وكاتباً ، فعمل في صحف متعددة منها : **القافلة ، المصور ، الهلال ، الاثنين ، كل شيء ، البيان ، المقتطف ، الأهالي ، الأفكار ، الرجاء ، المساء ، كوكب الشرق ، الجهاد ، روز اليوسف ، مصر الفتاة ، الدنيا المصورة ، اللواء ، المؤيد ، منبر الإسلام ، الأخبار (التي كان صاحبها ومحررها توفيق حبيب) ، وعكاظ ، والبلاغ ، والبلاغ الأسبوعي ، والأهرام ، والأخبار ، وأخبار اليوم ، والدستور ، والسياسة ، وآخر ساعة ، والكتاب ، والرسالة ، والأزهر** ، وغيرها .

وقد ظهر نبوغه الصحفي أول ما ظهر في صحيفة (الدستور) التي كان يصدرها الأديب والعالم والمؤرخ المعروف بثقافته الإسلامية وتصديه لأعداء الإسلام المرحوم **محمد فريد وجدي** ، فقد وافق هذا الرجل الجليل على أن يعاونه في تحرير (الدستور) نظير ستة جنيهات شهرياً ، وقد أخلص العقاد في عمله معه إخلاصاً منقطع النظير ، فقد كان بمثابة نصف هيئة التحرير ، إلى جانب جلب الأخبار من الدواوين الحكومية ، وكان من أثر عمله مع هذا الكاتب الإسلامي الكبير اتجاه العقاد إلى الكتابة في الإسلاميات منذ الحلقة الرابعة من عمره ، حتى خاتمة حياته الخصبة المباركة ، إذ أنتج للمكتبة العربية ثلاثين كتاباً إسلامياً من جملة كتبه المائة .

وعن طريق الصحافة عرف العقاد صاحبيه الأديبين الكبيرين **عبد الرحمن شكري ، وإبراهيم عبد القادر المازني** ، اللذين يشكلان معه **مدرسة « الديوان »** التي كان لها نشاطها البارز في التاريخ الأدبي المعاصر في الشعر والنقد على السواء .

وعمل مع صاحبيه في **مجلة « البيان »** التي كان يصدرها المرحوم **عبد الرحمن البرقوقي** ، وفي هذه المجلة لخص كتاب « أكاذيب المدنية الحاضرة » **لماكس نوردو** ، وأعجب بهذا التلخيص الأديب الكبير **محمد المويلحي** صاحب « حديث عيسى بن هشام » ، فاتصل بعبد الرحمن البرقوقي ليعرض على العقاد أن يعمل معه في ديوان الأوقاف ، إلى جانب العمل بالصحافة فقبل العقاد ، وفي ديوان الأوقاف تعرف على أدباء وشعراء فطاحل من أمثال **عبد العزيز البشري ، وعبد الحليم المصري ، وأحمد الكاشف ، ومحمود عمار ، ومصطفى الماحي** وغيرهم .

وفي المجلات الأدبية مثل « الرسالة » و « البلاغ الأسبوعي » و « الكتاب » و « الهلال » و « الأزهر » وغيرها . كتب المقالات الأدبية والنقدية والدينية التي جمع بعضها في كتب مثل **« ساعات بين الكتب »** ، **« مطالعات في الكتب والحياة »** ، **« مراجعات في الآداب والفنون »** . أما كتابه **« بين الكتب والناس »** فعبارة عن مقالات من اليوميات التي كان يكتبها أسبوعياً — كل يوم أربعاء — في جريدة الأخبار بين سنتي ١٩٤٩ م ، ١٩٥٢ م .

وعن طريق الصحافة نشر القصائد الشعرية ، والمقالات النقدية ، والمساجلات بينه وبين كبار الكتّاب مما أثرى الأدب والنقد العربي الحديث .

وكانت مقالاته إما أدبية أو سياسية ، فإلى جانب دفاعه عن الوطن ، ودفاعه عن **حزب الوفد** برئاسة **سعد زغلول** كان يكتب المقالات الثقافية الممتعة والمشوقة ، والتي تعد من أروع ما كتب في الصحافة المصرية والعربية على السواء .

وعن طريق الصحافة قرب من قرائه الأدباء الغربيين بأفكارهم الحديثة . . وذلك عن طريق تلخيص مقالاتهم المطولة ، فقد لخص مقالات **« كارليل »** و **« ماكوني »** و **« لي هنت »** و **« أرنولد »** وغيرهم .

والعقاد عقلية نقدية لذلك يغلب على مقالاته طابع النقد ، والابتعاد نسبياً عن المسائل العاطفية ، وكان أسلوبه علمياً تحليلياً بعيداً عن المحسنات البديعية ، إلا أنه كان يلجأ أحياناً إلى السجع ، وذلك على سبيل الفكاهة والسخرية ، وكانت شخصيته تبرز في مقالاته ، لأنه كان يضفي عليها من خبرته ولباقته الفنية ، ما جعلها من أمتع المقالات في الصحف العربية .

وكان بارعاً في اختيار العناوين لمقالاته — ولعل هذا من أثر عبد الله

مناقشات و تعليقات

النديم فيه ـ إذ كان يعجب بعناوين مقالاته مثل : «لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا» ، فقد كتب في «التلميذ» يعارض هذا العنوان ، فكتب مقالا بعنوان : «لو كنا مثلكم ما فعلنا فعلكم» . ومن عناوين مقالات العقاد : «طفيليون ومقترحون» ، و «زواج الأقارب والأباعد» ، و «إيماني» ، و «بعد الأربعين» ، و «وحي الخمسين» ، و «أبي» ، و «مواقف في الحب» التي جمعها في قصة سارة وغيرها .

وكتب مقالا عن «**فلسفة برجسون**» في المقتطف يعقب فيه على مقال **للآنسة مي زيادة** ، وفي نفس المجلة كتب مقالين رائعين يوازن فيهما بين فلسفة ، **أبي العلاء و شوبنهور** ، وكانت هذه المقالات موضع إعجاب **يعقوب صروف** صاحب المقتطف .

وفي الأهرام كتب مقالا سياسياً كشف فيه ألاعيب الاستعمار عندما لفت الأنظار إلى ترجمة عبارة جاءت في تقرير **لجنة ملنر** وهي : under self government institution ، فقال إن ترجمتها تحت أنظمة حكم ذاتي ، وليس تحت أنظمة دستورية كما ترجمها أعوان المستعمر من المسؤولين في ذلك الوقت .

وقد كانت الصحافة المصرية قبل **الحرب العالمية الثانية** تعتمد على المقال ، ولكنها اتجهت إبان الحرب إلى الخبر ، وأصبح دور المقال ثانوياً ، ثم عادت بعد الحرب مرة أخرى إلى المقال ، إلا أن العقاد أثناء الحرب كان يكتب المقالات الأدبية والنقدية ، وذلك في المجلات الأدبية المتخصصة ولا سيما في الرسالة والهلال .

وكان العقاد صحفياً رائداً ، فهو أول من نشر حديثاً صحفياً مع وزير ، فقد نشر حديثاً صحفياً مع وزير المعارف سعد زغلول ، عن تعريب المواد الدراسية ، كان أول حديث ينشر في الصحف المصرية من هذا اللون ، وقد نشر في جريدة الدستور ، وهو أول من نشر يدافع عن الموظفين بسبب الظلم الواقع عليهم في ذلك الوقت من قلة المرتبات ، وهو أول من ارتقى بالأسلوب الصحفي وبعد به عن السجع والابتذال .

وليس من شك في أنه قام بدور كبير في الارتفاع بمستوى الصحفيين والأدباء ، بسبب صلابته في نصرة الحق ودفاعه المجيد عن القيم الإنسانية .

محمد عبد الوهاب صقر



(شقراء : مدينة وتاريخ) ـ تصحيح

لفت نظري في العدد ٤٣ (محرم سنة ١٤٠١ هـ) أن هناك ما يحتاج إلى تصحيح في مقال (**شقراء : مدينة وتاريخ**) للسيد د . **محمد بن سعد الشويعر** ـ فقد أورد ضمن مقاله وبنص كلامه (ص ٣٧) :

«لعل أغرب ما لفت نظري في مفهوم الألوان ودلالة ما ترمز إليه أن عالماً في النصف الأول من هذا القرن تقريباً ـ من علماء الجغرافيا في إحدى الجامعات الإنجليزية ـ قد اعتنق الإسلام بعد أن دار حوار بينه وبين زميله الهندي المسلم حول ما تعنيه الآية الكريمة إلخ . . . ثم أسلم» .

وتصحيحاً لما ورد :

● **أولا** : أن العالم الإنجليزي لم يكن من علماء الجغرافيا وإنما كان **عالم فلك** وهو **السير جيمس جينز الأستاذ بجامعة كامبردج** .

● **ثانياً** : لم يكن ما دفعه (أي العالم الإنجليزي) بعد القناعة إلى تعليقه الوارد بالمقال ـ هو نص الآية الذي استشهد به د . الشويعر **﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾** ـ بل كان على وجه التحديد الجزء الأخير من الآية التي تلتها وهي **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** (سورة فاطر ، الآية ٢٨) .

● **ثالثاً** : لم يرد في رواية **د . عناية الله المشرقي** (وهو العالم الهندي الذي كان طرفاً في الحوار) ما يفيد أن السير جيمس جينز JAMES JEANS (١٨٧٧ ـ ١٩٤٦ م) ـ قد أسلم ـ وإنما كان رده هو ما ذكر من تعليقه فقط وإن كنا طبعاً نود له لو أسلم ، **ولكن يجب التفرقة بين شهادته هذه ، وبين إعلانه (إسلامه الفعلي)** .

ولعل ما أدى للخلط في استشهاد كاتب المقال بالواقعة هو أن العالم الهندي في إيراده للآية ٢٨ وخاتمها **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** والتي حدت بالعالم الإنجليزي إلى تعليقه ـ نقول في إيراده لها ـ بدأ بالآيات التي سبقتها ـ والتي تتضمن الآية (٢٧) ـ مما حدا بالدكتور سعد الشويعر إلى ابتسار الواقعة وقصرها على **مفهوم الألوان** ـ خاصة وأن صدر مقاله الذي استشهد فيه بها ، كان عن (**المعرض الجمالي للألوان**) .

مناقشات

و تعليقات

ومن شاء فليرجع إلى كتاب (**الإسلام يتحدى**) **للكاتب الهندي (وحيد الدين خان)**، **الناشر (دار المختار الإسلامي)** القاهرة ـ الطبعة السابعة ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م، وقد وردت فيه الواقعة بتمامها في (ص ٢١٠ و ٢١١) ونحن على ثقة في الله، ثم إن السيد/ رئيس التحرير، لن يتردد في إتاحة الفرصة في نشر ردنا هذا... في باب (**مناقشات وتعليقات**) تمشياً مع السياسة الحميدة التي تنتهجها **مجلة (الفيصل)** الغرّاء في تحرّي الدقة والحقيقة في ما يكتب ويُنشر بها.

ولكم سلفاً جزيل شكرنا وعظيم تقديرنا.

أحمد فتحي ندا
جدة



الإفلاس الفكري المتبادل

إن المتتبع لمطالعة المجلات العربية الحولية، أو الفصلية، أو الشهرية، سيلاحظ بعض الظواهر الغريبة التي تتكرر في معظم هذه المجلات، وإن دلت هذه الظواهر على شيء فإنما تدل على نوع من الإفلاس الفكري المتبادل لدى هذه المجلات من جهة، ولدى كتّاب هذه المجلات من جهة ثانية، ونستطيع أن نوجز هذه الظواهر بالنقاط التالية:

١ ـ التحقيقات المصورة المتعلقة بالمدن العربية والمتكررة في معظم هذه المجلات بشكل أو بآخر، علماً بأنه يوجد مئات المدن الهامة في الوطن العربي لم تتناولها أية مجلة بالبحث والتحقيق.

٢ ـ أن معظم المجلات تخصص قسماً من صفحاتها للكتب من حيث العرض والتلخيص والتحليل وما شابه ذلك، علماً بأن معظم هذه الكتب متوافرة في الأسواق من جهة، وأن هذا العرض الموجز لا يعطينا فكرة واضحة عن هذه الكتب، ولا يغني عن مطالعتها من جهة ثانية، وأن هذا العرض يستخدمه البعض لعرض أفكاره من جهة ثالثة، وخاصة أن معظم دور النشر تصدر كتيبات من البيبلوجرافيا سنوياً.

٣ ـ الموضوعات المترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية التي تأخذ مساحة واسعة من صفحات هذه المجلات، وأن تكرر مثل ذلك في بعض المجلات وبشكل مستمر يمثل إفلاساً فكرياً للمجلة. علماً بأن تراثنا العربي السياسي منه والحضاري، غني بآلاف الموضوعات التي تستحق البحث، خاصة أن الجهات المسؤولة تقوم بترجمة كافة الكتب الأجنبية المفيدة بالدراسة والثقافة وغيرها.

٤ ـ هنالك تشابه واضح في عدد كبير من الموضوعات المنشورة في مختلف هذه المجلات، مع تغير العنوان الخاص بهذه الموضوعات.

٥ ـ عدم إسناد المقالات والموضوعات المختلفة إلى مصادرها الأصلية التي اعتمد عليها كتّاب هذه الموضوعات، ونحن لا ننكر الإبداع، والإضافة إلى التراث، ولكن هنالك بعض الموضوعات لا تكتب بدون أية عودة إلى بعض المصادر والمراجع.

٦ ـ اعتماد بعض المجلات على عدد معين من الكتّاب بشكل يكاد أن يكون آلياً، معتمدة بذلك على الألقاب من جهة، وعلى الصلة الموجودة بين المجلة وكتّابها من جهة ثانية، حتى أننا نستطيع أن نجد مقالين لكاتب واحد يصدران في عدد واحد من إحدى هذه المجلات.

٧ ـ الآلية والجمود الواضحين في سير معظم المجلات، من حيث الأبواب والموضوعات والإخراج وعدم التفات هذه المجلات إلى أي نوع من التعديل، والتجديد، والإبتكار، وإنما نجد أن التعديل يحدث فقط في الأسعار.

فيصل محمد شقير
دمشق ـ سورية

المجلة: الموضوع في حاجة إلى كثير من النقاش المنصف، ولأن الكاتب غلب على أسلوبه التعميم فإن أي رد من جانبنا قد يفسر على الأغلب دفاعاً عنا.. لهذا ننشره دون أي رد من جانبنا، والقارئ دائماً وأبداً هو الحكم.



مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

ج ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

من الأمثال العربية قولهم «فتى ، ولا كمالك» .. فمن هو مالك ؟

السؤال الثاني :

اذكر تاريخ اليوم الوطني لكل من الدول العربية التالية :

المملكة العربية السعودية ــ الكويت ــ البحرين ــ الأردن .

السؤال الثالث :

مَنْ فتح القسطنطينية .. ومتى وأين ولد وتوفي ؟

السؤال الرابع :

مَنْ قتل «الكونت برنادوت» .. وفي أية مدينة .. ومتى اغتيل ؟

السؤال الخامس :

اذكر أسماء خمسة أنواع من الجواهر الكريمة .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

العدد (٥٩)

الاسم : ------------------------------

المهنة : ------------------------------

العنوان : ------------------------------

نتائج مسابقة العدد (٥٩)

● فاز بالجائزة الأولى وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الأخ **درويش محمد بن محمد ابن أحمد**، 22 نهج قديد صالح، قسنطينة — الجزائر.

● وفاز **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ **منير محمد شقير**، جامعة دمشق، كلية الصيدلة — سورية.

● وفازت **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخت **نورة محمد الخويطر** — المدينة المنورة.

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من السودان — الجنيد، مصنع السكر، الرئاسة، الأخ أحمد محمد حاج صادق.

● من المغرب، 30 زنقة فرانسفيل، حي الوازيس، الدار البيضاء، الأخ السباعي محمد.

● من المدينة المنورة، مستوصف السلام، طريق المطار، الأخ حسان سمير إسماعيل.

● من مصر — بلاد النوبة، كوم أمبو، توشكي، الأخ صالح حسن عبد السيد حسين.

● من سورية — دمشق، الأخت هدايت المعطي.

● من المغرب — مكتب تيوغزة، إذ بورمضان، آيت باعمران، تزنيت، الأخ الواثق حسن بن الشيخ البشير.

● من بريطانيا، الأخ عبد الله بن عبد المطلب الشحام A. A. SHAHAM MOBERLY TOWER, BURLINGTON STR. MANCHESTER M 15 6HR-ENGLAND.

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من لبنان — بيروت، مار إلياس، مكتب الأمم المتحدة، الأخ يوسف محمد سعيد عبد المعطي، بواسطة مدير المركز.

● من جدة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية العلوم، قسم الأحياء، الأخ يوسف سعد راجح الحربي.

● من تونس — سوسة، أكودة، 35 نهج عبد السلام الكناني، الأخ البشير بن علي الزّغمي.

● من السودان — أم درمان، ص. ب. (٢٦٥) الأخ علي عثمان محمد خير.

● من الرياض، كلية أصول الدين، شارع الظهران ص. ب. (١٧٩٩٩) الأخ حفص محمود طحان.

● من مصر — محافظة البحيرة، كفر الدوار، مساكن شركة مصر للحرير الصناعي عمارة (٥) شقة (٤) الأخ وحيد سليمان السيد إبراهيم.

● من لبنان — بيروت، الشؤون الاجتماعية مقابل جامعة بيروت العربية، الأخ موسى جبرا أبو خميس، بواسطة شريف قباني.

● من تونس — صفاقس، طريق قرمدة كلم 3، الأخ صالح بن مصطفى الترجمان.

● من الأردن — عمان، الأخت سعاد صبحي قراقيش.

● من العراق — بغداد، معهد الوثائقيين العرب ص. ب. (٥٩٤) الأخ حسين صالح عبد الله دعسة.

أجوبة مسابقة العدد (٥٩)

ج ١ أنشأ المسلمون العرب أعظم جسر في بريطانيا أقيم على نهر «**التايمس**» وكان ذلك في عهد **الخليفة الأموي هشام الثالث** الذي أوفد المهندسين الذين بنوا الجسر وأطلق عليه **اسم الخليفة** «HAISHAM BRIDGE».

ج ٢ تقع **مراكز السمع**، والشم، والتذوق، والإحساس في الإنسان كما يلي:

مراكز السمع: مكانها الفص الصدغي — تحت الساحة الحسية — مباشرة.

مراكز الشم: مكانها النهاية الأمامية من تلفيف حصان البحر.

مراكز التذوق: مكانها القسم السفلي من الفص الجداري، حول منطقة اللسان.

مراكز الحس: تنتشر على سطح الجلد.

ج ٣ **الهنود الأميريكيون** لا صلة لهم بالهند، لكن العلماء الأنثروبولوجيين يعتقدون أن أسلافهم قد قدموا من **آسيا** حيث نزحوا منها إلى منطقة (**آلاسكا**) ربما عن طريق **سيبريا** منذ حوالي ٢٦,٠٠٠ إلى ٨ آلاف سنة.

ج ٤ أسماء مؤلفي الكتب الآتية:

البرصان والعرجان والعميان والحولان **للجاحظ**. الربع الخالي **لعبد الله فلبي**. بيجماليون **لبرنارد شو**. رصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام **أحمد بن عبد النور المالقي**. تاجر البندقية **لوليم شكسبير**.

ج ٥ **ضرس العقل** آخر الأسنان بزوغاً في فم الإنسان ولذلك سمي بهذا الاسم وليس لضرس العقل أي صلة بالعقل.



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ _ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ



أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات
الكويت	٦٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة
الأردن	٤٠٠ فلس
ج . ع . اليمنية	٦ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
العراق	٤٠٠ فلس
سورية	٥ ليرات
لبنان	٥ ليرات
ليبيا	٨٠٠ درهم



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

ALAWI TAHA ALSAFI
Editor-in-Cheif

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ



EUROPE – AMERICA – ASIA

Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	$	5

● **أسعار الاشتراكات السنوية :**

للأفراد ١٥٠ ريالا سعودياً
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150
Others : S.R.250
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، العمارية ، الرياض